العقد الفريد

تأليف

الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي

المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

بتحقيق

محمد سعيد العريان

الجزء الرابع

يطلب من

المكتبة التجارية الكبرى

جميع حقوق الطبع محفوظة

١٣٧٢ — ١٩٥٣

كِتابُ العَسجدة
فى كلام الأعراب

فرش كتاب العسجدة

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى النسب الذى هو سبب التعارف ، وسلم إلى التواصل ، وفى تفضيل العرب ، وفى كلام بعض الشعوبية : ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى كلام الأعراب خاصة : إذ كان أشرفَ الكلام حسبا ، وأكثرَه رونقا ، وأحسنه ديباجا ، وأقله كُلفة ، وأوضحه طريقة ؛ وإذ كان مدار الكلام كله عليه ، ومُنتسَبُه إليه .

خالد بن صفوان وأعرابى

قال رجل من مِنْقر : تكلم خالد بن صفوان بكلام فى صلح لم يسمع الناس كلاما قبله مثله ، وإذا بأعرابىّ فى بَتّ ، ما فى رجليه حذاء ، فأجابه بكلام وددت أنى متُّ قبل أن أسمعه ، فلما رأى خالد ما نزل بى قال لى : ويحك ! كيف نجاريهم وإنما نحاكيهم ؟ أم كيف نسابقهم وإنما نجرى بما سبق إلينا من أعراقهم ؟ قلت له : أبا صفوان ، والله ما ألومك فى الأولى ، ولا أدع حمدك على الأخرى .

بين أعرابى وربيعة فى مثله

وتكلم ربيعة الرأى يوما بكلام فى العلم فأكثر ، فكأن العُجْب داخَله ، فالتفت إلى أعرابى إلى جنبه فقال : ما تعدّون البلاغة يا أعرابىّ ؟ قال : قلة الكلام وإيجاز الصواب . قال : فما تعدّون العىّ ؟ قال : ما كنتَ فيه منذ اليوم . فكأنما ألقمه حجرا .

قول الأعراب فى الدعاء

لعمر ابن عبد العزيز

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ما قوم أشبهَ بالسلف من الأعراب ، لولا جفاءٌ فيهم .

لغيلان

وقال غيلان : إذا أردت أن تسمع الدعاء فاسمع دعاء الأعراب .

لأعرابى

٥ قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابى يقال له مرثد : اللهم اغفر لى والجلدُ بارد ، والنفس رطبة ، واللسان منطلق ، والصحف منشورة ، والأقلام جارية ، والتوبة مقبولة ، والأنفس مريحة ، والتضرع مرجو ، قبل أزّ العروق ، وحَشَك النفس ، وعَلَز الصدر ، وتزيُّل الأوصال ، ونصول الشعر ، وتحيُّف التراب ؛ وقبل أن لا أقدر على استغفارك حتى يفنى الأجل ، وينقطع العمل . أَعِنّى على ١٠ الموت وكربته ، وعلى القبر وغمّته ، وعلى الميزان وخفّته ، وعلى الصراط وزَلّته ، وعلى يوم القيامة وروعته ؛ اغفر لى مغفرةً واسعة لا تغادر ذنبا ، ولا تدع كرْبا ؛ اغفر لى جميع ما افترضتَ علىّ ولم أؤدّه إليك ؛ اغفر لى جميع ما تبتُ إليك منه ثم عدت فيه . يارب تظاهرتْ علىّ منك النعم ، وتداركتْ عندك منى الذنوب ؛ فلك الحمد على النعم التى تظاهرتْ ، وأستغفرك للذنوب التى تداركتْ . أمسيت ١٥ عن عذابى غنيا ، وأصبحتُ إلى رحمتك فقيرا ؛ اللهم إنى أسألك نجاح الأمل عند انقطاع الأجل ، اللهم اجعل خير عملى ما ولِىَ أجلى ؛ اللهم اجعلنى من الذين إذا أعطيتّهم شكروا ، وإذا ابتليتّهم صبروا ، وإذا أذكرتهم ذَكروا ، واجعل لى قلبا توّاباً أوّاباً ، لا فاجراً ولا مرتابا . اجعلنى من الذين إذا أحسنوا ازدادوا ، وإذا أساءوا استغفروا ، اللهم لا تحقق علىّ العذاب ، ولا تقطع بى الأسباب ، ٢٠ واحفظنى فى كل ما تحيط به شَفَقتى ، ويأتى من ورائه سُبْحتى ، وتعجز عنه قوّتى ، أدعوك دعاء ضعيف[1] عمله ، متظاهرة ذنوبه ، ضنينٍ على نفسه ـ دعاء مَن بَدنه ضعيف ، ومُنّته عاجزة ؛ قد انتهت عدّته ، وخلقتْ جِدته ، وتم ظِمْؤه ؛ اللهم

---

(١) فى بعض الأصول : « خفيف » .

لا تخيبْنى وأنا أرجوك ، ولا تعذبنى وأنا أدعوك ، والحمد لله على طول النسيئة ، وحسن التباعة ، وتشنج العروق ، وإساغة الريق ، وتأخر الشدائد ؛ والحمد لله على حلمه بعد علمه ، وعلى عفوه بعد قدرته ؛ والحمد لله الذى لا يُودَى قتيلُه ، ولا يخيب سُوله ، ولا يُرَدّ رسوله . اللهم إنى أعوذ بك من الفقرِ إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ؛ وأعوذ بك أن أقول زورا ، أو أغشى فجورا ، أو أكون بك مغرورا ؛ وأعوذ بك من شماتة الأعداء ، وعُضال الداء ، وخيبة الرجاء ، وزوال النعمة ، وفُجاءة النقمة .

لأعرابى فى الطواف

دعا أعرابى وهو يطوف بالكعبة فقال : إلٰهى ، مَن أولى بالتقصير والزلل منى وأنت خلقْتنى ، ومَن أولى بالعفو منك عنى وعِلمك بى ماضٍ ، وقضاؤك بى مُحيط ؛ أطعتك بقوّتك والمِنة لك ، وعصيتك بعلْمك ، فأسألك يا إلهى بوجوب رحمتك ، وانقطاع حجتى ، وافتقارى إليك ، وغناك عنى ـ أن تغفر لى وترحمنى ؛ إلهى لم أُحسن حتى أعطيتنى . فتجاوز عن الذنوب التى كتبتَ علىّ ، اللهم إنا أطعناك فى أحب الأشياء إليك : شهادةِ أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، ولم نعصك فى أبغض الأشياء إليك : الشرك بك ؛ فاغفر لى ما بين ذلك ؛ اللهم إنك آنسُ المُؤنسين لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك[1] . إلهى أنت شاهدهم وغائبهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسِرّى لك مكشوف ، وأنا إليك ملهوف ؛ إذا أوحشتْنى الغربة ، آنسنى ذكرك ؛ وإذا أكبتْ علىّ الغموم ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ؛ علما بأن أزِمّة الأمور كلها بيدك ، ومصدرَها عن قضائك ، فأقلْنى إليك مغفوراً لى ، معصوما بطاعتك باقى عمرى ، يا أرحم الراحمين .

لآخر فى مثله

الأصمعى قال : حَجَجْتُ فرأيت أعرابيا يطوف بالكعبة ويقول : يا خير موفودٍ سعى إليه الوفْد ، قد ضعُفت قوّتى ، وذهبتْ مُنتى ، وأتيت إليك بذنوب لا تغسلها الأنهار ولا تحملها البحار ؛ أستجير برضاك من سخطك ، وبعفوك من

(١) فى بعض الأصول : « وخير المعينين للمتوكلين عليك » .

عقوبتك ، ثم التفت فقال : أيها المُشفقون ، ارحموا من شملته الخطايا ، وغمرته البلايا ، ارحموا من قطع البلاد ، وخلف ما ملك من التلاد ؛ ارحموا من وبخته الذنوب ، وظهرت منه العيوب ؛ ارحموا أسير ضُرّ ، وطريد فقر . أسألكم بالذى أعملتكم الرغبة إليه ، إلا ما سألتم الله أن يهب لى عظيم جُرمى .
٥ ثم وضع فى حلقة الباب خده وقال : ضَرَعَ خدّى لك ، وذل مقامى بين يديك ، ثم أنشأ يقول :

عظيمُ الذنب مكروبٌ ٭ من الخيرات مسلوبُ
وقد أصبحتُ ذا فقرٍ ٭ وما عنـــدك مطلوب

لآخر بعرفات — العتبي قال : سمعت أعرابيا بعرفات عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن هذه
١٠ عشية من عشايا محبتك ، وأحد أيام زلفتك ، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك ، أن لا يشرك بك شيئا بكل لسان فيها يدعى ، ولكل خير فيها يرجى ؛ أتتك العصاة من البلد السحيق ، ودعتك العناة من شعب المَضيق ؛ رجاء ما لا خلف له من وعدك ، ولا انقطاع له من جزيل عطائك ؛ أبدتْ لك وجوهها المصونة ، صابرة على وهج [1] السمائم ، وبرد الليالى ، ترجو بذلك رضوانك ؛ يا غفار ،
١٥ يا مُستَزاداً من نعمه ، ومُستعاذاً من نقمه ، ارحم صوت حزين دعاك بزفير وشهيق . ثم بسط كلتا يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إن كنتُ بسطتُ يدى إليك راغبا ، فطالما كفيتنيه ؛ ساهياً بنعمتك التى تظاهرت علىّ عند الغفلة ، فلا أيأس منها عند التوبة ؛ ولا تقطعْ رجائى منك لما قدمت من اقتراف ، وهب لى الإصلاح فى الولد ، والأمن فى البلد ، والعافية فى الجسد ، إنك سميع مجيب .

٢٠ ودعا أعرابى فقال : يا عمادَ مَن لا عماد له ، ويا ركنَ من لا ركن له ، ويا مجير الضعفاء ، ويا مُنقذ الهَلكى [2] ، ويا عظيم الرجاء ، أنت الذى سبح لك سواد الليل وبياضُ النهار ، وضوء القمر وشعاع الشمس ، وحفيف الشجر

(١) فى بعض الأصول : « لفح » .
(٢) فى بعض الأصول : « الغرقى » .

ودوىُّ الماء : يامحسن ، يامجمل ، يامُفْضل ، لا أسألك الخير بخير هو عندك ، ولكنى أسألك برحمتك ، فاجعل العافية لى شعاراً ودثاراً ، وجُنَّة دون كل بلاء .

لآخرى بمنى

الأصمعى قال خرجت أعرابية إلى مِنى فقطع بها الطريق ، فقالت : يارب ، أخذتَ وأعطيت وأنعمتَ وسلبت ، وكل ذلك منك عدلٌ وفضلٌ ، والذى عظَّم على الخلائق أمرك : لابسطتُ لسانى بمسئلة أحد غيرك ، ولا بذلتُ رغبتى إلا إليك ٥ ياقرةَ أعيُن السائلين ، أغننى بجود منك أتبحبح فى فراديس نعمته ، وأتقلب فى رواق نضرته ، احملنى من الرُّجلة ، وأغننى من العيلة ، وأسدل علىَّ سِتْرك الذى لا تَخرقه الرماح ، ولا تزيله الرياح ، إنك سميع الدعاء .

لأعرابى فى فلاة

قال : وسمعت أعرابيا فى فلاة من الأرض وهو يقول فى دعائه : اللهم إن استغفارى إياك مع كثرة ذنوبى لَلُؤم ، وإن تركى الاستغفار مع معرفتى بسعة رحمتك ١٠ لعجْز ! إلهى كم تحببت إلىّ بنعمتك وأنت غنىٌّ عنى ، وكم أتبغّض إليك بذنوبى وأنا فقير إليك ! سبحان من إذا توعد عفا ، وإذا وعد وفى .

قال : وسمعت أعرابيا يقول فى دعائه : اللهم إن ذنوبى إليك لا تضرّك ، وإن رحمتك إياى لا تنقصُك : فاغفر لى ما لا يضرك ، وهب لى ما لا ينقصك .

لآخرين

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول فى دعائه : اللهم إنى أسألك عمل الخائفين ، ١٥ وخوف العاملين ، حتى أتنعمَ بترك النعيم طمعا فيما وعدت ، وخوفا مما أوعدت . اللهم أعِذْنى من سطواتك ؛ وأجرنى من نقماتك ؛ سبقت لى ذنوبٌ وأنت تغفر لمن يتوب [1] : إليك بك أتوسل ، ومنك إليك أفرُّ .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إن أقواما آمنوا بك بألسنتهم ليحقنوا دماءهم فأدركوا ما أمّلوا ، وقد آمنا بك بقلوبنا لتجيرنا من عذابك فأدرك منا ٢٠ ما أمّلناه .

قال : ورأيت أعرابيا متعلقا بأستار الكعبة رافعا يديه إلى السماء وهو يقول رب ، أتُراك مُعذبنا وتوحيدك فى قلوبنا ، وما إخالك تفعل ! ولئن فعلت لتَجْمَعَنَّا

(١) فى بعض الأصول : «يحوب» .

مع قوم طالما أبغضنام لك .

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول فى صلاته : الحمد لله حمداً لا يبلى جديدُه ولا يُحصى عديده ، ولا يبلغ حدوده ؛ اللهم اجعل الموت خير غائب ننتظره ، واجعل القبر خير بيت نعمره ، واجعل مابعده خيراً لنا منه ؛ اللهم إن عينىّ قد اغرورقتا دموعا من خشيتك ؛ فاغفر الزلة ، وعُدْ بحلمك على جهل من لم يَرْجُ غيرك

الأصمعى قال : وقف أعرابى فى بعض المواسم فقال : اللهم إن لك علىّ حقوقا فتصدّق بها على ، وللناس قِبَلى تباعاتٌ فتحملها عنى ؛ وقد وجب لكل ضيف قِرى ، وأنا ضيفك الليلة ، فاجعل قِراى فيها الجنة .

قال : ورأيت أعرابيا أخذ بحلقتى باب الكعبة وهو يقول : سائلك عَبْد بابك ذهبتْ أيامُه ، وبقيت آثامه ، وانقطعت شهوته ، وبقيت تباعتُه فأرض عنه ، وإن لم ترض عنه فاعفُ عنه غير راض .

قال : ودعا أعرابى عند الكعبة ، فقال : اللهم إنه لا شرف إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال ؛ فأعطنى ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة .

قال زيد بن عمر [1] : سمعت طاوسا يقول : بينا أنا بمكة إذ دفعتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، فثنى لى وساداً فجلست ؛ فبينا نحن نتحدث إذ سمعت صوت أعرابى فى الوادى رافعا صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : علىَّ بالملبّى . فأُتى به ، فقال : مَن الرجل ؟ قال : من أفناء الناس . قال : ليس عن هذا سألتُك . قال : فعمَّ سألتنى ؟ قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفت محمد بن يوسف ؟ يعنى أخاه ، وكان عامله على اليمن ؛ قال : خلفتُه عظيما جسيما خَرّاجا ولّاجا . قال : ليس عن هذا سألتك . قال : فعَمَّ سألتنى ؟ قال : كيف خلَّفت سيرته فى الناس ؟ قال : خلفته ظلوما غشوما عاصيا للخالق مطيعا للمخلوق ! فازْوَرَّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وقد تعلم مكانته منى ؟ فقال له الأعرابى أفتراه بمكانته منك أعزَّ منى بمكانتى من الله تبارك وتعالى ، وأنا وافد

(١) فى بعض الأصول : « عمرو »

بيته ، وقاضى دينه ، ومصدق نبيه صلى الله عليه وسلم! قال: فوجم لها الحجاج ولم يُحر له جوابا ، حتى خرج الرجل بلا إذن . قال طاوس : فتبعته حتى أتى الملتزم فتعلق بأستار الكعبة ، فقال : بك أعوذ ، وإليك ألوذ ، فاجعل لى فى اللهف إلى جوارك والرضا بضمانك : مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما فى أيد المستأثرين : اللهم عُد بفرجك القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة .

قال طاوس : ثم اختفى فى الناس فألفيته بعرفات قائما على قدميه وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجّى ونصبى وتعبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته فلا أعلم مصيبةً أعظم ممن ورد حوضك وانصرف محروما من وجه رحمتك [1]

الأصمعى قال : رأيت أعرابيا يطوف بالكعبة وهو يقول : إلهى عَجّت إليك الأصواتُ بضروبٍ من اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى إليك إلهى أن تذكرَنى على طول البلاء [2] إذا نسينى أهل الدنيا . اللهم هَب لى حقك ، وأرْض عنى خلقك ، اللهم لا تعْيِنى بطلب مالم تقدّره لى ، وماقدرته لى فيسّره لى .

لأعرابية — قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة ، فقالت : كان الله صاحبَك فى أمرِك ، وخليفتَكَ فى أهلك ، ووَلِىّ نُجح طَلِبَتِكَ . امْض مُصاحَبا مكلوءا ، لا أشمت الله بك عَدُوًّا ، ولا أرى محبيك فيك سوءا .

لأعرابى مات ابنه — قال : ومات ابن لأعرابى فقال : اللهم إنى وهبتُ له ما قصر فيه من برى ، فهب له ما قصَّر فيه من طاعتك : فإنك أجودُ وأكرَم .

قولهم فى الرقائق

لأعرابى — العتبى قال : ذكر أعرابى مصيبة فقال : والله تركت سُودَ الرءوس بيضا ، وبيض الوجوه سُوداً ، وهوّنت المصائبَ بعدها .

(١) فى بعض الأصول : «رغبتك» .

(٢) فى بعض الأصول : «البكاء» .

أخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال يرثى آل أبى سفيان :

رمى الحِدثانُ نسوةَ آل حرب ٭ بمقدار سَمَدن له سُمُودا

فردّ شعورهن السود بيضا ٭ وردّ وجوههن البيض سودا

فإنك إذ سمعت بكاء هند ٭ ورملة إذ يلطمن الخدودا

٥ بكيت بكاء موجَعة بحزن ٭ أصاب الدهر واحدها الفريدا

لأعرابية

قال : قيل لأعرابية أصيبت بابنها : ما أحسن عزاءكِ قالت : إنّ فقدى إياه آمننى كل فقد سواه ، وإن مصيبتى به هوّنت على المصائب بعده : ثم أنشأت تقول :

من شاء بعدَكَ فليَمتْ ٭ فعلَيكَ كنتُ أحاذرُ

كنت السوادَ لمقلتى ٭ فعليك يبكى الناظر

١٠ ليت المنازلَ والدِّيا ٭ رَ حفَائِرٌ ومقابرُ

لأعرابى فى حزنه على ولده

وقيل لأعرابى : كيف حزنك على ولدك ؟ قال : ما ترك همُّ الغَداء والعشاء لى حزنا !

لآخر فى ذهاب شبابه

وقيل لأعرابى : ما أذهبَ شبابك ؟ قال : مَن طال أمده ، وكثر ولده ، وذهب جلده : ذهب شبابه .

لآخر فى نحول جسمه

١٥ وقيل لأعرابى : ما أنحل جسمَكَ ؟ قال : سوء الغِذَاء ، وحُدوبة الرعى ، واختلاجُ الهموم فى صدرى . ثم أنشأ يقول :

الهمُّ مالم تُمْضِهِ لسبيلِهِ ٭ داءٌ تضمَّنَهُ الضّلوعُ عظيمُ

ولربّما استيأستُ ثم أقولُ لا ٭ إنّ الذى ضمِنَ النجاح كريمُ

لآخر فى الكبر

وقيل لأعرابى قد أخذته السن : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت تقيّدنى

٢٠ الشعرة ، وأعثر فى البَعرة ؛ قد أقام الدهر صَعَرى بعد أن أقمت صَعَره .

وقال أعرابى : لقد كنتُ أنكر البيضاء فصرت أنكر السوداء ، فيا خير مبدول ويا شرٌّ بدل !

لبعض الشعراء

وقال أعرابى :

إذا الرجال وَلَدتْ أولادُها ۞ وجعَلت أسـقامُها تعتادُها

واضطرَبتْ من كِبَرٍ أعضادُها ۞ فهِىَ زُروعٌ قد دنا حَصادُها

لأعرابى فى القطيعة

وذكر أعرابى قطيعة بعض إخوانه ، فقال : صَفِرت عِيابُ الودِّ بعد امتلائها واكفهرت وجوهٌ كانت بمائها ؛ فأدبر ما كان مقبلا ، وأقبل ما كان مدبراً . ٥

لآخرين فى تغير الديار

وذكر أعرابى منزلا باد أهله ، فقال : منزل والله رحلتْ عنه ربات الخدور وأقامت فيه أثافىُّ[1] القدور ، وقد اكتسى بالنبات كأنما أُلبس الحُلل ؛ وكان أهله يُعَفُّون فيه آثار الرياح ، وأصبحت الريح تُعَفِّى آثارهم فالعهد قريب والملتقى بعيد . ١٠

ذكر أعرابى قوما تغيرت أحوالهم ، فقال : أعينٌ والله كحلت بالعبرة بعد الحَبْرَة ، وأنفسٌ لبسَت الحزن بعد السرور .

وذكر أعرابى قوما تغيرت حالهم ، فقال : كانوا والله فى عيش رقيق الحواشى فطواه الدهر بعد سعة ، حتى يبست أبدانهم من القُر ، ولم أر صاحبا أغرَّ من الدنيا ، ولا ظالما أغشم من الموت ؛ ومن عصف به الليل والنهار أردياه ، ومن وُكِل به الموت أفناه . ١٥

وقف أعرابى على دار قد باد أهلها ، فقال : دارٌ والله معتصرة للدموع ، حطت بها السحاب أثقالها ، وجرَّت بها الرياح أذيالها .

وذكر أعرابى رجلا تغيرت حاله ، فقال : طُوِيت صحيفته وذهب رزقه ، فالبلاء مُسْرِع إليه ، والعيش عنه قابض كفَّيه . ٢٠

وذكر أعرابى رجلا ضاق عيشه بعد سعة ، فقال : كان والله فى ظل عيش ممدود ، فقدحت عليه من الدهر زَند عين كابية الزند .

---

(١) فى بعض الأصول : « رواحل » .

لأعرابية ترثى ابنها

الأصمعى قال : أنشدنى العُقيل لأعرابية ترثى ابنها :

ختلته المنونُ بعد اختيال ٭ بين صفّين من قناً ونصالِ
فى رداء من الصفيح صقيل[1] ٭ وقميص من الحديد مُذال
كنتُ أخباك لاعتداء يدِ الدهـــرِ ولم تخطرِ المنونُ ببالى

لأعرابى فى مثله

وقال أعرابى يرثى ابنه :

دَفنْت بكفى بعض نفْسى فأصبحت ٭ وللنَّفس منها دافِنٌ ودفين

وقال أعرابى : إن الدنيا تنطق بغير لسان فتُخبر عما يكون بما قد كان .

خرج أعرابى : هاربا من الطاعون ؛ فبينا هو سائر إذ لدغته أفعى فمات ، فقال فيه أبوه :

طاف يَبغى نجوَة ٭ من هلاكٍ فهلكْ
ليت شِعْرى ضَلّةً ٭ أىُّ شىء قتلكْ
والمَنايا رَصــــدٌ ٭ للفتى حيث سَلكْ
كلُّ شىء قاتلٌ ٭ حين تلقَى أجلكْ

لأعرابى فى بلد

وذكر أعرابى بلدا فقال : بلد كالتُّرس ، ما تمشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل ، ولا يمر فيها السَّفر إلا بأدلّ دليل .

قولهم فى الاستطعام

معن بن زائدة وأعرابى

قدم أعرابى من بنى كنانة على معن بن زائدة وهو باليمن ، فقال : إنى والله ما أعرف سببا بعد الإسلام والرحم أقوى من رحلة مثلى من أهل السن والحسب إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك فى المعروف ؛ فإن رأيت أن تضعنى من نفسك بحيث وضعت نفسى من رجائك فافعل . فوصله وأحسن إليه .

لأعرابى

الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : وقف أعرابى

(١) فى بعض الأصول « جديد » .

على قوم فقال : إنا ـ رحمكم الله ـ أبناء سبيل ، وأنضاء طريق وفُلّال سنة ؛ رحم الله امرأ أعطى عن سعة ، وواسى من كفاف . فأعطاه رجل درهما ، فقال : آجرك الله من غير أن يبتليك .

ووقف أعرابى بقوم فقال : ياقوم ، تتابعت علينا سنون جماد شداد ، لم يكن للسماء فيها رَجْع ، ولا للأرض فيها صدْع ، فنضب العِدّ ، ونشف الوشل ، وأمحل الخصب ، وكلح الجدب ، وشف المال ، وكسف البال ، وشظف المعاش ، وذهب الرياش ؛ وطرحتنى الأيام إليكم غريب الدار ، نائى المحل ، ليس لى مال أرجع إليه ، ولا عشيرة ألحق بها ؛ فرحم الله امرأً رحم اغترابى ، وجعل المعروف جوابى .

المهدى فى الطواف

خرج المهدى يطوف بعد هدأة من الليل ، فسمع أعرابية من جانب المسجد وهى تقول : قوم معوزون[1] ، نبتْ عنهم العيون ، وفدحتهم الديون ، وعضتهم السنون ؛ باد رجالهم ، وذهبت أموالهم ، أبناء سبيل ، وأنضاء طريق ، وصية الله ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فهل من آمرٍ بخير ، كلأه الله فى سفره ، وخلفه فى أهله ؟ فأمر نصيراً الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

خزيمة فى إبل أغير عليها

الأصمعى قال : أُغير على إبل خزيمة ، فركب بَحِيرة ، فقيل له : أتركب حراما ؟ قال : يركب الحرام من لا حلال له .

لأعرابى

وقال أعرابى :

ياليت لى نعلَيْن من جِلْدِ الضَّبُع ٭ كلَّ الحذاء يَحتذِى الحافى الوَقِـعْ

بين عتبة بن أبى سفيان وأعرابى

أبو الحسن قال : اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة . قال : لستُ به ولم تُبعد . قال : فيا أخاه ! قال : أسْمعت فقل . قال : شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخُئُولة ، ويشكو إليك كثرة العيال ، ووطأة الزمان ، وشدةَ فقر ، وترادُف ضُر ، وعندك ما يسعُه ويصرف

(١) فى بعض الأصول : « مبطلون » .

عنه بؤسه فقال عتبة أستغفر الله منك ، وأستعينه عليك ، قد أمرت لك بغناك ، فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

لأعرابي يسأل

وسأل أعرابي فقال : رحم الله مسلما لم تمجّ أذناه كلامي ، وقدم لنفسه معاذا من مقامي ، فإن البلاد مجدبة ، والدارَ مضيعة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والعُدم عاذر يدعو إلى إخباركم ؛ والدعاء إحدى الصدقتين ، فرحم الله آمرأً يمير وداعيا بخير . فقال له بعض القوم : ممن الرجل ؟ فقال : ممن لا تنفعكم معرفته ، ولا تضركم جهالتُه . ذلُّ الاكتساب ، يمنع من عز الانتساب .

أعرابي أغير على إبله

العتبي قال : قدم علينا أعرابي فى فِشّاش[1] قد أطردت اللّصاصُ إبله ، فجمعت له شيئا من أهل المسجد ، فلما دفعت إليه الدراهم أنشأ يقول :

لا والذى أنا عبدٌ فى عبادته ٭ لولا شماتةُ أعداءٍ ذوى إحَنِ
ما سرّنى أنّ إبلى فى مباركِها ٭ وأنّ أمرا قضاهُ الله لم يكن

أخذ هذا المعنى بعض المحدثين فقال :

لولا شماتةُ أعداءٍ ذوى حسدٍ ٭ وأنْ أنال بنفعى من يُرجّينى
لمّا خطَبْت إلى الدُّنيا مطالبَها ٭ ولا بَذلتُ لها عِرضى ولا دينى
لكن مُنافسة الأكفاءِ تَحملُنى ٭ على أُمورٍ أراها سوف تُرْدينى
وقد خشيت بأنْ أبقى بمنزلةٍ ٭ لا دين عندى ولا دُنيا تُواتينى

بين خالد القسرى وأعرابى

العتبي قال : دخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسرى ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

أصلحكَ الله قَلَّ ما بيدى ٭ فما أطيق العيال إذ كثُروا
أناخ دهرٌ ألقى بكلْكلِه ٭ فأرسَلونى إليك وانتظروا

قال : أرسلوك وانتظروا ؟ والله لا تجلس حتى تعود إليهم بما يسرهم ! فأمر له بأربعة أبعرة موقورة بُرًّا وتمرا وخلع عليه .

---

(١) الفشاش : كساء غليظ .

ابن طوق وأعرابي

الشيبانى قال : أقبل أعرابى إلى مالك بن طوق ، فأقام بالرحبة حيناً ، وكان الأعرابى من بنى أسد صعلوكا فى عباءة صوف وشملة شعر ، فكلما أراد الدخول منعه الحجاب ، وشتمه العبيد ، وضربه الأشراط ؛ فلما كان فى بعض الأيام خرج مالك بن طوق يريد التنزه حول الرحبة ، فعارضه الأعرابى، فضربوه ومنعوه ، فلم يثنه ذلك حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ، إنى عائذ بالله من أشراطك هؤلاء ! فقال مالك : دعوا الأعرابى ؛ هل من حاجة يا أعرابى ؟ قالَ : نعم أصلح الله الأمير ؛ أن تُصغى إلىّ بسمعك، وتنظر إلىّ بطرفك، وتُقبل إلىّ بوجهك . قال : نعم . فأنشأ الأعرابى يقول :

ببابِكَ دون الناس أنزلتُ حاجتى * وأقبلتُ أسعَى حولهُ وأطوفُ
ويمنَعُنى الحُجّابُ والسِّترُ مُسْبَل * وأنت بعيد والشروطُ صفوفُ
يدورونَ حوْلى فى الجلوس كأنهمْ * ذِئاب جياع بينهُنّ خروفُ
فأمّا وقد أبصرْتُ وجهكَ مُقبلاً * فأُصْرَف عنه إنى لضَعِيفُ
ومالِى مِنَ الدُّنيا سِواكَ ولا لِمَنْ * تَرَكتُ ورائِى مَرْبَعٌ ومَصيفُ
وقد عَلِمَ الحيّان قيْسٌ وخنْدفٌ * ومَنْ هُو فيها نازلٌ وحليفُ
تخطّيْتُ أعناقَ المُلوكِ ورحْلَتِى * إليكَ وقد حنّتْ إليكَ صُروفُ
فجئْتُكَ أبغى اليُسْرَ منكَ فمرّ بِى * ببابكَ مِنْ ضرْبِ العبيدِ صُنوفُ
فلا تَجعلنْ لى نحوَ بابكَ عوْدَةً * فقلْبى من ضرْبِ الشُّروطِ مَخوفُ

فاستضحك مالك حتى كاد أن يسقط عن فرسه ؛ ثم قال لمن حوله : من يعطيه درهما بدرهمين وثوبا بثوبين ؟ فوقعت عليه الثياب والدراهم من كل جانب حتى تحير الأعرابى ؛ ثم قال له : هل بقيتْ لك حاجة يا أعرابى ؟ قال : أما إليك فلا ! قال : فإلى من ؟ قال : إلى الله أن يبقيك للعرب ؛ فإنها لا تزال بخير ما بقيت لها .

دخل أعرابى إلى هشام بن عبد الملك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أتت علينا

ثلاثة أعوام : فعام أذابَ الشحم ، وعام أكلَ اللحم ، وعام آنتقى العظم ؛ وعندكم أموال ، فإن تكن لله فبثوها فى عباد الله ، وإن تكن للناس فلِمَ تُحْجَبُ عنهم ، وإن تكن لكم فتصدقوا ؛ إن الله يجزى المتصدقين ! قال هشام : هل من حاجة غير هذه يا أعرابى ؟ قال : ما ضربتُ إليك أكباد الإبل أدرع الهجير ، وأخوض الدجا لخاصٍّ دون عام ، ولا خير فى خير لا يعم . فأمر له هشام بأموال فُرِّقتْ فى الناس ؛ وأمر للأعرابى بمال فرّقه فى قومه .

لبعض الأعراب

طلب أعرابى من رجل حاجة فوعده قضاءها ؛ فقال الأعرابى : إن مَن وعَدَ قضى الحاجةَ وإن كَثُرتْ ؛ والمطل من غير عسر آفةُ الجود .

وقال أعرابى ، وأتى رجلا لم تكن بينهما حرمة فى حاجة له ، فقال : إنى امتطيت إليك الرجاء ، وسرت على الأمل ، ووفدت بالشكر ، وتوسلت بحسن الظن : فحقق الأمل ، وأحسن المثوبة [1] ، وأكرم القصد ، وأتم الود ، وعجل المراد .

أعرابى فى حلقة يونس

وقف أعرابى على حلقة يونس النحوى ، فقال : الحمد لله ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه . إنا أناس قدمنا هذه المدينة ثلاثون رجلا ؛ لا ندفن ميتاً ؛ ولا نتحول من منزل وإن كرهناه ؛ فرحم الله عبداً تصدّق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، ورسل سَنَة ؛ فإنه لا قليل من الأجر ؛ ولا غنى عن الله ، ولا عملَ بعد الموت ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ مَنْ ذا الذى يُقْرِضُ الله قرْضاً حسَناً ﴾ إن الله لا يستقرض من عَوز ؛ ولكن ليبلو خيارَ عباده .

وقف أعرابى فى شهر رمضان على قوم ؛ فقال : يا قوم لقد ختمت هذه الفريضةُ على أفواهنا من صُبح أمس ، ومعى بنتان لى ، والله ما عَلِمْتُهما تخللا بخلال ؛ فهل رجل كريمٌ يرحم اليوم مقامنا [2] ، ويرد حشاشتنا ؛ منعه الله أن

(١) فى بعض الأصول « المنزلة » .

(٢) فى بعض الأصول « ذلنا » .

يقوم مقامى فإنه مقام ذل وعار وصَغار ! فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ! فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعا ، ثم قال : أشدُّ واللهِ عليّ من سوء حالى وفاقتى ، توهُّمى فيكم المواساة ! انتعِلوا الطريق لاصحبكم الله .

الأصمعى قال : وقف أعرابىٌّ علينا فقال : يا قوم ، تتابعت علينا سنون بتغير وانتقاص ، فما تركت لنا هُبَعاً ولا رُبعاً ، ولا عافطة ولا نافطة ، ولا ثاغية ولا راغية ؛ فأماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ؛ فأعينونى من فضلِ ما آتاكم الله ، وارحموا أبا أيتام ، ونضو زمان ؛ فلقد خلفت أقواما يمرضون مريضهم ولا يكفنون ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل إلى منزل وإن كرهوه ؛ ولقد مشيت حتى انتعلتُ الدماء ، وجُعتُ حتى أكلتُ النوى[1] .

لأعرابية مع عبد الرحمن ابن أبى بكر

الأصمعى قال : وقفت أعرابية من هوازن على عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق فقالت : إنى أتيتُ من أرض شاسعة ، تهيضنى هائضة[2] وترفعنى رافعة فى بوادٍ بَرَيْن لحمى ، وهِضن عظمى : وتركْنَنى والهة ، قد ضاق بى البلد ، بعد الأهل والولد ، وكثرة من العدد ؛ لا قرابة تُئوينى ، ولا عشيرة تحمينى ؛ فسألت أحياء العرب : مَن المرتجَى سَيْبُه ، المأمونُ عيبه ، الكثير نائله ، المكفِىُّ سائله ؟ فدُللتُ عليك ؛ وأنا امرأة من هوازن ، فقدت الولد والوالد ، فاصنع فى أمرى واحدة من ثلاث : إما أن تُحْسِن صَفَدى ، وإما أن تُقيم أوَدى ، وإما أن تَرُدَّنى إلى بلدى . قال : بل أجمعهن لك ! ففعل ذلك بها أجمع .

شعر لبعض الأعراب

وقال أعرابى :

يا عامِلَ الخيرِ رُزِقت الجنّهْ * أُكْسُ بُنَيّاتى وأُمَّهُنّهْ
وكُنْ لنا مِنَ الزمانِ جُنّهْ * وارْدُدْ علينا إنّ إنّ إنّهْ
أقسمْتُ باللهِ لتَفْعلنّهْ

(١) فى بعض الأصول : « الثرى » .

(٢) فى بعض الأصول : « تهبطنى هابطة » .

لبعض الأعراب

الأصمعى قال : وقفت أعرابية فقالت : يا قوم ، سَنة جردتْ وأيد جمدت ، وحال أجهدت ؛ فهل من فاعل لخير ، وآمر بمِيْر ؟ رحم الله من رَحم ، وأقرض من يُقرض[1] .

الأصمعى قال : أصابت الأعراب أعوامٌ جدبة وشدة وجَهْد ، فدخلت طائفة منهم البصرة وبين أيديهم أعرابى وهو يقول : أيها الناس ، إخوانكم فى الدين ، وشركاؤكم فى الإسلام ، عابرو سبيل ، وفُلال بؤس ، وصرعى جدب ، تتابعت علينا سنون ثلاثة ، غيرت النِّعم وأهلكت النَّعم ، فأكلنا ما بقى من جلودها فوق عظامها فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونمنّى بالغيث قلوبنا ، حتى عاد مخنا عظاماً ، وعاد إشراقنا ظلاماً ، وأقبلنا إليكم يصرعنا الوعر ، ويكتنا السهل ، وهذه آثار مصائبنا ، لائحة فى سِماتنا ، فرحم الله متصدقاً من كثير ، ومواسيا من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال وبلغ المجهود ، والله يجزى المتصدقين .

الأصمعى قال : كنتُ فى حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابى سائلا ، فقال : أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، ويُبرز الكَعاب ؛ وقد حملتنا سِنو المصائب، ونكبات الدهور ، على مركبها الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، ونضو زمان ، وطريد فاقة ، وطريح هلكة ، رحمكم الله .

أتى أعرابى عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ، ساقته إليك الحاجة ، وبلغت به الغاية ، واللهُ سائلك عن مقامى هذا . فقال عمر : ما سمعتُ أبلغَ من قائل ولا أوعظ لِمَقول له من كلامك هذا[2] .

سمع عدى بن حاتم رجلا من الأعراب وهو يقول : يا قوم ، تصدقوا على شيخ مَعِيل ، وعابر سبيل ، شهد له ظاهرُه ، وسَمِع شكواه خالقه ، بدنه مطلوب وثوبهُ مسلوب ! فقال له : من أنت ؟ قال : رجل من بنى سعد فى دية لزمتنى ، قال : فكم هى ؟ قال : مائة بعير . قال : دُونكها فى بطن الوادى !

(١) فى بعض الأصول : « من لا يظلم » .
(٢) فى بعض الأصول : « ولا أوعظ من واعظ ولا أبلغ من مقول له منك ومنى » .

سأل أعرابى رجلا فأعطاه ، فقال : جعل الله للمعروف إليك سبيلا ، وللخير عليك دليلا ، ولا جعل حظَّ السائل منك عذرة صادقة .

وقف أعرابى بقوم فقال : أشكو إليكم أيها الملأ زمانا كلح فى وجهه ، وأناخ علىّ كلكَلُه ، بعد نعمة من البال ، وثروة من المال ، وغبطة من الحال ؛ اعتورتنى شدائده ، بقَبل مصائبه ، عن قِسِىّ نوائبه ، فما ترك لى ثاغية أجتدى ضرعَها ، ولا راغيةً أرتجى نفعها ، فهل فيكم من معين على صرْفه ، أو مُعدٍ على حتفه ؟ فردّ القوم عليه ولم يُنيلوه شيئا ؛ فأنشأ يقول :

قد ضاع مَن يأمُل من أمثالِكمْ * جُوداً وليس الُجود من فعالِكمْ

لا بارك الله لكم فى مالِكم * ولا أزاح السوء عن عيالِكم

فالفقر خير من صَلاح حالِكم

الأصمعى قال : سأل أعرابى فلم يُعطَ شيئا ، فرفع يديه إلى السماء وقال :

يا ربِّ أنت ثقتى وذخْرى * لِصبيةٍ مثل صِغار الذَّرِّ

جاءهم البَرد وهم بشرٍّ * بغير لُخفٍ وبغير أُزْر

كأنهم خنافسٌ فى جُحر * تَراهم بعد صلاة العصْر

وكلهم مُلتصِقٌ بصدرى * فاسمعْ دعائِى وتَولَّ أمرى

سأل أعرابى ومعه ابنتان له ، فلم يُعطَ شيئا ؛ فأنشأ يقول :

أيا ابنتىَّ صابِرا أباكما * إنكما بعين مَن يَراكما

اللهُ مولاىَ وهو مولاكما * فأخلِصا لله فى نَجواكما

تضرُّعا لا تَذْخَرا بُكاكما * لعله يَرحم مَن آواكما

إنْ تَبكِيا فالدهرُ قد أبكاكما

هشام وأعرابى

العتبى قال : كانت الأعراب تنتجع هشام بن عبد الملك بالخطب كل عام ؛ فتقدّم إليهم الحاجب يأمرهم بالإيجاز ، فقام أعرابى فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله تبارك وتعالى جعل العطاء محبة ؛ والمنع مبغضة ؛ فلأنْ

نجبك خير من أن تبغضك ! فأعطاه وأجزل له .

الأصمعى قال : وقف أعرابى غَنَوِىٌّ على قوم ؛ فقال بعد التسليم : أيها الناس ، ذهب النَّيْل ؛ وعجف الخَيْل ؛ وبُخس الكيل ؛ فمن يرحم نضو سفر ، وقل سنة ، ويُقرض الله قرضاً حسنا . لا يستقرض اللهُ من عُدْم ، ولكن ليبلوَكم فيما آتاكم . ثم أنشأ يقول :

هل من فتًى مقتدرٍ معينِ * على فقيرٍ بائسٍ مسكينِ
أبِى بناتٍ وأبى بنينِ * جزاه ربِّى بالذى يُعطينِى
أفضلَ ما يُجزَى به ذو الدِّين

لبعض الأعراب

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول لرجل : أطعمك الله الذى أطعمتنى له ؛ فقد أحييتنى بقتل جوعى ، ودفعت عنى سوء ظنى بيومى ؛ فحفظك الله على كل جنب ، وفرج عنك كل كرب ، وغفر لك كل ذنب .

وسأل أعرابىّ رجلا فاعتلّ عليه ، فقال : إن كنتَ كاذبا فجعلك الله صادقا !

المأمون وأعرابى

وقال أعرابى للمأمون :

قلْ للإمام الذى تُرْجَى فضائله * رأسِ الأنام وما الأذنابُ كالراسِ
إنى أعوذ بهرون وحُفرته * وبآبن عمّ رسول الله عبّاس :
من أن تُشدّ رحال العِيس راجعةً * إلى اليمامة بالحِرْمان واليأس

أعرابى وزوجه فى مجاعة

الأصمعى قال : أصابت الأعرابَ مجاعةٌ ، فمررت برجل منهم قاعد مع زوجته بقارعة الطريق وهو يقول :

يا ربِّ إنى قاعدٌ كما ترى * وزوجتى قاعدةٌ كما ترى
والبطن منِّى جائع كما ترى * فما ترى يا ربّنا فيما ترى !

أعرابى فى مجاعة

الأصمعى قال : حدّثنى بعض الأعراب قال : أصابتنا سَنَة وعندنا رجل غنى وله كلب ، فجعل كلبه يعوى جوعا ، فأنشأ يقول :

تشكّى إلىّ الكلب شدّة جوعه * وبى مثلُ ما بالكلب أو بى أكثرُ
فقلتُ : لعلّ الله يأتى بغيثه * فيُضحى كلانا قاعداً يتكبّر[1]
كأنى أمير المؤمنين من الغنَى * وأنت من النعمى كأنك جعفر

أعرابى اسمه عمرو

الأصمعى قال : سأل أعرابىّ رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ؛ فردهما عليه وقال : ٥

تركتُ لعمرو درهميْه ولم يكن * ليُغْنِىَ عنّى فاقتى درهما عمرِو
وقلتُ لعمرو خذهما فاصطرفهما * سريعيْن فى نقْض المودة والأجْر

لبعض الأعراب

أبو الحسن قال : وقف علينا أعرابى ، فقال : أخ فى كتاب الله ، وجار فى بلاد الله ، وطالب خير من رزق الله ؛ فهل فيكم من مُواس فى الله ؟ .

الأصمعى قال : ضجر أعرابى بكثرة العيال والولد ، وبلغه أنّ الوباء بخيبر شديد ؛ فخرج إليها يعرّضهم للموت ، وأنشأ يقول : ١٠

قلتُ لحمّى خيبَر آستعدّى * هاكِ عيالى فاجهدى وجِدّى
وباكرى بصالِب وورْدِ * أعانكِ الله على ذى الجُند

فأخذته الحمى ، فمات هو وبقى عياله .

مروان وأعرابى

سأل أعرابىّ شيخاً من بنى مروان وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابتنا سنة ١٥ ولى بضعَ عشرة بنتا ، فقال الشيخ : أمّا السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفائح من حديد ، ويكون مسيلها مما يلينى فلا تقطر عليكم قطرة ؛ وأمّا البنات فليت الله أضعفهنّ لك أضعافا كثيرة ، وجعلك بينهنّ مقطوع اليدين والرجلين ليس لهن كاسب غيرك ! قال : فنظر إليه الأعرابى ثم قال : والله ما أدرى ما أقول لك ، ولكن أراك قبيح المنظر ، سيّئ الخلق ، فأعضّك الله ببظر أمّهات ٢٠ هؤلاء الجلوس حولك !

طائفى وأعرابى

وقف أعرابىّ على رجل شيخ من أهل الطائف ، فذكر له سنة وسأله ،

(١) فى بعض الأصول : « يتذمر ».

فقال : وددت والله أنّ الأرض خطة لا تنبت شيئا ! قال : ذلك أيبس لجفير أمّك فى آستها .

قولهم فى المواعظ والزهد

هشام وأعرابى

أبو حاتم عن الأصمعى قال : دخل أعرابى على هشام بن عبد الملك فقال له : عظنى يا أعرابى . فقال : كفى بالقرآن واعظا ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَيْلٌ للمطفِّفين ٭ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوْفون ٭ وإذا كالوهمْ أو وزَنوهم يُخسِرون ٭ ألا يظُنُّ أُولئك أنهم مَبعوثون ٭ ليومٍ عظيمٍ ٭ يومَ يقومُ النّاسُ لربِّ العالمين ﴾ ثم قال : يا أمير المؤمنين ، هذا جزاء من يطفِّف فى الكيل والميزان ، فما ظنُّك بمن أخذه كله ؟ !

لأعرابى يعظ أخاه

وقال أعرابى لأخيه : يا أخى ، أنت طالب ومطلوب ، يطلبك ما لا تفوته ، وتطلب ما قد كُفيتَه ، فكأنّ ما غاب عنك قد كُشف لك ، وما أنت فيه قد نُقلت عنه ، فامهد لنفسك ، وأعدّ لغدك ، وخذ فى جهازك .

ووعظ أعرابى أخا له أفسد ماله فى الشراب ، فقال : لا الدهر يعظك ، ولا الأيام تُنذرك ، ولا الشيب يزجرك ؛ والساعات تُحصى عليك ، والأنفاس تُعَدّ منك ، والمنايا تُقاد إليك ؛ أحب الأمور إليك أعْودها بالمضرة عليك .

لبعض الأعراب

وقيل لأعرابى : مالك لا تشرب النبيذ ؟ قال : لثلاث خلال فيه : لأنه متلف للمال ، مذهب للعقل ، مُسقط للمروءة .

وقال أعرابى لرجل : أى أخى ، إن يسار النفس أفضل من يسار المال ، فإن لم ترزق غنى ، فلا تحرم تقوى ، فرب شبعان من النعم ، غرثان[1] من الكرم ؛ وآعلم أن المؤمن على خير ، ترحّب به الأرض ، وتستبشر به السماء ؛ ولن يُساء إليه فى بطنها ، وقد أحسن على ظهرها .

(١) فى بعض الأصول : « عريان » .

وقال أعرابى : الدراهمُ مياسم تَسِمُ حمداً وذمًّا ؛ فمن حبسها كان لها ، ومن أنفقها كانت له ؛ وما كلُّ من أُعطِى مالا أُعطِىَ حمداً ولا كل عديمٍ ذميمٌ .

أخذ هذا المعنى الشاعر فقال :

أنتَ للمالِ إذا أمسكْتَهُ * فإذا أنفقْتَهُ فالمالُ لكْ

لابن عباس — وهذا نظير قول ابن عباس ـ ونظر إلى درهم فى يد رجل ـ فقال : إنه ليس لك حتى يخرج من يدك . ٥

لبعض الأعراب — وقال أعرابى لأخ له : يا أخى ، إن مالك إن لم يكن لك ، كنت له ؛ وإن لم تُفنه أفناك : فكُلْه قبل أن يأكلك .

وقال أعرابى : مضى لنا سلفٌ أهل تواصُل اعتقدوا مننا ، واتخذوا الأيادى ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم فرضا لازما ، وإظهار البرّ واجباً ثم جاء الزمان ببنين اتخذوا مِنَنهم بضاعة ، وبرَّهم مرابحة ، وأياديهم تجارة ، واصطناع المعروف مقارضة كنقد [السوق] : خذ منى وهات . ١٠

وقال أعرابى لولده : يابنى ، لاتكن رأسا ولا ذَنَبا ، فإن كنت رأسا فتهيأ للنطاح ، وإن كنت ذَنَبا فتهيأ للنكاح .

قال : وسمعت أعرابيا يقول لابن عمه : سأتخطى ذنْبك إلى عُذرك ، وإن كنتُ من أحدهما على شك ومن الآخر على يقين ؛ ولكن لِيَتِمّ المعروف منى إليك ، ولتقوم الحجة لى عليك . ١٥

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن الموفَّق من ترك أرفق الحالات به لأصلحها لدينه ، نظرا لنفسه إذا لم تنظر نفسه لها .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الله مُخلِفُ ما أتلف الناس ، والدهر مُتلِف ما أخلفوا ، وكم من ميتة عليها طلب الحياة ، وكم من حياة سببها التعرض للموت . ٢٠

وقال أعرابى : إن الآمال قَطَعت أعناق الرجال ، كالسراب : غرَّ من رآه ، وأخلف من رجاه .

وقال أعرابى لصاحب له : اصحب من يتناسى معروفَهُ عندك ، ويتذكر حقوقَكَ عليه .

وقال أعرابى : لا تسأل عمن يفرّ من أن تسأله ، ولكن سل مَن أمَرَك أن تسأله ، وهو الله تعالى .

وقيل لأعرابى فى مرضه : ما تشتكى ؟ قال : تمامَ العِدّةِ ، وانقضاء المدّةِ .

ونظر أعرابى إلى رجلٍ يشكو ماهو فيه من الضيق والضر ، فقال : ياهذا ، أتشكو مَنْ يرحمُك إلى من لا يرحَمُكَ .

وقالت أعرابية لابنها : يابنىّ ، إن سؤالك الناسَ مافى أيديهم أشد من الافتقار إليهم ، ومن افتقَرْت إليه هُنْت عليه ، ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تَسأل وتَرغب فإذا ألحّتْ عليك الحاجة ولزمك سوء الحال ، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول ، فإنه يعطى السائل .

وقالت أعرابية تُوصى ابناً لها أراد سفرا : يا بُنىّ ، عليك بتقوى الله فإنها أجدى عليك من كثير غيرك ؛ وإياك والنمائم ، فإنها تورث الضغائن وتفرق بين المحبين ، ومثّل لنفسك مثالا تستحسنه من غيرك فاحذر عليه واتخذه إماماً ، واعلم أنه من جمع بين السخاء والحياء ، فقد أجاد الحلةَ إزارَها ورداءها .

قال الأصمعى : لا تكون الحلة إلا ثوبين : إزاراً ورداء .

أنشد الحسن لأعرابى كان يطوف بأمه على عاتقه حول الكعبة :

إنْ تَركبى على قذالى فاركَبى * فطالما حَملْتِنى وسِرْتِ بِى
فى بطنِكِ المطهَّرِ المطيَّبِ * كم بين هٰذاك وهذا المرْكَب

وأنشد لآخر كان يطوف بأمه :

ماحجَّ عبدٌ حَجَّةً بأمِّه * فكان فيها مُنْفِقاً من كدِّهِ
إلا آستَتمَّ الأجرَ عِند ربِّهِ

قال وسمعت أعرابيا يقول : مابقاءُ عمرٍ تقطعه الساعات ، وسلامة بَدَنٍ مُعرّض للآفات ! ولقد عَجِبتُ من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذى أحيا له ليلَه وأظمأ له نهاره .

وذكر أهل السلطان عند أعرابى فقال : أما والله لئن عزُّوا فى الدنيا بالجوْر

لقد ذلُّوا فى الآخرة بالعدل ، ولقد رضوا بقليل فان عِوضاً عن كثير باق ، وإنما تزل القدم حيث لا ينفع الندم .

ووصف أعرابى الدنيا فقال : هى رنقةُ المشارب ، جمة المصائب لا تمتعك الدهر بصاحب .

وقال أعرابى : من كان مطيته الليل والنهار سارا به وإن لم يَسِرْ ، وبلغا به وإن لم يبلغ .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الزهادة فى الدنيا مفتاحُ الرغبة فى الآخرة والزهادة فى الآخرة مفتاحُ الرغبة فى الدنيا .

وقيل لأعرابى وقد مرض : إنك تموت ! قال : وإذا متُّ فإلى أين يُذهَب بى؟ قالوا : إلى الله ! قال : فما كراهتى أن يذهب بى إلى من لم أر الخير إلا منه ؟

وقال أعرابى : من خاف الموت بادره الموت ، ومن لم يُنَحِّ النفس عن الشهوات أسرعت به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك .

وقال أعرابى لصاحب له : والله لئن هملجت إلى الباطل إنك لعطوف عن الحق ، وإن أبطَأت ليُسْرِعَنَّ إليك ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم رابحون ؛ فلا تغرَّنّك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك .

وقال أعرابى : خير لك من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة ، وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت .

وقال أعرابىّ : حسبك من فساد الدنيا أنك ترى أسنمة توضع ، وأخفافا ترفع ، والخيرَ يُطلب عند غير أهله ، والفقيرَ قد حل غير محله .

وقدم أعرابى إلى السلطان فقال له : قُلِ الحقَّ وإلا أوجَعْتُكَ ضرباً ! قال له : وأنت فاعمل به ، فوالله ما أوعدك الله على تركه أعظمُ مما توعَّدُنى به .

وقيل لأعرابى : من أحقُّ الناس بالرحمةِ ؟ قال الكريم يسلط عليه اللئيم ، والعاقل يسلط عليه الجاهل .

وقيل له : أى الداعين أحق بالإجابة ؟ قال المظلوم .

وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : من أفرد الله بحاجته .

ونظر عثمان إلى أعرابى فى شَملة غائر العينين مُشرف الحاجبين ناتئ الجبهة ، فقال له : يا أعرابى ، أين ربُّك ؟ قال : بالمرصاد .

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يقول : إذا أشكل عليك أمران فانظر أيهما أقرب من هواك فخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : من نَتَج[1] الخير أنتج له فِراخا تطير بأجنحة السرور ؛ ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرًّا مذاقه ، وقضبانه الغيظ ، وثمرته الندم .

وقال أعرابى : الهوى[2] عاجله لذيذ ، وآجله وخيم .

وقيل لأعرابى : إنك لحَسَن الشارة . قال : ذلك عنوان نعمة الله عندى .

قال الأصمعى : ورأيت أعرابيا أمامه شاء فقلت له : لمن هذه الشاء ؟ قال : هى لله عندى .

وقيل لأعرابى : كيف أنت فى دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصى وأرقعه بالاستغفار .

وقال أعرابى : من كساه الحياء ثوبَه خَفِىَ على الناس عيبه .

وقال : بئس الزاد التعدى على العباد .

وقال : التلطف بالحيلة أنفع من الوسيلة .

وقال : من ثقل على صديقه خفَّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون .

قال وسمعت أعرابيا يقول لابنه وهو يعاتبه : لا تتوهمن ـ على من يستدل على غائب الأمور بشاهدها ـ الغفلة عن أمور يعاينها ، فتكون بنفسك بدأت ، وحظَّك أخطأت .

ونظر أعرابى إلى رجل حسن الوجه بَضِّ فقال : إنى أرى وجها ما عَلِقَه

(١) فى بعض الأصول : « ولد » .

(٢) فى بعض الأصول : « الشر » .

بَرْدُ وُضوء السَّحَر ، ولا هو بالذى قال فيه الشاعر :

من كلِّ مجتهدٍ يرَى أوصالَه ٭ صومُ النهار وسجدة[1] الأسحار

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا ينشد :

وإذا أظهرْتَ أمراً حسَنا ٭ فليكن أحسن منه ما تُسِرّ

فمُسِرُّ الخير مَوسومٌ به ٭ ومُسِرُّ الشرِّ مَوسومٌ بِشَرّ ٥

وقول الأعرابى هذا على ما جاء فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اسر امرؤٌ سريرة إلا ألبسه الله رداءها ، إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر .

قال : وأنشدنى أعرابى :

وما هـــذه الأيام إلّا مُعـارةٌ ٭ فما اسطعْت من معْروفها فتزوّدِ

فإنك لا تدرى بأيّة بـــلدةٍ ٭ تموت ولا ما يُحدِث الله فى غدِ ١٠

يقولون لا تَبعَدْ ومَن يك مُسدَلاً ٭ على وجهِه سِتْرٌ من الأرض يَبعَدِ

وقال أعرابى : أعجز الناس من قصَّر فى طلب الإخوان ، وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم .

وقال أعرابى لابنه : لا يسرك أن تغلب بالشر ؛ فإن الغالب بالشر هو المغلوب .

وقال أعرابى لأخ له : قد نهيتك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء فى وجهه . ١٥ فإن حظك من عطيته السؤال .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : إن حب الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبغض الشر خير وإن فعلت أكثره .

وشهد أعرابى عند سوار القاضى بشهادة ، فقال له : يا أعرابى ، إن مدانا لا يجرى من العتاق فيه إلا الجياد . قال : لئن كشفت لتجدنّى عثوراً ! فسأل ٢٠ عنه سوار فأُخبر بفضل وصلاح ، فقال له : يا أعرابى ، أنت ممن يجرى فى ميداننا . قال : ذلك بستر الله .

---

(١) فى بعض الأصول : « وسهرة » .

وقال أعرابى : والله لولا أن المروءة ثقيل محملها ، شديدة مؤنتها ، ماترك اللئام للكرام شيئاً .

احتُضر أعرابى ، فقال له بنوه : عظنا يا أبت . فقال : عاشروا الناس معاشرة إن غبتم حنوا إليكم ، وإن متم بكوا عليكم .

ودخل أعرابى على بعض الملوك فى شملة شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : إن الشملة لا تكلمك وإنما يكلمك من هو فيها .

مرّ أعرابى بقوم يدفنون جارية ، فقال نعم الصهر ما صاهرتم ! وأنشد :

وفى الأعياص أكماءٌ لليْلَى ٭ وفى لحدٍ لهـا كُفءٌ كريمُ

وقال أعرابى : رب رجل سِره منشور على لسانه ، وآخر قد التحف عليه قلبه التحاف الجناح على الخوافى .

ومرّ أعرابيان برجل صَـلَبه بعض الخلفاء ، فقال أحـدهما : أنبتته الطاعة وحصدته المعصية ! وقال الآخر : من طلق الدنيا فالآخرة صاحبته ، ومن فارق الحق فالجِذْع راحلته .

العتبى عن زيد بن عُمـارة ، قال : سمعت أعرابيا يقول لأخيه وهو يبنى منزلا : يا أخى :

أنت فى دارِ شَـتَاتٍ ٭ فتــأهّبْ لِشتاتِكْ
واجعل الدُّنيـا كيوْمٍ ٭ صُمْتَهُ عن شهواتِكْ
واجعـل الفِطْرَ إذا ما ٭ نِلْتَـــه يوم ممـاتك
واطلبِ الفوْز بعيش الز ٭ هد[1] من طول حياتك

ثم أطرق حينا ورفع رأسه وهو يقول :

قائدُ الغفْـلة الأمل ٭ والهوى قائدُ الزَّلل
قَتَلَ الجهلُ أهـله ٭ ونجا كلُّ من عقلْ

(١) فى بعض الأصول : « الدهر » .

فاغتنِم دولة السّـــلا * مة واستأنف العملْ
أيهـا المُبتنى القصو * رَ وقد شاب واكتَهلْ
أخبَر الشَّيْب عنك أنــك فى آخر الأجـل
فعـلامَ الوقوفُ فى * عَرْصة العجز والكسل
أنت فى منزلٍ إذا * حَلَّه نازلٌ رَحـــلْ ٥
منزل لم يَزل يَضيـــقُ ويَنبو بمن نزل
فتأهَّب لرحـــلة * ليس يسعى بها جَمل
رِحـلةٍ لم تزل على الـــدهر مكروهة القَفَلْ

لأعرابى فى السر — وقيل لأعرابى : كيف كِتمانك للسر ؟ قال : ما جوفى له إلا قبر .

لآخر فى الوفاء — وقال أعرابى : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل . ودوام عهده ، فانظر إلى ١٠
حنينه إلى أوطانه ، وشوقه إلى إخوانه ، وبكائه على مامضى من زمانه .

لآخر فيا يضيع الأمور — وقال أعرابى : إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه ، والسلاح عند من لا يستعمله ، والمال عند من لا ينفقه ـ ضاعت الأمور .

لآخر فى القدر — وسئل أعرابى عن القدر فقال : الناظر فى قدَر الله كالناظر فى عين الشمس :
يعرف ضوءها ولا يقف على حدودها . ١٥

وسئل آخر عن القدر فقال : علمٌ اختصمتْ فيه العقول ، وتقاول فيه المختلفون ، وحق علينا أن نرد ما التبس علينا من حكمه إلى ما سبق من علمه .

وقال أعرابى تكوير(١) الليل والنهار ، لا يُبْقِى على الأعمار ، ولا لأحد فيه الخيار .

الحجاج وأعرابى — أبو حاتم عن الأصمعى قال : خرج الحَجاج ذات يوم فأصحر ، وحضر ٢٠
غداؤه فقال : اطلبوا من يتغدّى معنا . فطلبوا ، فلم يجدوا إلا أعرابياً فى شملة ، فأتوه به ، قال له : هلم . قال له : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبتُه ! قال :

(١) فى بعض الأصول : « تعاور » .

ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى ، دعانى إلى الصيام ، فأنا صائم . قال : صوم فى مثل هذا اليوم على حر ؟ قال صمت ليوم هو أحرّ منه ! قال فأفطر اليوم وتصوم غدا . قال : ويضمن لى الأمير أن أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك إلى قال : فكيف تسألنى عاجلا بآجل ليس إليه سبيل ! قال : إنه طعام طيب . قال :
٥ والله ما طيّبه خبازك ولا طباخك ، ولكن طيبته العافية ! قال الحجاج : تالله ما رأيت كاليوم ، أخرجوه عنى .

لأعرابى

أبو الفضل الرياشى قال : أنشدنا أعرابى :

أباكية رزيّنةُ إن أتاها ◦ نعيِّى أَمْ يكونُ لها اصْطِبارُ
إذا ما أهلُ وُدّى ودّعونى ◦ وراحوا والأكُفُّ بها غُبارُ
١٠ وغُودِرَ أعْظُمِى فى لحدِ قبْرٍ ◦ تعاوَرُهُ الجنائِبُ والقِطارُ
تَظَلُّ الرِّيحُ عاصفةً عليهِ ◦ ويَرعَى حولَهُ اللَّهِقُ النَّوارُ
فذاكَ النَّأْىُ لا الهِجرانُ حوْلا ◦ وحَوْلا ثم تجمعُنا الدِّيارُ

لليلى الأخيلية

وهذا نظير قول ليلى الأخيلية :

لعَمْرُكَ ما الهِجرانُ أن تَشْحط النَّوَى ◦ ولكنما الهجرانُ ما غيّبَ القبرُ

للخنساء

١٥ ونظيره قول خنساء :

نأْىُ الخليلينِ كوْنُ الأرضِ بينهما ◦ هذا عليها وهذا تحتها رِمَما

لبعض الشعراء

وأنشد الآخر :

إذا ما المنايا أخطأتْكَ وصادفتْ ◦ حبيبكَ فاعْلمْ أنها ستَعودُ

عمر وأعرابى بالجبانة

الرياشى قال : مَرّ عمر بن الخطاب بالجبّانة فإذا هو بأعرابىّ ، فقال : ما تصنع
٢٠ هنا يا أعرابى فى هذه الديار الموحشة ؟ قال : وديعة لى ها هنا يا أمير المؤمنين . قال : وما وديعتك ؟ قال : بُنَىّ لى دفنته ، فأنا أخرج إليه كل يوم أندبه . قال : فاندبه حتى أسمع . فأنشأ يقول :

يا غائباً ما يؤُوبُ من سَفرهْ ◦ عاجَله موتُه على صِغرهْ

يا قرّةَ العَيْن كنتَ لى سكَنا * فى طولِ ليْلِى نعمْ وفى قِصَرِهْ
شرِبْت كأساً أبوكَ شارِبُها * لابُدَّ يوماً له على كِبَرِهْ
يشرَبُها والأنامُ كُلُّهُم * مَنْ كانَ فى بَدوِهِ وفى حَضَرِهْ
فالحمــدُ للهِ لاشَرِيكَ لهُ * الموتُ فى حُكمِهِ وفى قدرِهْ
قد قُسِّم العمر[1] فى العِبادِ فما * يقـدِرُ خلْقٌ يزيدُ فى عُمرِهْ ٥

قولهم فى المدح

بعضهم فى المدح

ذكر أعرابى قوما عُبادا ، فقال : تركوا والله النعيم ليتنعموا ؛ لهم عبرات متدافعة ، وزفرات متتابعة ، لا تراهم إلا فى وجه وجيه عند الله .

وذكر أعرابىّ قوما فقال : أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ؛ فلم تغُرّهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذى به قطع الناس مسافة آجالهم ؛ فدلّت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالوجْد[2] فأحسنوا المقال ، وشَفعوه بالفعال . ١٠

وسئل أعرابى عن قوم فقال : كانوا إذا اصطفوا سفرت بينهم السهام ؛ وإذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها ؛ فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم ؛ إنمـا قومى البحر . ما ألقمتَه التقَم . ١٥

وذكر أعرابى قوما فقال : مارأيت أسرع [منهم] إلى داع بليل على فرس حسيب وجمل نجيب . ثم لا ينتظر الأولُ السابقُ الآخرَ اللاحق .

وذكر أعرابى قوما فقال : جعلوا أموالهم مناديل أعراضهم . فالخير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ؛ فيعطونها بطيبة أنفسهم إذا طلبت إليهم . ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إذا بُغى لديهم . ٢٠

وذكر أعرابى قوما فقال : والله ما أنالوا شيئا بأطراف أناملهم إلا وطئناه

(١) فى بعض الأصول : « الموت » .
(٢) الوجد : الغنى والسعة .

بأخماص أقدامنا ؛ وإن أقصى هممهم لأدنى فعالنا .

وذكر أعرابى أميرا فقال : إذا ولى لم يطابق بين جفونه ، وأرسل العيونَ على عيونه ؛ فهو غائب عنهم شاهد معهم ، فالمحسن راج والمسيء خائف .

ودخل أعرابى على رجل من الولاة فقال : أصلح الله الأمير ، اجعلنى زماما من أزمتك تجرّبه الأعداء ، فإنى مِسْعَر حرْب ، ورَكّاب نُجب ، شديد على الأعداء لين على الأصدقاء ؛ منطوى الحصيلة ، قليل الثميلة ، نومى غِرار ، قد غَذَتْنى الحرب بأفاويقها ، وحلبت الدهر أشطره ؛ ولا تمنعك منى الدمامة ؛ فإن من تحتها شهامة .

وذكر أعرابى رجلا ببراعة المنطق فقال : كان والله بارع المنطق ، جزل الألفاظ ، عربىّ اللسان ، فصيح البيان ، رقيق حواشى الكلام ، بليل الريق ، قليل الحركات ، ساكن الإشارات .

وذكر أعرابى رجلا فقال : رأيت له حلما وأناة ، يحدثك الحديث على مقاطعه ، ينشدك الشعر على مدارجه ، فلا تسمع له لحنا ولا إحالة .

العتبى قال : ذكر أعرابى قوما ، فقال : آلت سيوفهم ألّا تقضى دينا عليهم ، ولا تضَيّع حقا لهم ، فما أُخذَ منهم مردود إليهم ، وما أَخَذُوا متروكٌ لهم .

ومدح أعرابى رجلا ، فقال : مارأيت عينا قط أخرقَ لظلمة الليل من عينه ولحظةً أشبه بلهيب النار من لحظته ؛ له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجرأة كجرأة الليث إذا غضب .

ومدح أعرابى رجلا فقال : كان الفهمُ منه ذا أذنين ، والجواب ذا لسانين ؛ لم أر أحدا أرْتقَ لخلل الرأى منه ، بعيد مسافة العقل ومَراد الطرف ، إنما يرمى بهمته حيث أشار الكرم .

ومدح أعرابىّ رجلا فقال : ذاك والله فسيح النسب ، مستحكم الأدب ، من أى أقطاره أتيته انتهى إليك بكرم فعال ، وحسن مقال .

ومدح أعرابى رجلا فقال : كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، آمرا بإرشاد ، وناهيا عن فساد ، لحديث السوءِ غيرَ منقاد .

وقال أعرابى : إن فلاناً « نعم » للسانه قبل أن يخلق لسانه لها : فما تراه الدهر إلا وكأنه لا غنى له عنك وإن كنت إليه أحوج ؛ إذا أذنبت إليه غفر وكأنه المذنب ، وإذا أسأت إليه أحسن وكأنه المسىء .

وذكر أعرابى رجلا فقال : اشترى والله عِرْضَه من الأذى ؛ فلو كانت الدنيا له فأنفقها لرأى بعدها عليه حقوقا ، وكان منهاجا للأمور المشكلة إذا تناجز الناس باللائمة .

ومدح أعرابىّ رجلا فقال : كان والله يغسل من العار وجوها مسودة ، ويفتح من الرأى عيونا منسدة .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك والله ينفع سلمه ولا يستمر ظلمه : إن قال فعل ، وإن ولى عدل .

ومدح أعرابى رجلا فقال : ذاك والله يعنى فى طلب المكارم ، غير ضالّ فى مسالك طرقها ، ولا مُشتغل عنها بغيرها .

وذكر أعرابى رجلا فقال : يفوّق [1] الكلمة على المعنى فتمرق مروق السهم من الرمية ، فما أصاب قتل ، وما أخطأ أشوى ، وما عظعظ له سهم منذ تحرك لسانه فى فيه .

وذكر أعرابى أخاه فقال : كان والله رَكوبا للأهوال ، غير ألوف لربّات الحجال ؛ إذا أرعد القوم من غير كرّ [2] ، يهين نفسا كريمة على قومها ، غير مبقية لغد ما فى يومها .

ومدح رجل رجلا فقال : كأن الألسن ريضت فما تنعقد إلا على ودّه ، ولا تنطق إلا بثنائه .

---

(١) فى بعض الأصول : « يسدد » .
(٢) فى بعض الأصول : « قر » .

ومدح أعرابى رجلا فقال : كان والله للإخاء وَصولا ، وللمال بَذولا ، وكان الوفاء بهما عليه كفيلا ، فمن فاضله كان مفضولا .

وقيل لأعرابى : ما البلاغة ؟ قال : التباعد من حشو الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير .

٥ ومدح أعرابى رجلا فقال : كان والله من شجر لا يخلف ثمره ، ومن بحر لا يخاف كدره .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك والله فتى زانه الله بالخير ناشئا ، فأحسن لبسه ، وزين به نفسه .

ومدح أعرابى رجلا فقال : يصم أذنيه عن استماع الخَنا ، ويخرس لسانه

١٠ عن التكلم به ؛ فهو الماء الشَّريب ، والمصقع الخطيب .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك رجل سبق إلىّ معروفه قبل طلبى إليه ، فالعرض وافر ، والوجه بمائه ؛ وما أستقل بنعمة إلا أثقلنى[1] بأخرى .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك رضيع الجود والمفطوم به ، عَيِىٌّ[2] عن الفحشاء ، معتصم بالتقوى ؛ إذا خَرِست[3] الألسن عن الرأى حذف بالصواب

١٥ كما يَحذف الأرنب ؛ فإن طالت الغاية ولم يكن من دونها نهاية تمهل أمام القوم سابقا .

وذكر أعرابى رجلا فقال : إن جليسه لطيب عشرته أطربُ من الإبل على الحداء ، والثَّمِل على الغناء .

وذكر أعرابى رجلا فقال : كان له علم لا يخالطه جهل ، وصدق لا يشوبه

٢٠ كذب ، كأنه الوبْل عند المحْل .

---

(١) فى بعض الأصول : « أقفلنى » .

(٢) فى بعض الأصول : « عقيم » .

(٣) فى بعض الأصول : « حذفت » .

وذكر أعرابى رجلا فقال : مارأيت أعشق للمعروف منه ، ومارأيت المنكر أبغض لأحد منه [١] .

وقدم أعرابى البادية وقد نال من بنى برمك ، فقيل له : كيف رأيتهم ؟ قال : رأيتهم قد أنِست بهم النعمة كأنها من بناتهم [٢] .

قال : وذكر أعرابى رجلا فقال : مازال يبنى المجد ، ويشترى الحمد ، حتى بلغ منه الجهد . ٥

ودخل أعرابى على بعض الملوك فقال : إن جهلا أن يقول المادح بخلاف ما يعرف من الممدوح ، وإنى والله مارأيت أعشق للمكارم فى زمان اللؤم منك . ثم أنشد :

ما لى أرى أبوابَهم مهجورةً ... وكأن بابك مَجمع الأسواقِ ١٠

حابَوكَ أم هابُوك أم شاموا النَّدَى ... بيديْك فاجتمعوا من الآفاق

إنى رأيتــــك للمكارم عاشقاً ... والمكرُمات قليـــلة العشّاق

لبعض الشعراء — وأنشد أعرابى فى مثل هذا المعنى :

بَنَت المكارمُ وسْط بيتك بيتَها [٣] ... فتِلادُها بكَ للصـــديق مُباحُ

وإذا المكارم أغلقتْ أبوابَها ... يوما فأنت لقُفْلها مِفتـــاح ١٥

لشاعر فى بنى المهلب — وأنشد أعرابى فى بنى المهلّب :

قدِمتُ على آل المُهلّب شاتياً ... قصيًّا بعيد الدار فى زمن المَحْلِ

فما زال بى إلطافُهم وافتقادُهم ... وبِرهم حـتى حسبْتهم أهلى

لأعرابى فى مثله — وأنشد أعرابى :

كأنكَ فى الكتاب وجدْت لاءً ... مُحرَّمةً عليـك فما تَحِلُّ ٢٠

(١) فى بعض الأصول : « بغضه » .

(٢) فى بعض الأصول : « ثيابهم » .

(٣) فى بعض الأصول : « كهفها » .

وما تَدرى إذا أعْطيتَ مالا ۞ أتُكثِر من سماحك أم تُقل

إذا دخل الشتاء فأنت شمس ۞ وإن دخل المَصيف فأنت ظل

لشاعر فى عمر ابن عبد العزيز

وقال أعرابى فى مدح عمر بن عبد العزيز :

مُقابل الأعْراق فى الطاب الطاب ۞ بين أبى العاص وآل الخطابْ

لشاعر

٥ وأنشد أعرابى :

لنـا جَوَادٌ أعارَ النِّيلَ نائله ۞ والنِّيل يَشكر منه كثرةَ النيْلِ

إن بارز الشمسَ ألقى الشمس مُظلمةً ۞ أو زاحمَ الصُّم ألجاها إلى الميْل

أهْدَى من النَّجْمِ إن تأتيه مشكِلةٌ ۞ وعند إمضائه أمضى من السيْل

والموتُ يَرهب أن يلقى منيَّته ۞ فى شدّه عند لفّ الخيْل بالخيل

١٠ قولهم فى الذمّ

لبعض الأعراب

الأصمعى قال : ذكر أعرابى قوما فقال : أولئك سُلخت أقفاؤهم بالهجاء ، ودُبغت وجوههم باللؤم ؛ لباسهم فى الدنيا الملامة ، وزادهم إلى الآخرة الندامة .

قال : وذكر أعرابى قوما فقال : لهم بيوت تُدخَل حبْواً إلى غير نمارق ١٥ ولا وسائد ، فُصْحُ الألسن بِرَدّ السائل ؛ جُعْد الأكف عن النائل .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : لقد صغّر فلانا فى عينى عظم الدنيا فى عينه ، وكأنما يرى السائلَ إذا أتاه ، ملَك الموت إذا رآه .

وسئل أعرابى عن رجل ، فقال : ماظنكم بِسكير لا يفيق ، يتهم الصديق ، ويعصى الشفيق ، لايكون فى موضع إلا حرمتْ فيه الصلاة ، ولو أفلتت كلمة ٢٠ سوء لم تصر إلا إليه ، ولو نزلت لعنة من السماء لم تقع إلا عليه .

وذكر أعرابى قوما فقال : أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم ، وأكثرهم تجرما على أصدقائهم ؛ يصومون عن المعروف ، ويفطرون على الفحشاء .

وذكر أعرابي رجلا فقال : إن فلانا ليُعدِي بإثمه من تسمّى باسمه ، ولئن خيبنى فلرب باقية قد ضاعت فى طلب رجل كريم .

وذكر أعرابي رجلا فقال : تغدو إليه مراكب الضلالة فترجع من عنده ببُدور الآثام ، مُعدِم مما تُحب ، مُثْر[1] مما تكره . وصاحب السوء قطعة من النار

وقال أعرابي لرجل : أنت والله ممن إذا سأل ألحف ، وإذا سئل سوّف ، وإذا ٥ حدّث حلف ، وإذا وعد أخلف ؛ تنظر نظر حسود ، وتُعرض إعراض حَقود .

وسافر أعرابي إلى رجل فحرَمه ، فقال لما سئل عن سفره : ما ربحنا فى سفرنا إلا ما قصّرنا من صلاتنا ؛ فأمّا الذى لقينا من الهواجر ، ولقيتْ منا الأباعر ، فعقوبة لنا فيما أفسدنا من حسن ظننا . ثم أنشأ يقول :

رجَعنا سالمين كما خرجْنا ٭ وما خابتْ سريّة سالمينا ١٠

شاعر فى الهجاء وقال أعرابي :

لمّا رأيتُك لا فاجراً ٭ قويًّا ولا أنت بالزاهد
ولا أنت بالرجل المتّقى ٭ ولا أنت بالرجل العابد
عرضْتك فى السُّوق سوقِ الرقيق ٭ وناديتُ هل فيك من زائد
على رجلٍ خانَ وُدَّ الصديق[2] ٭ كفورٍ بأنعُمه جاحد ١٥
فما جاءنى رجل واحد ٭ يَزيد على درهم واحد
سِوى رجلٍ زادنى دانقاً ٭ ولم يك فى ذاك بالجاهد
فبِعتُك منه بلا شاهدٍ ٭ مخافةَ ردّك بالشاهد
وأُبت إلى منزلى غانما ٭ وحلّ البلاء على الناقد

لبعض الأعراب قال : وذكر أعرابي رجلا ، قال : كان إذا رآنى قرّب من حاجب ٢٠ حاجبا ، فأقول له : لا تُقبّح وجهك إلى قُبحه ، فوالله ما أتيتك لطمعٍ راغبا ، ولا لخوف راهبا .

---

(١) فى بعض الأصول « مكثر » .
(٢) فى بعض الأصول « خائن للصديق » .

وذم أعرابى رجلا فقال : عبد الفعال ، حر المقال ؛ عظيم الرواق ، دنىء الأخلاق ؛ الدهر يرفعه ، ونفسه تضعه .

وذم أعرابى رجلا فقال : ضيق الصدر ، صغير القدر ، عظيم الكبر ، قصير الشبر ، لئيم النَّجر ، كثير الفخر .

٥ وقال أعرابى : دخلت البصرة فرأيت ثياب أحرار على أجساد عبيد ؛ إقبالُ حظهم إدبارُ حظ الكرام ، شجرٌ أصولُه عند فروعه ، شغلهم عن المعروف رغبتُهم فى المنكر .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذاك يتيم [1] ، أعْيا ما يكون عند جلسائه أبلَغُ ما يكون عند نفسه .

وذكر أعرابى رجلا فقال : ذلك إلى من يداوى عقلَه من الجهل ، أحوجُ منه

١٠ إلى من يداوى بدنَه من المرض ؛ إنه لا مرض أوْجع من قلة عقل .

وذكر أعرابى رجلا لم يدرك بثأره ، فقال : كيف يدرك بثأره من فى صدره من اللؤم حشو مرفقته ؛ ولو دُقَّت بوجهه الحجارة لرضّها ، ولو خلا بالكعبة لسرقها .

وذكر أعرابى رجلا فقال : تسهر والله زوجته جوعا إذا سهر الناس شبعا ؛

١٥ ثم لا يخاف مع ذلك عاجل عار ، ولا آجل نار ؛ كالبهيمة أكلت ماجمعت ، ونكحت ما وجدت .

وسمع أعرابى رجلا يزعق ، فقال : ويحك ! إنما يستجاب لمؤمن أو مظلوم ، ولست بواحد منهما ؛ وأراك يخف عليك ثقلُ الذنوب فيحسّن عندك مقابحَ العيوب .

وذكر أعرابى رجلا بضعف فقال : سيئ الروية ، قليل التقية ، كثير السعاية ،

٢٠ ضعيف النكاية .

وذكر أعرابى رجلا فقال : عليه كل يوم من فعله شاهد بفسقه : وشهادات الأفعال أعدل من شهادات الرجال .

وذكر أعرابى رجلا بذِلة فقال : عاش خاملا ومات موتورا .

---

(١) فى بعض الأصول : « سم » .

وذكر قوما فقال : أُلبسوا نعمة ثم عُرُوا منها فقال : ماكانت النعمة إلا طيفا لما انتبهوا لها ذهبت عنهم .

وذم أعرابى رجلا فقال : هو كعبد القِن يسرك شاهدا ويسوءك غائبا .

ودعت أعرابية على رجل فقالت : أمكن اللهُ منك عدوًّا حسودا ، وفجع بك صديقا ودُودا ؛ وسلط عليك همًّا يضنيك ، وجاراً يؤذيك . ٥

وقال أعرابى لرجل شريف البيت دنىء الهمة : ما أحوجك أن يكون عِرضك لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه .

وذكر أعرابى رجلا فقال : إن حدّثته يسابقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكتّ عنه أخذ فى الترّهات .

وذكر أعرابى أميرا فقال : يصل النشوة ، ويقضى بالعَشْوة ، ويقبل الرشوة . ١٠

وذكر أعرابى رجلا راكبا هواه ، فقال : والله لهو أسرع [1] إلى مايهواه ، من الأَسن [2] إلى راكد المياه ، أفقره ذلك أو أغناه .

وقال أعرابى : ليتَ فلانا أقالنى من حسن ظنى به ، فأختمَ بصواب إذ بدأت بخطإ ؛ ولكن من لم تحكمه التجارب أسرع بالمدح إلى من يستوجب الذم ، وبالذم إلى من يستوجب المدح . ١٥

وقال أعرابى لرجل : هل أنت إلا أنت لم تغير ! ولو كنتَ من حديد وُضعت على أتون محمىّ لم تذب .

وسمعت أعرابيا يقول لأخيه : قد كنت نهيتك أن تدنس عِرضك بعِرض فلان ، وأعلمتُك أنه سمين المـال ، مهزول المعروف ، من المرزوقين فجأة ، قصير عمر الغنى ، طويل عمر الفقر . ٢٠

أقبل أعرابى إلى سوّار فلم يصادف عنده ما أحب ، فقال فيه :

رأيتُ لى رُؤيا وعبّرْتُها ٭ وكنْت لِلأحلامِ عبّارَا

(١) فى بعض الأصول : « أقصد » .

(٢) فى بعض الأصول : « الطرق » .

بأنى أخبط فى ليلتى * كلباً فكانَ الكلبُ سوارا

لشاعر فى ابن عم له

وقال أعرابى فى ابن عم له يسمى زيادا :

من يبادلنى قريباً * ببعيد من إيادِ ؟

من يقادرْ، من يطافس * من ينـــاذل بزيادِ

في هجاء ابن سلم

٥ وقال سعيد بن سلم الباهلى : مدحنى أعرابىّ ، فاستبطأ الثواب فقال :

لكلّ أخى مدحٍ ثوابٌ يُعِدُّه * وليس لِمدْح الباهلىّ ثوابُ

مَدَحت سَعيدا والمديح مَهزّةٌ * فكان كصفْوانٍ ، عليه تُراب

وقال أيضا :

وإنّ من غايةِ حرْصِ الفتى * طِلابَه المعروفَ فى باهلَه

١٠ كبيرُهُم وغدٌ ومولودُهُم * تلْعنُه فى قُبحِه القـــابِلهْ

وقال أيضا :

سبَكناهُ ونحسَبُهُ لُجيناً * فأبْدَى الكيرُ عن خَبثِ الحديدِ

وقال فيه :

لمّا رآنا فرّ بوّابُه * وانْسدّ من غيرِ يدٍ بابُه

١٥ وعِنْدهُ من مَقْتِه حاجبٌ * يحجبه إنْ غابَ حُجّابه

في هجاء المساور

دخل أعرابى على المساور بن هند وهو على الرىّ ، فلم يعطه شيئا ؛ فخرج وهو يقول :

أتيتُ المساورَ فى حاجةٍ * فما زال يَسْعُلُ حتى ضَرِطْ

وحكّ قفاهُ بِكُرْســـوعِهِ * ومسّحَ عُثْنونَه وامْتَخَط

٢٠ فأمسكْت عن حاجتى خِيفةً * لأخرى تُقطّع شرْجَ السَّفَط

فأُقسمُ لو عُدْتُ فى حاجتى * للطّخ بالسلْح وجه النَّمط

وقال غَلطنا حِسابَ الخَراج * فقلْت مِنَ الضَّرطِ جاء الغَلَطْ

وكان كلما ركب صاح الصبيان : من الضرط جاء الغلط ، حتى هرب من غير

عزل إلى بلاد أصبهان .

في رجل قصير

أبو حاتم عن أبي زيد ، قال : أنشدنا أعرابي في رجل قصير :

يكادُ خليلي من تقاربِ شخصِهِ ٭ يعضُّ القرادُ اسْتَهُ وهو قائمُ

في امرأة قبيحة

وذكر أعرابي امرأة قبيحة ، فقال : ترخي ذيلها على عرقوبَيْ نعامة ، وتسدل خمارها على وجه كالجمالة .

لبعض الأعراب

العتبي قال : سمعت أعرابيا يقول : لا ترك الله مُخًّا في سُلامَى ناقة حملتني إليك وللدّاعي عليها أحق بالدعاء عليه ؛ إذ كلفها المسير إليك .

وقال أعرابي لابن الزبير لا بُوركت ناقةٌ حملتْني إليك . قال : إنّ وصاحبها . قوله : إنّ ، يريد «نعم» . قال قيس الرقيات :

ويَقُولُ شَيْبٌ قد عَلا ٭ كَ وقد كبِرْتَ فقلْتُ إنّه

يريد : نعم .

وذكر أعرابي رجلا ، فقال : لا يؤنس جارا ، ولا يؤهل دارا ، ولا يُثْقِب [1] نارا .

وسأل أعرابي رجلا فحرمه ، فقال له أخوه : نزلت والله بواد غيرِ ممطور ، وبرجل غير مبرور [2] ؛ فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .

ودخلت أعرابية على حمدونة بنت المهدي ؛ فلما خرجت سئلت عنها ، فقالت : والله لقد رأيتها فما رأيت طائلا ؛ كأن بطنها قربة ، وكأن ثديها دَبّة ، وكأن استها رُقعة ، وكأن وجهها وجه ديك قد نفش عِفريتَه يقاتل ديكا .

وصاحب أعرابي امرأة فقال لها : والله إنكِ لمشرفة الأذنين ، جاحظة العينين ، ذات خلق متضائل ، يعجبك الباطل ، إن شبعت بطرت ، وإن جعتِ صخبتِ ، وإن رأيتِ حسناً دفنتيه ، وإن رأيتِ سيئاً أذعتيه ؛ تكرمين من حقرك ، وتحقرين من أكرمك .

(١) في بعض الأصول : «يبعث» .

(٢) في بعض الأصول : «مسرور» .

في هجاء امرأة

وهجا أعرابي امرأته فقال:

يا بِكْرَ حوّاء من الأولاد * وأمَّ آلافٍ من العبادِ
عُمْرُكِ ممدودٌ إلى التَّنادي * فحدِّثينا بحديثِ عادِ
والعهدِ من فرعونَ ذي الأوتاد * يا أقدم العالم في الميلاد
إنّيَ من شخصك في جهاد

٥

في عجوز

وقال أعرابي في امرأة تزوجها، وقد خطَبها شابة طربة ودسوا إليه عجوزاً:

عجوزٌ تُرَجِّي أن تكون فتيَّةً * وقد نَحَل الجنْبانِ واحدَوْدَب الظَّهر
تَدسُّ إلى العطَّار سلعة[1] أهلِها * وهل يُصلح العطار ما أفسد الدهرُ
تزوجتُها قبل المِحاق[2] بليلةٍ * فكان مُحاقاً كله ذلك الشهر
وما غرّني إلا خِضابٌ بكفِّها * وكحلٌ بعينَيْها وأثوابُها الصُّفْر

١٠

وقال فيها:

ولا تستطيع الكحلَ من ضِيق عيْنها * فإن عالجتْه صار فوْق المحاجرِ
وفي حاجبيْها حَزَّةٌ كغرارة * فإن حُلِقا كانا ثلاث غرائرِ
وثَديان أمّا واحِدٌ فهو مِزْوَدٌ * وآخَرُ فيه قِرْبَةٌ للمسافر

١٥ وقال فيها:

لها جسم بُرغوث وساقَا بعوضةٍ * ووجهٌ كوجهِ القرد بل هو أقبح
وتَبرُق عيْناها إذا ما رأيْتَها * وتَعبِسُ في وجه الضَّجيع وتكلحُ
لها مَضحكٌ كالحَشِّ تَحسَب أنها * إذا ضحكتْ في أوْجُه القوْم تَسْلح
وتَفتح ـ لا كانت ـ فماً لورأيتَه * توهَّمتَه باباً من النار يُفْتح
إذا عاين الشيْطان صورة وجهها * تعوّذ منها حين يُمسى ويُصبح

٢٠

(١) في بعض الأصول: «ميرة».
(٢) في بعض الأصول: «الهلال».

في سوداء وقال أعرابي في سوداء :

كأنها والكحلُ في مِرْوَدِها * تَكحَل عينَيْها ببعض جلدها

وقال فيها :

أشبهكِ المسك وأشبهته * قائمةً في لونه قاعدهْ

لاشكّ إذ لونُكما واحدٌ * أنكما من طينةٍ واحدهْ ٥

لكثير في نصيب وقال كُثَيِّر في نصيب بن رباح ، وكان أسود :

رأيت أبا الحَجْناء في الناس حائراً * ولون أبي الحجناء لون البهائم

تراه على مالاحَه من سَــــوادِه * وإن كان مظلوماً له وجهُ ظالمِ

أعرابي وعامل وقال رجل من العمال لأعرابي : ما أحسبك تعرف كم تصلي في كل يوم وليلة!

فقال له : فإن عرفتَ أتجعل لي على نفسك مسألة ؟ قال : نعم . قال : ١٠

إنّ الصلاةَ أربعٌ وأربعُ * ثم ثلاثٌ بعدهُن أربعُ

ثم صلاةُ الفجر لا تُضيَّع

قال : صدقت ، هات مسألتك ؟ قال له : كم فقار ظهرِك ؟ قال : لا أدري .

قال : فتحكم بين الناس وتجهل هذا من نفسك ؟

قولهم في الغَزَل ١٥

لبعض الأعراب ذكر أعرابي امرأة فقال : لهــا جلد من لؤلؤ مع رائحة المسك ، وفي كل عضو منها شمس طالعة .

وذكر أعرابي امرأة ، فقال : كاد الغزال أن يكونَها لولا ماتمّ منهــا وما نقص منه .

وقال أعرابي في امرأة ودّعها للسير : والله مارأيت دمعة ترقرق من عين ٢٠ بإثمد على ديباجة خدّ ، أحسن من عبرة أمطرَتها عينُها فأعشب لهــا قلبي .

قال : سمعت أعرابيا يقول : إن لي قلباً مَروعا ، وعيناً دَموعا ؛ فــاذا يصنع كل واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما ، دواؤهما ، وسقمَهما شفاؤهما ؟

وقال أعرابى : دخلت البصرة ، فرأيت أعينا دُعجا ، وحواجب زُجّا ، يسحبن الثياب ، ويسلبن الألباب .

وذكر أعرابى امرأة فقال : خلوت بها ليلة يزينها القمر ، فلما غاب أرَتْنيه ، قلت له : فما جرى بينكما ؟ فقال : أقرب[1] ما أحل الله مما حرّم الإشارة بغير باس ، والتقرب من غير مساس .

وذكر أعرابى امرأة فقال : هى أحسن من السماء ، وأطيب من الماء .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : ما أشد جولة الرأى عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا ؛ ولقد تقطعت كبدى للعاشقين . لوم العاذلين قِرَطةٌ فى آذانهم ، ولوعات الحب جَمرات على أبدانهم[2] ، مع دموع على المغانى ، كغروب السوانى .

وذكر أعرابى امرأة فقال : لقد نعمتْ عينٌ نظرت إليها ، وشقى قلب تفجع عليها ؛ ولقد كنت أزورها عند أهلها ؛ فيرحب بى طرْفها ، ويتجهّمنى لسانها . قيل له : فما بلغ من حبك لها ؟ قال : إنى ذاكرٌ لها وبينى وبينها عَدْوَةُ الطائر ، فأجد لِذِكرِها ريح المسك .

وذكر أعرابى نِسْوة خرجن متنزهات ، فقال : وجوه كالدنانير ، وأعناق كأعناق اليعافير ، وأوساط كأوساط الزنابير ، أقبلن إلينا بحجول تخفق ، وأوشحة تعلق ، وكم أسير لهنّ وكم مطلق .

قال : وسمعت أعرابيا يقول اتبعت فلانة إلى طرابلس[3] الشام ؛ والحريص جاحد ، والمُضِل ناشد ؛ ولو خضت إليها النار ما ألمتها[4] .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : الهوى هوان ولكن غلط باسمه ، وإنما يعرف من يقول ، من أبكته المنازل والطلول .

(١) فى بعض الأصول : « أعذب » .
(٢) فى بعض الأصول : « نيران فى أبدانهم » .
(٣) فى بعض الأصول : « أطوار » .
(٤) فى بعض الأصول : « مالمستها » .

وقال أعرابي: كنت فى شبابى أعضّ على الملام، عضّ الجواد على اللجام، حتى أخذ الشيب بعنان شبابى.

وذكر أعرابي امرأة فقال: إن لسانى لذِكرها لَذلول، وإن حبّها لقلبى لَقتول، وإن قصير الليل بها ليطول.

وصف أعرابي نساء ببلاغة وجمال، فقال: كلامهنّ أقتل من النبل، وأوقع بالقلب من الوبْل بالمحل؛ فروعهنّ أحسن من فروع النخل.

ونظر أعرابي إلى امرأة حسناء جميلة تسمى ذَلْفاء، ومعها صبي يبكى: فكلما بكى قبلته؛ فأنشأ يقول:

يا ليتني كنت صبيًا مُرْضَعًا ... تحملنى الذَّلفاء حوْلا أكتعا
إذا بكيْتُ قبّلتنى أربعا ... فلا أزالُ الدهر أبكى أجمعا

وأنشد أبو الحسن على بن عبد العزيز بمكة لأعرابي:

جاريةٌ فى سَفَوانَ دارُها ... تمشى الهوينا مائلاً خِمارها
قدأعصرتْأوقدْنَاإعصارها ... يَطير من غُلْمِها إزارها

العتبي قال: وصف أعرابي امرأة حسناء، فقال: تَبْسم عن حُمش اللثات، كأقاحى النبات، فالسعيد من ذاقه، والشقى من راقه.

وقال العتبي: خرجتُ ليلة حين انحدرت النجوم وشالت أرجلها؛ فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر، فإذا بجارية كأنها علَم، فجعلت أغازلها، فقالت: يا هذا، أما لك ناهٍ من كرم، إن لم يكن لك زاجر من عقل! قلت: والله ما يرانى إلا الكواكب. قالت: فأين مُكوكِبها.

ذكر أعرابي امرأة فقال: هى السقم الذى لا بُرء معه، والبُرء الذى لا سقم معه؛ وهى أقرب من الحَشا، وأبعد من السما.

وقال أعرابي وقد نظر إلى جارية بالبصرة فى مأتم:

بَصْريّةٌ لم تُبصر العينُ مثلَها ... غدتْ ببياضٍ فى ثياب سوادِ

غَدَوتِ إلى الصحراء تبكينَ هالكا ۞ فأهلكْتِ حيا ، كنتِ أشأمَ عادِ !

فيارب خُذ لى رحمةً من فؤادِها ۞ وحُلْ بين عينَيها وبين فؤادى

وقال فى جارية ودّعها :

مالت تُودِّعُنى والدمعُ يَغلبُها ۞ كما يَميلُ نسيمُ الريح بالغُصنِ

٥ ثم آستمَرّتْ وقالت وهى باكيةٌ ۞ ياليتَ مَعرفتى إيّاك لم تكُنِ

العتبى قال : أنشد أعرابى :

يا زَيْنَ من ولَدتْ حوّاء مِن ولد ۞ لولاكِ لم تَحْسُن الدنيا ولم تطِبِ

أنتِ التى من أراهُ اللهُ صُورتَها ۞ نال الخلودَ فلم يَهرَمْ ولم يَشِبِ

وأنشد الرياشى لأعرابى :

١٠ من دِمْنةٍ خُلقت عيناك فى هَتَنٍ ۞ فما يُردُ البُكا جهلاً من الدِّمَنِ

ماكنتِ لِلقلبِ إلا فتنةً عَرَضَت ۞ يا حبّذا أنتِ من مَعروضةِ الفِتَن

تسىء سَلمى وأجزيها به حسَنا ۞ فمن سِواى يُجازى السُّوء بالحسَنِ

قال وسمعت أعرابيا يصف امرأة ؛ فقال : بيضاء جعْدَة ، لا يمس الثوبُ منها إلا مُشاشةَ كتفها ، وحلَمَتَى ثديَيْها ، ورضْفَتَى ركْبتيها ، ورانِفَتَىْ أَليتيها . وأنشد :

١٥

أبتِ الرّوادِفُ والثُّدِىُّ لِقُمصها ۞ مَسّ البطونِ وأن تَمسّ ظهورا

وإذا الرِّياحُ مع العشِىِّ تناوحت ۞ نبّهْن حاسِدَة ونِمْن غَيورا

لبعض الأعراب

وقال أعرابى : ليت فلانة حظى من أملى ، ولَرُب يوم سِرتُه إليها حتى قبض الليل بصرى دونها ؛ وإن من كلام النساء ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظما .

٢٠ وذكر أعرابى آمرأة فقال : تلك شمسٌ باهت الأرض شمس سمائها ، وليس لى شفيع فى اقتضائها ، وإن نفسى لكتومٌ لدائها ، ولكنها تفيض عند امتلائها .

أخذ هذا المعنى حبيب فقال :

ويا شمسَ أرضيها التى تَم نورُها ۞ فباهت بها الأرضونَ شمسَ سمائِها

شكوْتُ وما الشَّكوى لِمثْلِيَ عادة * ولكنْ تَفيضُ النَّفس عند امتلائها

وقيل لأعرابى : ما بال الحب اليوم على غير ما كان عليه قبل اليوم ؟ قال : نعم ، كان الحب فى القلب فانتقل إلى المعده ؛ إن أطعمتَه شيئا أحبها ، وإلا فلا : كان الرجل يحب المرأة ، يطيف بدارها حَولا ، ويفرح إن رأى مَن رآها ، وإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار ؛ وإنه اليوم يشير إليها وتشير إليه ، ويعدها وتعده فإذا اجتمعا لم يشكوَا حبا ، ولم ينشدا شعرا ، ولكن يرفع رجليها ويطلب الولد .

وقال أعرابى :

شكوتُ ! فقالت : كلُّ هذا تَبَرُّماً * بِحُبِّي ! أراح الله قلبَكَ من حُبِّي

فلمَّا كتمْتُ الحبَّ قالت : لَشَدَّ ما * صبَرْتَ ! وما هذا بفِعلِ شجِي القلْبِ !

وأدْنو فتقْصِينِى ، فأَبعــدُ طالِبا * رِضاها ، فتعْتَدُّ التَّباعُدَ من ذَنْبِى

فشكْواىَ تؤذِيها ، وصبرِى يَسوءها * وتَجْزعُ من بُعدى ، وتنْفِرُ من قُرْبى

فيا قوْم هل من حيــلةٍ تعلَمونَها * أشِيروا بها واستوجِبوا الشُّكر من ربى

قولهم فى الخيل

لبعض الأعراب — الأصمعى قال : سمعتُ أعرابيا يقول : خرجت علينا خيلٌ مستطيرة النقع ، كأنّ هواديَها أعلام ، وآذانَها أطرافُ أقلام ، وفرسانُها أسودُ آجام .

أخذ هذا المعنى عدى بن الرقاع فقال :

يخرُجْن من فُرجاتِ النقْعِ دامِيةً * كأنَّ آذانَهـــا أطْرافُ أقلامِ

وقال أعرابى : خرجنا حفاةً حين انتعل كلُّ شىء بظلِّه ، وما زادُنا إلا التوكل ولا مطايانا إلا الأرجل ؛ حتى لحقنا القوم .

وذكر أعرابى فرساً وسرعته ؛ فقال : لما خرجت الخيل أقبل شيطاناً فى أشطان ، فلما أُرسِلَتْ لمع لمعَ البرق ؛ فكان أقربها إليه الذى تقع عينُه [من بُعدٍ] عليه .

وقال أعرابى فى فرس الأعور السلمى :

مرّ كلَمْعِ البرقِ سام ناظِرُه ٭ يسبَحُ أولاه ويطفو آخرهْ

فما يَمسُّ الأرض مِنه حافرُه

سئل أعرابى عن سوابق الخيل ، فقال : الذى إذا مشى رَدَى ، وإذا عدا دحا ؛ وإذا استُقبل أقعى ، وإذا استدبر جَبَّى[1] ، وإذا اعترض استوى .

وذكر أعرابى خيلا ؛ فقال : والله ما انحدرتُ فى وادٍ إلا ملأت بطنَه ، ولا ركبت بطنَ جبل إلا أسهلت حَزنه .

وقال أعرابى : خرجت على فرس يختال اختيال النَّشوان ، نسوفٍ للحزام ؛ مُهارش للجام ؛ فما مَتع النهار حتى أمتعنا برف ورفاهة .

قولهم فى الغيث

لامرىء القيس وعبيد بن الأبرص

الأصمعى قال : قلت لأعرابى : أى الناس أوصفُ للغيث ؟ قال : الذى يقول - يعنى امرأ القيس - :

دِيمةٌ هَطلاء فيها وطَفٌ ٭ طَبَقُ الأرضِ تحرّى وتدرّ

قلت : فبعده مَن ؟ قال : الذى يقول - يعنى عبيد بن الأبرص - :

يامن لِبَرْقٍ أبيت الليْلَ أرقُبه ٭ فى عارضٍ مكْفهرّ المزن دَلّاج

دانٍ مُسِفٍّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدبه ٭ يكاد يدفعه منْ قامَ بالراح

سليمان وأعرابى

ودخل أعرابى على سليمان بن عبد الملك ، فقال : أصابتكَ سماء فى وجهك ياأعرابى ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين ، غير أنها سحَاء[2] طَخياء وطْفاء ؛ كأن هواديها الدِّلاء ، مرجَحنّةُ النواحى ، موصولة بالآكام ، تكاد تمس هام الرجال ؛ كثير زَجَلها ، قاصفٌ رعدها ، خاطف برقُها ، حثيثٌ ودْقها ، بطىءٌ سيرها ؛ مُثْعنْجِرٌ قَطرها ، مظلم نوْؤها ؛ قد لجأت الوحش إلى أوطاونها ، تبحث عن أصوله

---

(١) فى بعض الأصول « جنأ » .

(٢) فى بعض الأصول : « سماء » .

بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ؛ فلولا اعتصامُنا يا أمير المؤمنين بعضاهِ الشجر ، وتعلقنا بقنن الجبال ، لكنا جُفاء فى بعض الأودية ولقَم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسأ لها فى أجلك ، فهذا ببركتك وعادةِ الله بك على رعيتك ، وصلى الله على سيدنا محمد . فقال سليمان : لعمر أبيك ، لئن كانت بديهة لقد أحسنت وإن كانت محبرة لقد أجدت . قال : بل محبرة مزوّرة[1] يا أمير المؤمنين . قال : يا غلام أعطه ؛ فوالله لصدقُه أعجب إلينا من صفته .

لأعرابى

قيل لأعرابى : أى الألوان أحسن ؟ قال : قصور بيض فى حدائق خضر .

وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : بيضة فى روضة غِبَّ سارية والشمس مُكَبِّدة .

وقال أعرابى : لقد رأيت بالبصرة بُروداً كأنها صُبغت بأنوار الربيع ، فهى تروع واللابس لها أروع .

العتبى قال : سمعت أعرابيا يقول : مررت ببلد ألقى بها الصيِّفُ بعاعَه ، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أرجائه ، وقد نفت الريح القذى عن مائه ؛ فكأنه سلاسل درع ذات فضول .

شعر لبعض الأعراب

وأنشد أبو عثمان الجاحظ لأعرابى :

أين إخوانُنا على السَّرَّاء ٭ أين أهل القِبابِ والدهناء
جاورنا والأرض مُلبَسة نو ٭ ر إقاحٍ يُجـادَ بالأنواء
كلَّ يومٍ بأقحُوانٍ جديدٍ ٭ تضحكُ الأرضُ من بكاءِ السماء

لابن مطير

ابن عمران المخزومى قال : أتيت مع أبى والياً على المدينة من قريش ، وعنده أعرابى يقال له ابن مطير ، وإذا مطر جَود ؛ فقال له الوالى : صفه ؛ فقال : دعنى أشرف وأنظر . فأشرف ونظر ، ثم قال :

كثرتْ لكثرةِ ودْقه أطْباؤهُ ٭ فإذا تُحلِّب فاضت الأطباء

(١) فى بعض الأصول : « مهدودة » .

وله ربابٌ هَيْدَبٌ لرفيقه ٭ قبلَ التّبَعُّق ديمَة وطفاء
وكأنّ بارِقهُ حريقٌ تلتقِي ٭ ريحٌ عليه وعرْفَجٌ وألاء
وكأنّ رَيّقهُ ولمّا يحتفِـــلْ ٭ وَدْق السماء عجاجَةٌ طخْياء
مُسْتضحِكٌ بلوامعٍ مُسْتعْبِرٌ ٭ بمدامعٍ لم تُمْـــرِها الأقذاء
٥ فلهُ بِلا حزنٍ ولا بمسرّةٍ ٭ ضحِكٌ يُؤلّفُ بينه وبُكاء
حيْرانُ مُتّبِعٌ صباهُ تقودُهُ ٭ وجنوبُهُ كَفٌ له ورِهاء
ثَقُلتْ كُلاهُ فبهّرتْ أصلابُهُ ٭ وتبعّجتْ عن مائهِ الأحشاء
غدَقٌ تبَعّجَ بالأباطِحِ مُزّقتْ ٭ تلك السُّيولُ ومالها أشلاء
غُرٌ مُحجّـــلةٌ دوالِحُ ضُمّنت ٭ حَمْلَ اللّقاحِ وكلُّها عذراء
١٠ سُحْمٌ فهُنّ إذا عبَسْنَ فواحِمٌ ٭ سودٌ، وهُنّ إذا ضَحِكْنَ وِضاء
لو كان من لُجَجِ السواحلِ ماؤُهُ ٭ لم يبْقَ فى لُجَجِ السواحِلِ ماء

هشام وأعرابى يصف له السحاب

قال هشام بن عبد الملك لأعرابى : اخرج فانظر كيف ترى السحاب . فخرج فنظر ، ثم انصرف فقال : سفائن ، وإن اجتمعت فعين .

قولهم فى البلاغة والإيجاز

لبعض الأعراب

١٥ قيل لأعرابى : من أبلغ الناس ؟ قال : أحسنهم لفظا وأسرعهم بديهة .

الأصمعى قال : خطب رجل فى نكاح فأكثر وطوّل ، فقيل : من يجيبه ؟ قال أعرابى : أنا . قيل له : أنت وذاك ؟ فالتفت إلى الخاطب فقال : إنى والله ما أنا من تخطيطك وتمطيطك فى شىء ؛ قد مَتتّ بحرمة ، وذكرت حقا ، وعظّمت مرجوًا ؛ فحبلك موصول ، وفرضك مقبول ، وأنت لها كفءٌ كريم ، وقد
٢٠ أنكحناك وسلّمنا .

ربيعة الرأى وأعرابى

وتكلم ربيعةُ الرأى يوما فأكثر ، فكأن العُجب داخله ، وأعرابى إلى جنبه ، فأقبل على الأعرابى فقال : ما تعدّون البلاغة يا أعرابى؟ قال: قلة [1] الكلام

(١) فى بعض الأصول : « حذف » .

وإيجاز الصواب . قال : فما تعدون العىّ ؟ قال : ماكنتَ فيه منذ اليوم ! فكأنما ألقمه حجرا .

شبيب وأعرابى

شبيب بن شيبة قال : لقيت أعرابيا فى طريق مكة ، فقال لى : تكتب ؟ قلت : نعم . قال : ومعك دواة ؟ قلت : نعم . فأخرج قطعة جراب من كمه ، ثم قال : اكتب ولا تزد حرفا ولا تنقص : هذا كتاب كتبه عبد الله بن عُقيل الطائى لأمَتِه لؤلؤة : إنى أعتقتُكِ لوجه الله واقتحامِ العقبة ، فلا سبيل لى ولا لأحد عليكِ إلا سبيل الولاء ، والمنةُ علىّ وعليكِ من الله وحده ، ونحن فى الحق سواء . ثم قال : اكتب شهادتك .

روى أن أعرابيا حضر مجلس ابن عباس ، فسمع عنده قارئا يقرأ : ﴿وكُنْتُم على شفَا حُفرَةٍ من النارِ فأنقذَكم منها﴾ ؛ فقال الأعرابى : والله ما أنقذكم منها وهو يرجعكم إليها . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

قولهم فى حسن التوقيع وحسن التشبيه

لبعض الأعراب

قيل لأعرابى : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وقيل لأعرابى : كم بين بلد كذا وبلد كذا ؟ قال : عُمْرُ ليلةٍ وأديمُ يوم .

وقال آخر : سوادُ ليلة وبياضُ يوم .

وقيل لأعرابى : كيف كتمانُك للسر ؟ قال : ماصدرى له إلا قبرٌ .

معاوية وأعرابية

قال معاوية لأعرابية : هل من قِرى ؟ قالت : نعم . قال : وما هو ؟ قالت : خُبز خَمير ، ولبن فطير ، وماء نمير .

وقيل لأعرابى : فيم كنتم ؟ قال : كُنا بين قِدْر تفور ، وكأس تدور ، وحديث لا يحور .

وقيل لأعرابى : ما أعددتَ للبرد ؟ قال : شدةَ الرعدة ، وقرفصاء القِعدة ، وذَرَبَ المعدة .

وقيل لأعرابى : مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث . قيل له : ما معناه ؟ قال : إنه لا أقل من واحد ، ولا أخبث من أنثى !

وقال : أضل أعرابى الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى ؛ فرفع رأسه إليه متشكراً فقال : ما أدرى ما أقول لك وما أقول فيك ؛ أأقول رفعك الله ! فقد رفعك ؛ أم أقول : نورك الله ! فقد نورك ؛ أم أقول : حسّنك الله ! فقد حسّنك ؛ أم أقول : عمرك الله ! فقد عمرك ؛ ولكنى أقول : جعلنى اللهُ فِداك !

وقيل لأعرابى : ما تقول فى ابن العم ؟ قال : عدوُّك وعدوُّ عدوِّك .

وقيل لأعرابى وقد أدخل ناقته فى السوق ليبيعها : صف لنا ناقتك . قال : ماطَلَبْتُ عليها قط إلا أدركْتُ ، وما طُلِبْتُ إلا فتُّ . قيل له : فلم تبيعها ؟ قال : لقول الشاعر :

وقد تخرجُ الحاجاتُ يا أمَّ عامرٍ * كرائمَ من ربٍّ بهنَّ ضنينِ

وقيل لأعرابى : كيف ابنك ؟ وكان به عاقا : قال : عذابٌ لا يقاومه الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتنى قد استودعتُه القبر .

لشريح — قيل لشريح القاضى : هل كلمك أحد قط فلم تطق له جوابا ؟ قال ما أعلمه إلا أن يكون أعرابيا خاصم عندى ويشير بيديه ، فقلت له : أمسك ، فإن لسانك أطولُ من يدك ! قال :

أسامرِىٌّ أنت لا تُمَسّ

لبعض الأعراب — وقيل لأعرابى : ماعندكم فى البادية طبيب ؟ قال : حُمُرُ الوحش لا تحتاج إلى بيطار .

لبعض الأعراب فى الخاتم — وقال أعرابى يصف خاتما ـ فقال : سُبِّك تدوير حَلْقته ، ودُوِّر كُرْسِيُّ فضته ، وأُحكِم تركيبُه ، وأُتقِنَ تدبيرُه ، فيه يتمُّ الملك ، وينفُذُ الأمر ، ويكْرُمُ الكتاب ويشرُف المكتوب إليه .

وقال آخر يصف خاتما :

وأبيضُ أمّا جِسْمُهُ فمُنوَّرٌ ، نقيّ وأمّا رأسُــهُ فمُعارُ
ولم يُكْتسبْ إلا لتسكُنَ وسْطَهُ ، بزيعة رأسٍ ما عليه خِمارُ
لهـا أخواتٌ أربعٌ هُنّ مِثلُها ، ولكنها الصُّغرى وهُنّ كِبارُ

قولهم في المناكح

٥

بين جاريتين

يحي بن عبد العزيز عن محمد بن الحكم عن الشافعي قال : تزوج رجل من الأعراب امرأة جديدة على امرأة قديمة ، وكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول :

وما يستوى الرِّجلانِ رِجْلٌ صحيحةٌ ، ورِجْلٌ رمَى فيهـا الزمانُ فشلَّتِ

١٠ ثم مرت بعد أيام فقالت :

وما يستوى الثَّوْبانِ ثوبٌ به البِلَى ، وثوبٌ بأيدى البائعين جــديد

فخرجت إليها جارية القديمة فقالت :

نقّلْ فؤادَكَ حيثُ شِئْتَ مِنَ الهوى ، ما القلْبُ إلّا للحَبيبِ الأوّلِ
كم منزِلٍ فى الأرضِ يألَفُه الفتَى ، وحنينُــه أبداً لِأوّلِ مَنزِلِ

أعرابى وولى امرأة

١٥ الأصمعى قال : أخبرنى أعرابى قال : خطب منا رجل مغموز امرأة مغموزة فزوّجوه : فقال رجل لولىّ المرأة : تعَمّم لكم فلان فزوجتموه ! فقالوا : ما تعمم لنا حتى تبرقعنا له .

لأعرابية تنصح بنات عمها

أبو حاتم عن الأصمعى قال : قالت أعرابية لبنات عم لهـا : السعيدة منكن من يتزوجها ابن عمها ، فيمهرها بتيسين وكلبين وعَيرين ورحَيين ، فيثِبُّ التيسان، ٢٠ وينهق العَيران ، وينبح الكلبان ، وتدور الرحيان ، فيعجُّ الوادى : والشقية منكن من يتزوجها الحضرى ، فيكسوها الحرير ، ويطعمها الخمير ، ويحملها ليلة الزفاف على عود ــ تعنى : سرجا .

الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يُشارّ امرأته ، فقالت لها أخته . أما والله أيامَ شرخه

إذ كان ينكُتكِ كما ينكت العظم عن مخه ، لقد كنتِ له تَبوعا ، ومنه سَموعا ؛ فلما لان منه ما كان شديدا ، وأخلَق منه ما كان جديدا ، تغيرت له ! وايمُ الله لئن كان تغير منه البعضُ لقد تغير منك الكل .

لأعرابى فى زوجته

وقيل لأعرابى : كيف حبك لزوجتك ؟ قال : ربما كنت معها على الفراش فمدّت يدها إلى صدرى ، فوددت والله أن آجُرّةً خرت من السقف فقدت يدها وضلعين من أضلاع صدرى ! ثم أنشأ يقول :

لقد كنتُ محتاجًا إلى موت زوجتى * ولكنْ قرينُ السُّوءِ باقٍ معمَّرُ

فياليتها صارت إلى القبر عاجلاً * وعذّبها فيه نكيرٌ ومنكَر

لآخر فى مثله

وتزوج أعرابى امرأة ، فطالت صحبتها له ، فتغير لها وقد طعنت فى السن ، فقالت له : ألم تكن تُرضى إذا غضبتُ ، وتُعتب إذا عَتبت ، وتُشفق[1] إذا أبَيت ؛ فما بالك الآن ؟ قال : ذهب الذى كان يُصلح بيننا .

الأصمعى وأعرابى طلق زوجته

الأصمعى قال : كنت أختلف إلى أعرابى أقتبس منه الغريب ، فكنت إذا استأذنت عليه يقول : يا أُمامة ، إيذنى له . فتقول : ادخل . فاستأذنت عليه مراراً فلم أسمعه يذكر أمامة ؛ فقلت له : رحمك الله ، ما أسمعك تذكر أمامة منذ حين ! قال : فوجم وجمة ندِمتُ على ما كان منى ؛ ثم قال :

ظَعَنتْ أُمامةُ بالطلاقِ * ونَجوتُ من غُلِّ الوَثاقِ

بانتْ فلم يألَم لها * قلبى ولم تَدمع مآقى

ودواءُ ما لا تشتهيه * ه النفسُ تَعجيل الفِراق

والعيشُ ليس يطيب بيْـ * ـن اثنين فى غير اتّفاق

لو لم أُرِحْ بفِـــراقها * لأرَحتُ نفسى بالإباق

لأعرابى طلق امرأته

الأصمعى قال : تزوج أعرابى امرأة فآذته وافتدى منها بحمار وجُبة ، فقدم عليه ابن عم له من البادية ؛ فسأله عنها ؛ فقال :

---

(١) فى بعض الأصول : « وتسعد » .

خطَبتُ إلى الشيطان للحَين بِنْتَه * فأَدخلها من شِقْوتى فى حِباليا
فأنقذنى منها حمارى وجُبّتى * جزى الله خيراً جُبتى وحماريا

لأعرابى بين يدى زياد

الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى زياد ، فشدّد على الأعرابى ؛ فقال : أصلح الله الأمير : إن خيرَ عُمر الرجل آخره : يذهب جهله ويثوب حلمه ، ويجتمع رأيه ؛ وإن شر عُمُر المرأة آخره : يسوء خلقها ، ويحِدّ لسانها ، وتَعقم رحمها ! قال له : صدقت ، اسفع بيدها . ٥

لبعض الأعراب فى مثله

قال : وذكرتْ أعرابية زوجها وكان شيخا ! فقالت : ذهب ذَفَرُه ، وبقِىَ بَخَره ، وفتَر ذَكَره .

الأصمعى قال : كان أعرابى قبيح طويل خطَب امرأة ؛ فقيل له : أىَّ ضرب تريدها ؟ قال : أريدها قصيرة جميلة ، فيأتى ولدها فى جمالها وطولى . فتزوجها على تلك الصفة ، فجاء ولدها فى قصرها وقبحه ! ١٠

قدم أعرابى من طيئ فاحتلب لبنا ثم قعد مع زوجته يتنجعان ، فقالت له : مَن أنعم عيشا ، أنحن أم بنو مروان ؟ قال لها : بنو مروان أطيب منا طعاما ، إلا أنّا أردأ منهم كسوة ؛ وهم أظهر منا نهاراً إلا أنا نحن أظهر منهم ليلا .

الأصمعى قال : خاصم أعرابى امرأته إلى السلطان ، فقيل له : ما صنعت ؟ قال : خيرا ، كبها الله لوجهها ولو أمر بى إلى السجن ! ١٥

الأصمعى قال : استشارت أعرابية فى رجل تتزوجه ، فقيل لها : لا تفعلى فإنه وُكَلَةٌ تُكَلَة ، يأكل خِلله أى يأكل ما يخرج من بين أسنانه إذا تخلل . قال أبو حاتم : هو الخلالة . ووكلة تكلة : إذا كان يكل أمره إلى الناس ويتكل عليهم . ٢٠

العتبى قال : خَطب إلى أعرابى رجل موسر إحدى ابنتيه . وكان للخاطب امرأة ، فقالت الكبرى : لا أريده ! قال أبوها : ولِمَ ؟ قالت : يومٌ عتاب ، ويوم اكتئاب ، يبلَى فيما بين ذلك الشباب ! قالت الصغرى : زوّجنيه ! قال لها :

على ما سمعت من أختك ؟ قالت : نعم ، يوم تَزَيُّن ، ويوم تسمُّن ، وقد تقر فيما بين ذلك الأعيُن .

لأعرابية ترقص طفلا

الأصمعي قال : رأيت امرأة تُرقِّص طفلا لها ، وتقول :

أحبه حُبَّ الشحيح مالهْ ٭ قد كان ذاقَ الفقرَ ثمّ نالهْ

٥ إذا أراد بَذْلَه بَدا لهْ

أعرابية فقدت زوجها

الأصمعي قال : هلك أعرابي ، فأدمنت امرأته البكاء عليه . فقال بعض بنيها :

أتفقِدين من أبينا غيرَهْ ٭ أتفقِدين نفعه وخيْرَهْ

أراكِ ما تبْكين إلا أيْرهْ

فأمسكتْ عن البكاء .

أعرابيةوأعرابي ينظر إلى ابنتها

١٠ جلس أعرابي إلى أعرابية ، فعلمت أنه ما جلس إلا لينظر إلى ابنتها ، فأنشأت تقول :

وما نلتَ منها غيرَ أنكَ ناكِحٌ ٭ بعينيْك عينيها وأيْرك خائبُ

لبعض الأعراب

الرياشي قال : أنشدني العتبي لأعرابي :

ماذا تظنّ بسلْمى إن ألمَّ بها ٭ مُرجّل الرأس ذو بُردَيْن مَزَّاحُ

١٥ حُلوٌ فكاهَته خزٌّ عمامَته ٭ في كفّه من رُقَى إبليسَ مِفتاحُ !

أعرابي وامرأة خطبها

أبو حاتم عن الأصمعي قال : خطب أعرابي امرأة ، فقالت : سل عني بني فلان وبني فلان . قال لها : وما عِلمهم بذلك ؟ قالت : في كلهم نكحت وكنت ، قال : أراكِ جَلَنْفَعَةً قد خزمتك الخزائم ، قالت : لا ، ولكنْ جوّالة بالرجل عَنتريس .

٢٠ تزوج رجل من الأعراب امرأة منهم عجوزاً ذات مال ، فكان يصبر عليها لمالها ، ثم ملَّها وتركها ، وكتبتْ إليه تستردّه ، فكتب إليها يقول :

ليس بيني وبين قيس عِتاب ٭ غيرَ طعْن الكُلا وضرْب الرِّقاب

فكتبت إليه : إنه والله ما يريد قيسٌ غير طعن الكلا !

أعرابى خاطب — المفضل الضبي قال : خطب أعرابى آمرأة ، فجعل يخطُبها ويُنعظ ، فضرب ذكره بيده وقال : مَهْ ! إليك يساق الحديث . فأرسلَها مثلا .

أبو البيداء — على بن عبد العزيز قال : كان أبو البيداء عِنّينا ، وكان يتجلد ويقول لقومه : زوِّجونى امرأتين ! فيقال له : إن فى واحدة كفاية . فيقول : أما لى فلا ! فقالوا : نزوِّجك واحدة ، فإن كفتك وإلا زوجناك أخرى . فزوجوه أعرابية ، فلما دخل ٥ بها أقام معها أسبوعا ، فلما كان فى اليوم السابع أتوه ، فقالوا له : يا أبا البيداء ، ما كان أمرك فى اليوم الأول ؟ قال : عظيم جدا ! قالوا : فى الثانى ؟ قال : أجلّ وأعظم ! قالوا : فى الثالث ؟ قال : لا تسألوا ! فأجابت المرأة من وراء الستر ، فقالت :

١٠ كان أبو البيْداء يَنزو فى الوَهَقْ ۞ حتى إذا أُدخل فى بيْتٍ أَبَقْ

فيه غزالٌ حسَنُ آلدَّلِّ خرِق ۞ مارَسهُ حتى إذا آرفضَّ العرق

آنكسَرَ المِفتاح وآنسدّ الغلَقْ

لأعرابى فى امرأته — كانت لأعرابى آمرأة لا تَرُدّ يَد لامس ؛ فقيل له : مالك لا تفارقها ؟ قال : إنها حسناء فلا تُفرك ، وأم بنين فلا تُترك .

١٥ لشيخ من الأعراب — قال شيخ من الأعراب :

أنا شيْخٌ ولى امرأةٌ عجوز ۞ تُراوِدُنى على ما لا يجوز

تريد أنيكُها فى كلِّ يومٍ ۞ وذلك عند أمثالى عزيزُ

وقالت دَقَّ أيْرُكَ مُذْ كبرنا ۞ فقلت لها بل اتَّسَع القفيز

الأصمعى قال : قال أعرابى فى امرأة تزوجها ، وقد تزوجت قبله خمسة ، وتزوج هو قبلها أربعا ، فلاحتْه يوما ، فقال فيها :

٢٠ لو لابس الشيطانُ ما أُلابِس ۞ أو مارَس الغولُ التى أُمارسُ

لأصبح الشيطان وهو عابس ۞ زوجها أربعــةٌ عمــارس

فانفلتوا منها ومات الخامس ۞ وساقنى الحين فهانا السادس

وقال فيها :

بُوَيْزِل أعوامٍ أذاعت بخمسة ﴿ وتَعتَدُّنى ـ إن لم يَقِ الله ـ ساديا

ومن قبلها غيّبتُ فى الترب أربعا ﴿ وأعتدُّها مُذ جئتُهـا فى رجائيا

كلانا مُطلٌّ مشرف لغنيمـــة ﴿ يراها ويقضى اللهُ ما كان قاضيا

٥ وقال أعرابى :

أشكو إلى الله عيالًا دَرْدَقا ﴿ مُقَرْقَمِين وعجوزا شَمْلقـا

الدردق : الصغار . والمقرقم : البطىء الشباب . والشملق السيئة الخلق .

قولهم فى الإعراب

لبعض الأعراب فى معنى هذا العنوان

الأصمعى قال : قلت لأعرابى : أتهمز إسرائيل ؟ قال : إنى إذاً لرجل سوء ! ١٠ قلت له : أفتجرّ فلسطين ؟ قال: إنى إذاً لقوِى .

وسمع أعرابى إماما يقرأ : ولا تَنْكِحوا المُشرِكينَ حتى يُؤمِنوا ، قال : ولا إن آمنوا أيضاً ، لا ننكحهم . فقيل له : إنه يلحن ، وليس هذا يُقرأ . فقال : أخّروه قبحه الله ! ولا تجعلوه إماما ؛ فإنه يُحلُّ ما حرّم الله .

وسمع أعرابى أبا المكنون النحوى وهو يقول فى دعائه يستسق : اللهم ربّنا ١٥ وإلهنا وسيدَنا ومولانا ، صلّ على محمد نبينا ، [اللهم] ومن أراد بنا سوءا فأحط ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد ، ثم أرسخه على هامته كرُسوخ السِّجّيل على هام أصحاب الفيل ، اللهم اسقنا غيثا مريئا مريعا مُجلجلا مُسحنفِراً هزِجا سحًّا سَفوحا طبقا غدَقا مُثْعَنجِرا صَخِبا نافعا لعامّتنا وغير ضارٍّ بخاصّتنا . فقال الأعرابى : يا خليفة نوح ، [هذا] الطوفان وربِّ الكعبة ، دعنى حتى آوى إلى ٢٠ جبل يعصمنى من الماء .

الأصمعى قال : أصابت الأرض مجاعة ؛ فلقيت رجلا منهم خارجا من الصحراء كأنه جذعٌ محترق فقلت : أتقرأ فى كتاب الله شيئا ؟ قال : لا . قلت : فأعلمك ؟ قال : ما شئت . قلت : اقرأ ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ . قال : كل يا أيها

الكافرون . قلت : [قُلْ] ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ كما أقول لك . قال : ما أجد لسانى ينطق بذلك .

قال : ورأيت أعرابيا ومعه بُنَىّ له صغير يمسك بفم قربة ، وقد خاف أن تغلبه القربة ؛ فصاح : يا أبت ، أدرِك فاها ، غلبنى فوها ، لا طاقة لى بفيها !

قولهم فى الدَّيْن

٥

لبعض الأعراب

قال أعرابى : الدَّين ذُل بالنهار وهمٌّ بالليل .

لبعض الشعراء فى غرمائه

وقال أعرابى فى غرماء له يطالبونه بدَين :

جاءوا إلىّ غِضاباً يَلْغَطون معاً ∗ فقلت موعدكم دار ٱبن هَبَّار

وما أُواعِـــدُهم إلّا لِأَدْرأَهُمْ ∗ عنى فيُحرِجُنى نقضى وإمرارى

وما جلَبْت إليهم غيْر راحلةٍ ∗ تَخْدِى برَحْلى وسيْفٍ جَفْنُه عارى

١٠

إنّ القضاء سيأتى دونَه زمنٌ ∗ فاطْوِ الصحيفةَ واحفظْهامن النار

الأصمعى قال : كان لرجل من يَحْصُبَ على رجل من باهلة دين ؛ فلما حل دينه هرب الأعرابى وأنشأ يقول :

إذا حلّ دَيْنُ اليَحْصُبىِّ فقل له ∗ تَزَوَّدْ بزادٍ واستعن بدليلِ

سيُصبح فوْق أقْتَم الريش واقعاً ∗ بقالى قَلاَ أو من وراء دبيل

١٥

الأصمعى قال : فأخبرنى رجل أنه رآه مقتولا بقالى قَلا وعليه نَسْر أقتم الريش.

بين أعرابيين

قال الأصمعى : ٱختصم أعرابيان إلى بعض الولاة فى دَين لأحدهما على صاحبه ؛ فجعل المدَّعَى عليه يحلف بالطلاق والعتاق ، فقال له المدعِى : دعْنى من هذه الأيمان وٱحْلِفْ بما أقوله لك : لا ترك الله لك خفا يتبع خفا ولا ظلفا يتبع ظلفا ؛ وحَتَّك من أهلك ومالك حتّ الورق من الشجر ، إن لم يكن لى هذا الحق قِبلك !

٢٠

فأعطاه حقه ولم يحلف له .

الهيثم بن عدى قال : يمين لا يحلف بها أعرابى أبداً : لا أورد الله لك صادرة ، ولا أصدر لك واردة ، ولا حططت رحلك ، ولا خلعت نعلك .

قولهم فى النوادر والملح

أبو العباس وأعرابى

الشيبانى قال : خرج أبو العباس أمير المؤمنين متنزهاً بالأنبار ، فأمعن فى نزهته وانتبذ من أصحابه ؛ فوافى خباء لأعرابى ، فقال له الأعرابى : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة . قال : من أى كنانة ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة . قال : فأنت إذاً من قريش ! قال : نعم . قال : فمن أى قريش ! قال : من أبغض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذاً من ولد عبد المطلب ! قال : نعم . قال : فمن أى ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب . قال : فأنت إذاً أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ! ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة .

الشيبانى قال : خرج الحجاج متصيدا بالمدينة ، فوقف على أعرابى يرعى إبلا له ، فقال له : يا أعرابى ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابى : غشوم ظلوم ! لا حيّاه الله ! فقال : فلم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فأظلم وأغشم ! فبينا هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأومأ الحجاج إلى الأعرابى ، فأُخذ وحُمل ؛ فلما صار معه قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ! فحرك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه : يا حجاج ! قال : ما تشاء يا أعرابى ؟ قال : السر الذى بينى وبينك أحب أن يكون مكتوما ! قال : فضحك الحجاج وأمر بتخلية سبيله .

يوسف بن عمر ووال

الأصمعى قال : ولّى يوسف بن عمر صاحب العراق أعرابيًّا على عمل له ؛ فأصاب عليه خيانة فعزله ، فلما قدم عليه قال له : يا عدو الله ! أكلت مال الله ! قال الأعرابى : فمَن آكل إذا لم آكل مال الله ؟ لقد راودت إبليس أن يعطينى فلسا واحدا فما فعل . فضحك منه وخلى سبيله .

ابن جعفر وأعرابية

الشيبانى قال : نزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة وقد دجنت عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه فقالت : يا أبا جعفر ، هذه دجاجة لى كنت أدجنها وأعلفها من قوتى ! وألمسها فى آناء الليل فكأنما ألمس بنتى زلّت

عن كبدى ، فنذرت لله أن أدفنها فى أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبد الله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهم .

بين أعرابى وقوم فى الهلال

ونظر أعرابى إلى قوم يلتمسون هلال شهر رمضان ، فقال : والله لئن أُرِيتُمُوه لتُمسِكُنّ منه بذِناب عيش أغبر . ٥

بين الأصمعى وأعرابى فى ماء

الأصمعى قال : رأيت أعرابيا واقفا على ركيّة مِلْحة ، فقلت : كيف هذا الماء يا أعرابى ؟ قال : يخطئ القلب ويصيب الاست .

بينه وبين أعرابى سمين

ونظر أعرابى إلى رجل سمين فقال : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك .

قال : وسمعت أعرابيا يقول : اللهم إنى أسألك ميتة كميتة أبى خارجة أكل بَذَجا ، وشرب مُعسَّلا ، ونام فى الشمس ، فمات دَفْآن شَبْعان رَيان . ١٠

النبى صلى الله عليه وسلم وبعض الأعراب

محمد بن وضاح يرفعه إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخل أعرابى المسجد والنبىُّ صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلى ؛ فلما فرغ قال : اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا . فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لقد حَجَّرْتَ واسعا يا أعرابى .

لبعض الأعراب

قال : وسمعت أعرابيا وهو يقول فى الطواف : اللهم اغفر لأمى . فقلت له : مالك لا تذكر أباك ؟ فقال : أبى رجل يحتال لنفسه ، وأما أمى فبائسة ضعيفة . ١٥

أبو حاتم عن أبى زيد قال : رأيت أعرابيا كأنّ أنفه كوز من عظَمه ؛ فرآنا نضحك منه ؛ فقال : ما يُضحككم ؟ فوالله لقد كنت فى قومٍ ما كنت فيهم إلا أفطس .

قال : وجىء بأعرابى إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته وهو يقول : هاؤم اقرءوا كتابِيَهْ . فقيل له : يقال هذا يوم القيامة . قال : هذا والله شر من يوم القيامة ؛ إن يوم القيامة يؤتَى بحسناتى وسيئاتى ، وأنتم جئتم بسيئاتى وتركتم حسناتى . ٢٠

لأبى المخش

وقيل لأبى المِخَش الأعرابى : أيسرك أنك خليفة وأن أمَتك حرّة ؟ قال : لا والله ما يسرنى ! قيل له : ولِم ؟ قال : لأنها كانت تذهب الأُمة وتضيع الأُمّة .

اشترى أعرابى غلاما ، فقيل للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه يبول فى الفراش . قال : هذا ليس بعيب ، إن وجد فراشاً فليَبُلْ فيه .

الحجاج وأعرابى لص

٥ أخذ الحجّاج أعرابيا لصا بالمدينة فأمر بضربه ؛ فلما قرعه بسوط قال : يارب شكرا ! حتى ضربه سبعمائة سوط ، فلقيه أشعب ، فقال له : أتدرى لمَ ضربك الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرك ؛ إن الله تعالى يقول : ﴿ لَئِن شَكَرتمْ لأزِيدنّكم ﴾ قال : وهذا فى القرآن ؟ قال : نعم . فقال الأعرابى :

١٠ يا ربِّ لا شُكْر فلا تَزِدْنى ، أسأتُ فى شكْرى فاعفُ عنى

باعدْ ثوابَ الشاكرين منّى

أعرابى ينشد غلاما

مرّ أعرابى بقوم وهو يَنشد ابنا له ، فقالوا له : صفه . قال : كأنه دُنَينير ! قالوا : لم نره . ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابى وعلى عنقه جُعل ، فقالوا : هذا الذى قلت فيه كأنه دنينير ؟ فقال : القَرَنبَى فى عين أمها حسناء .

١٥ والقرنبى : دويبة من خشاش الأرض إذا مسّها أحدٌ تقبّضتْ فصارت مثل الكرة .

لبعض الأعراب فى الغزو

قيل لأعرابى : مايمنعك أن تغزو ؟ قال : والله إنى لأُبغض الموت على فراشى ، فكيف أن أمضىَ إليه ركضا .

وغزا أعرابى مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : مارأيتَ مع رسول الله

٢٠ فى غزاتك هذه ؟ قال : وضع عنا نصفَ الصلاة ، وأرجو فى الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقى !

السختيانى وبعض الأعراب

جلس أعرابى إلى مجلس أيوب السّختيانى ، فقيل له : ياأعرابى ، لعلك قَدَرىّ ؟ قال : وما القَدَرى ؟ فذُكر له محاسن قولهم ؛ قال : أنا ذاك . ثم ذكر له مايعيب الناس من قولهم ؛ فقال : لست بذاك . قال : فلعلك مثبت ؟

قال : وما المثبت ؟ فذكر محاسنهم ؛ فقال : أنا ذاك . ثم ذكر له ما يعيب الناس منهم ؛ فقال : لست بذاك . قال أيوب : هكذا يفعل العاقل ؛ يأخذ من كل شيء أحسنه .

جرير وأعرابي

الأصمعي قال : سمع أعرابي جريراً ينشد :

كاد الهوَى يومَ سلْمانين يقتلنى * وكاد يقْتلنى يوما بنَعْمانِ
وكاد يقْتلنى يوما بذى خُشُب * وكاد يقتلنى يوما بسَلْمانِ

فقال : هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات ! لا يموت هذا أبدا .

الشيبانى قال : بلغنى أن أعرابيين ظريفين من شياطين العرب حطمتهما سنة ، فانحدرا إلى العراق ؛ فبينما هما يتماشيان فى السوق ـ واسم أحدهما خندان ـ إذا فارسٌ قد أوطأ دابته رِجلَ خندان ، فقطع إصبعا من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذا أرْش الإصبع ، وكانا جائعين مقرورين ، فلما صار المال بأيديهما قصدا إلى بعض الكرابج ، فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما شبع صاحب خندان أنشأ يقول :

فلا غَرْثة ما دام فى الناس كُرْبجٌ * وما بَقيتْ فى رِجْل خُنْدانَ إصبَعُ

اعرابية وابنها

وهذا شبيه قول أعرابية فى ابنها ، وكان لها ابن شديد العُرام ، كثير القتال للناس ، مع ضعف أسر ورقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب ، فقطع الفتى أنفه ، فأخذت أمه دية أنفه ؛ فحسن حالها بعد فقر مدقع ؛ ثم واثب آخر ، فقطع أذنه ؛ ثم أخذت دية أذنه فزادت فى المال وحُسن الحال ؛ ثم واثب آخر فقطع شفته ؛ ثم أخذت دية شفته ؛ فلما رأت ما صار عندها من الإبل والبقر والغنم والمتاع بجوارح ابنها ، ذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها :

أحلِفُ بالمَرْوةِ حقًّا والصَّفا * أنكَ خيرٌ من تَفاريق العصا

فقلت لأعرابى : ما تفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجورا ، ثم يقطع الساجور أوتادا ، ثم تقطع الأوتاد أشظّة .

لبعض الأعراب فى الحج

الأصمعى قال : خرج أعرابى إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان ببعض الطريق راجعاً يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال :

آعلم أنك لما خرجت وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع فى بيتك الحريق . فرفع الأعرابى يديه إلى السماء ، وقال : ما أحسن هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك أنت وتُخرب بيوتنا .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت ببعض الطريق عَطِبَت راحلتها ، فرفعت يديها إلى السماء وقالت : يارب ، أخرجتنى من بيتى إلى بيتك ، فلا ٥ بيتى ولا بيتك !

الأصمعى قال : عُرضت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفاً لم يَجب على واحد منهم قتل ولا صلب ؛ وفيهم أعرابى أُخذ يبول فى أصل سور مدينة واسط ؛ فكان فيمن أُطلق ؛ فأنشأ يقول :

١٠ إذا ما خرجْنا من مدينة واسطٍ ٭ خَرِينا وبُلْنا لا نَخاف عِقابَا

لأعرابى فى الأولاد

ذُكر عند أعرابى الأولاد والانتفاع بهم ؛ فقال : زوِّجونى امرأة أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجرى الرهان ؛ والنزعَ عن القوس حتى يصيب الحدَق ، وروايةَ الشعر حتى يُفحم الفحول . فزوَّجوه امرأة فولدت له ابنة ، فقال فيها :

١٥ قد كنتُ أرجو أن تكون ذكَرَا ٭ فشقَّها الرَّحْمٰن شقًّا منكَرا

شقًّا أبَى الله له أن يُجبَرا ٭ مِثل الذى لأمّها أو أكْبرا

ثم حملت حملا آخر ، فدخل عليها وهى فى الطاق ـ وكانت تسمى ربابا ـ فقال :

أيَا رَبابِى طرِّقى بخيرِ ٭ وطرِّقى بخُصْيةٍ وأيْرِ

ولا تُرينا طرَف البُظيْر

٢٠ ثم ولدت له أُخرى ، فهجر فراشها وكان يأتى جارة لها ، فقالت فيه ـ وكان يكنى أبا حمزة ـ :

ما لأبى حمزةَ لا يأتينا ٭ يظلُّ فى البيت الذى يَلينا

غضبانَ أن لا نلدَ البَنينا ٭ وإنما نأخذ ما أُعطينا !

فألانه قولها ورجع إليها .

لأعرابي يدعو

وقال سعيد بن أبي الفَرَج : سمعت أعرابيا يطوف بالبيت وهو يقول :

لاهُمَّ ربَّ الناس حين لبَّوا * وحين راحوا من مِنًى وحصَّبوا

لا سُقيتْ عَشْبَثَبُ وغُلَّبُ * والمُستَزار لا سَقاه الكوكبُ

فقلت : يا أعرابي ، ما لهذه المواضع تدعو عليها في هذا الموضع ؟ فنظر إليّ ٥

كالغضبان فقال :

* من أجل حماهن ماتت زينب *

قولهم في التلصص

لبعض الشعراء

أبو حاتم قال : أنشدنا أبو زيد الأعرابي ، وكان لصا :

ثلاث خِلال لستُ عنهن نائباً * وإن لامَني فيهن كلُّ خليلِ ١٠

فمنهن أني لا أزال مُعانِقاً * حمائل ماضي الشَّفرتيْن صَقيل

به كنت أستعدِي وأُعْدي صَحابتي * إذا صرَخ الزحفان باسم قتيل

ومنهنّ سُوق النهْب في ليلة الدُّجى * يَحار بها في الليل كل دليـــل

ومنهن تَجريد الكَعاب ثيابَها * وقد مال جُنْح الليل كلَّ مَميل

وهذا المعنى سبقه إليه الأول : ١٥

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى * وجَدِّكَ لم أحفِل متى قام رامِسُ

فمنهن سبْق العاذِلات بشَرْبةٍ * كأنّ أخاها مطلَعَ الشمسِ ناعس

ومنهن تقْريط الجَواد عِنانَه * إذا ابتَدر الشخصَ الصفيَّ الفوارس

ومنهنّ تَجريد الكواعب كالدُّمَى * إذا ابتُزّ عن أكفالهنّ الملابس

لطرفة

وأول من قال هذا المعنى طَرَفة حيث يقول : ٢٠

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى * وجَدِّكَ لم أحفِل متى قام عُوَّدِي

فمنهن سَبْق العاذِلات بشَرْبةٍ * كُمَيْتٍ متى ما تُعْلَ بالماء تُزبِد

وكَرّى إذا نادَى المُضافُ مُجَنَّبا ۞ كسِيدِ الغَضا نبَّهتَهُ المُتوردِ
وتقصيرُ يومِ الدَّجْنِ والدجْنُ مُعجبٌ ۞ ببَهْكَنَةٍ تحت الخِبَـــاءِ المُعَمَّدِ

قولهم فى الطعام

شيخ وحدث

الأصمعى قال : اصطحب شيخٌ وحدَث فى سفر ، وكان لهما قرص فى كل يوم ، وكان الشيخ منخلع الأضراس بطىء الأكل ، وكان الحدث يطيش بالقرص ثم يجلس يشتكى العشق ، ويتضور الشيخ جوعا ، وكان يسمى الحدثُ جعْفَراً ، فقال الشيخ :

لقد رابنى مِن جعفرٍ أنّ جعْفَرًا ۞ يطيشُ بقُرصِى ثم يبكِى على جُمْلِ
فقلتُ له لو مَسَّكَ الحبُّ لم تبتْ ۞ بَطيناً ونَسَّاك الهوَى شرَهَ الأكل

أيمن الشعراء

الأصمعى قال : أنشدنى أعرابى لنفسه :

ألا ليتَ لِى خُبْزاً تسرْبَل راتِباً ۞ وخيْلاً مِنَ البَرْنىِّ فُرسانها الزُّبدُ
فأطلُبَ فيما بيْنَهُنَّ شهادةً ۞ بموْتٍ كريم لا يُعدُّ له لَحْد

لأعرابى فى ثريدة

الشيبانى عن أبيه قال : قال أعرابى : كنت أشتهى ثريدة دكناء من الفلفل ، رقطاء من الحمص ، ذات حِفافين من اللحم ، لها جناحان من العُراق ، أضرب فيها كما يضرب ولىُّ السوءِ فى مال اليتيم !

بين أعرابيين

وقال رجل لأعرابى : ما يسرنى لو بتُّ ضيفاً لك ! فقال له الأعرابى : لو بتَّ ضيفاً لى لأصبحت أبطنَ من أمك قبل أن تلدَكَ بساعة .

أعرابى على مائدة سليمان

حضر أعرابى سفرة سليمان بن عبد الملك ، فجعل يمر إلى ما بين يديه ، فقال له الحاجب : مما يليك فكُلْ يا أعرابى . فقال : مَن أجدبَ انتجع . فشق ذلك على سليمان ، وقال للحاجب : إذا خرج عنا فلا يعُد إلينا . وشهد بعد هذا سُفْرتَه أعرابى آخر ، فمر إلى ما بين يديه أيضاً ، فقال له الحاجب : مما يليك فكُل يا أعرابى . قال : مَن أخصب تخيَّر . فأعجب ذلك سليمان ، فقرّبه وأكرمه وقضى حوائجه .

أعرابى وقوم من الكتبة

مر أعرابى بقوم من الكتبة فى متنزه لهم وهم يأكلون ، فسلم ثم وضع يده يأكل معهم ، فقالوا : أعرفت فينا أحداً ؟ قال : بلى ، عرفت هذا ! وأشار إلى الطعام ، فقال بعض الكتاب يصف أكله :

* لم أرَ مِثْل نَرْطِه ومطِّهِ *

قال الثانى : * وأكْلهُ دجاجةً بيطِّهِ * ٥

قال الثالث : * ولفِّـــهِ رُقاقهُ بإقْطِهِ *

قال الرابع : * كأنّ جالينوسَ تحت إبطِهِ *

فقالوا للرابع : أما الذى وصفنا من فعله فمفهوم ؛ فما يصنع جالينوس من تحت إبطه ؟ قال : يلقمه الجوارش كلما خاف عليه التخمة ، يهضم بها طعامه !

مدنى وأعرابى

١٠ وقال رجل من أهل المدينة لأعرابى : ما تأكلون وما تعافون ؟ قال له الأعرابى : نأكل كل ما دب وهب ، إلا أم حُبيْن . قال المدنى : ليَهْنِئْ أمَّ حُبين العافية .

أعرابى وولده

قال رجل من الأعراب لولده : اشتروا لى لحماً . فاشتروا وطبخوا له حتى تهرّأ ، فأكل منه حتى انتهى ، ولم يبق إلا عظامه ؛ وشرعتْ إليه عيون ولده ، ١٥ فقال : ما أنا مطعِمه أحداً منكم إلا من أحسنَ أكله . فقال له الأكبر : ألوكه يا أبت حتى لا أدع فيه للذرة مقيلا . قال : لست بصاحبه . قال الآخر : ألوكه حتى لا يدرى ألعامه هو أو لعامٍ أول؟ قال : لست بصاحبه . قال له الأصغر : أدقُّه يا أبت وأجعل إدامه المخ . قال : أنت صاحبه ، هو لك .

لعذرى فى حضر المسلمين

بلغنى عن محمد بن يزيد بن معاوية ، أنه كان نازلا بحلب على الهيثم بن عدى ، ٢٠ فبعث إلى ضيف له من عذرةَ أعرابىٍّ ، فقال له : حدِّث أبا عبد الله بما رأيت فى حضر المسلمين من الأعاجيب . قال : نعم ، رأيت أموراً معجبة . منها أنى دخلت قرية بكر بن عاصم الهلالى ، وإذا أنا بدور متباينة ، وإذا خِصاص ببضٌ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، وعليهم ثياب حَكَوْا بها أنواع الزهر ؛ فقلت لنفسى : هذا أحد العيدين : الفطر أو الأضحى . ثم رجع

إلىّ ما عزب من عقلي ، فقلت : خرجت من أهلي في عقب صفَر وقد مضى العيدان قبل ذلك ! فبينا أنا واقف أتعجب إذ أتاني رجل فأخذ بيدي فأدخلني بيتاً قد نُجِّدَ ، وفي وجهه فُرُشٌ ممهدة ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره كتفيه ، والناس حوله سماطين ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي يُحكى لنا جلوسُه وجلوس الناس حوله . فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله ! قال : فجذب رجلٌ بيدي وقال : ليس بالأمير ، اجلس . قلت فمن هو ؟ قال : عروس . قلت : واثكل أمّاه ! لرُبَّ عروسٍ بالبادية قد رأيته أهون على أصحابه من هَنِ أمه ! فلم ألبث أن أدخلت الرجالُ عليها هَناتٌ مدوّرات من خشب ، أما ما خف منها فيُحمل حملا ، وأما ما ثقل فيُدحرج ؛ فوضعت أمامنا وتَحلَّقَ القوم عليها حلَقا ، ثم أتينا بخِرق بيض فألقيت عليها ؛ فهممت واللهِ أن أسأل القوم خِرقة منها أرقع بها قميصي ، وذلك أني رأيت لها نسجاً متلاحما لا يتبين له سدى ولا لُحمة ؛ فلما بسط القوم أيديهم ، إذا هو يتمزق سريعا ، وإذا صنف من الخبز لا أعرفه ؛ ثم أتينا بطعام كثير من حُلْو وحامض ، وحارٍ وبارد ، فأكثرت منه وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخم والبَشم ؛ ثم أتينا بشراب أحمر في عِساس بيض ؛ فلما نظرت إليه قلت : لا حاجة لي به ؛ لأنّي أخاف أن يقتلني ! وكان إلى جانبي رجل ناصحٌ لي - أحسَن الله عني جزاءه ! - كان ينصحني بين أهل المجلس ؛ فقال لي : يا أعرابي ، إنك قد أكثرت من الطعام فإن شربت الماء هَمَى بطنك . فلما ذكر البطن ، ذكرت شيئا أوصاني به الأشياخ ، قالوا : لا تزال حيا ما دام بطنك شديدا ، فإذ اختلفت فأوص . فلم أزل أتداوى بذلك الشراب ولا أملّه ، حتى داخلني به صلف لا أعرفه من نفسي ولا عهد لي به ، واقتدارٌ على أمري ؛ وكان إلى جانبي الرجل الناصح لي ؛ فجعلت نفسي تحدثني بهتْم أسنانه مرة ، وهشم أنفه أخرى ؛ وأهم أحيانا أن أقول له : يا ابن الزانية ! فبينا نحن كذلك ، إذ هجم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علق جعبة فارسية منتفخة الطرفين قد شبكت بالخيوط ، وقد ألبست قطعة فرو ،

كأنهم يخافون عليها القر ؛ ثم بدا الثانى فاستخرج من كمه هنة كفيشلة الحمار ، فوضع طرفها فى فيه فضرط فيها ، ثم حَسَب على جِحَرة فاستخرج منها صوتا مُشاكلا بعضه بعضا ؛ ثم بدا الثالث وعليه قميص وسخ ، وقد غرق رأسه بالدهن معه مِرْآتان ، فجعل يَمري إحداهما على الأخرى ؛ ثم بدأ الرابع عليه قميص قصير وسراويل قصيرة ، فجعل يقفز صلبه ، ويهز كتفيه ، ثم التبط بالأَرض ، ٥
فقلت : معتوهٌ وربِّ الكعبة . ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندى . ثم أرسلت إلينا النساء أن أمتِعونا من لهوكم . فبعثوا بهم إليهن ، وبقيت الأصوات تدور فى آذاننا ؛ وكان معنا فى البيت شاب لا آبَه له ، فعلَتِ الأَصوات له بالدعاء ، فخرج فجاء بخشبة فى يده ، عينها فى صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من جوانبها عوداً فوضعه على أذنه ، ثم زمّ الخيوط الظاهرة ، فلما أحكمها عرك ١٠
أذنها فنطق فوها ، فإذا هى أحسنُ قينة رأيتها قط [وغنّى عليها] فاستخفّنى حتى قمت من مجلسى فجلست إليه فقلت : بأبى أنت وأمى ، ما هـذه الدابة ؟ قال : يا أعرابى ، هذا البَرْبط . قلت : فما هذه الخيوط ؟ قال : أما الأَسفل فزير ، والذى يليه مثْنى ، والذى يليه مَثلث . والذى يليه بَمّ . فقلت : آمنت بالله .

لأعرابى فى تمر

وقال أعرابى . تمرنا خُرسٌ فُطْس ، يغيب فيهن الضرس ، كأن نواها ألسن الطير ، ١٥
تقع التمرة منها فى فيك ، فتجد حلاوتها فى كعبك .

أعرابى على سفرة سليمان

وحضر أعرابى سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أُتى بالفالوذج جعل يسرع فيه ، فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابى ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، إنى لأجد ريقا هنيئا ، ومزدَرَداً ليناً ، وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه ! قال : فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابى ، فإنهم يذكرون أنه ٢٠
يزيد فى الدماغ ، قال : كذبوك يا أمير المؤمنين لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل .

لأعرابى غير صائم

قال : ومررت بأعرابى يأكل فى رمضان ، فقلت له : ألا تصوم يا أعرابى ؟ فقال :

وصائمٍ هبَّ يلحانى فقلتُ له ٭ أعمِدْ لصومك واتْرُكْ لى إفطارى

وأظمَا فإنى سأرْوى ثم سوف ترى ٭ من ذا يَصيرُ إذا متنا إلى النَّار

لأعرابى على سفرة سليمان أيضا

وحضر سفرةَ سليمان أعرابى ، فنظر إلى شعرة فى لقمة الأعرابى ؛ فقال : أرى شعرة فى لقمتك يا أعرابى ! قال : وإنك لتُراعينى مراعاةَ من يُبصر الشعرة فى لقمتى ؟ والله لا واكلتك أبداً ! فقال : استرها يا أعرابى ، فإنها زلة ولا أعود إلى مثلها .

أخبار أبى مهدية الأعرابى

أبو عثمان المازنى قال : قال أبو مَهدية : بلغنى أن الأعراب والأعزاب هجاهما واحد . قلت : نعم . قال : فاقرأ : « الأعْزابُ أشـدُّ كفْراً ونفاقاً » ولا تقرأ : الأعراب . ولا يغرّك العَزَبُ وإن صام وصلى .

وتوفى بُنَيٌّ لأبى مهدية صغير ، فقيل له : أبشر أبا مهدية ؛ فإنا نرجو أن يكون شفيع صدق يوم القيامة ! قال : لا وكَلَنا الله إلى شفاعته ، إذاً والله يكون أعيانا لسانا وأضعَفَنا حجة ؛ ليته المسكين كفانا نفسه !

وقيل لأبى مهدية : أكنتم تتوضؤن بالبادية ؟ قال : نعم والله ؛ لقد كنا نتوضأ فتكفى التوضئة الواحدة الرجل منا الثلاثة الأيام والأربعة ، حتى دخلت علينا هذه الحمر - يعنى الموالى - فجعلت تليق أستاهها كما تلاق الدواة .

وقيل لأبى مهدية : أتقرأ من كتاب الله شيئا ؟ قال : نعم . ثم افتتح يقرأ : ﴿والضُّحَى واللَّيْلِ إذا سَجَى﴾ حتى انتهى إلى ﴿ووجَدكَ ضالاً فَهدى﴾ فالتفت إلى صاحب له فقال : إن هؤلاء العلوج يقولون : ووجدك ضالا فهدى . والله لا أقولها أبداً .

ولما سن أبو مهدية ولِىَ جانبا من اليمامة ، وكان به قوم من اليهود أهل عطاء وجِدة ، فأرسل إليهم فقال : ما عندكم فى المسيح ؟ قالوا : قتلناه وصلبناه ! قال : فهل غرمتم دِيته ؟ قالوا : لا . قال : إذاً والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديته ! فأَرْضَوه حتى كف عنهم .

وقيل لأبي مهدية : ما أصبركم معشر الأعراب على البدو ؟ قال : كيف لا يصبر على البدو مَن طعامُه الشمس وشرابه الريح !؟

ونظر أبو مهدية إلى رجل يستنجى ويكثر من الماء ، فقال له : إلى كم تغسلها ويحك ! أتريد أن تشرب فيها سويقا !

ومات طفل لأبي مهدية ، فقيل له : اصبر يا أبا مهدية ؛ فإنه فرط افترطتَه ، وخير قدمته ، وذخر أحرزته . فقال : بل ولدٌ دفنتُه ، وثكلٌ تعجلته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص ، لا أفرحُ للمزيد . ٥

قال أبو عبيدة : سمع أبو مهدية رجلا يقول بالفارسية : زود زود . فقال : ما يقول هذا ؟ فقيل له يقول : عجل عجل . فقال : أفلا يقول : حيهلا .

خبر أبي الزهراء ١٠

المعلى بن المثنى الشيباني قال : حدثنا سويد بن منجوف قال : أقبل أعرابي من بني تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السبيع ، تحته أتان له تخب ، وعليها ذلاذل وأطمار من سَحْق صوف ، قد اعتم بما يشبه ذلك ؛ من أشوه الناس منظرا وأقبحهم شكلا ؛ وهو يهدر كما يهدر البعير وهو يقول ألا سَبَد ، ألا لَبَد ألا مُؤْو ألا مُقْرِ ، ألا سعديّ ألا يَرْبُوعيّ ، ألا دَارِميّ ! هيهات هيهات ! وما يُغنى لَصلى حوض الماء صاديا مُعَنى ! قال سويد : فدخل علينا في درب الكناسة فلم يجد منفذا وقد تبعه صبيان كثير وسواد من سواد الحي ، قال : فسمعت سواديا يقول له : يا عماه ، يا إبليس ! متى أُذِنَ لك بالظهور ؟ فالتفت إليهم ، فقال منذ سروا آباءكم وفشُّوا أمهاتكم ! قال : وكان معنا أبو حماد الخياط ، وكان من أطلب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي ، فدخل علينا وكان مع ذلك مولى بني تميم ؛ فأتيته فأخبرته ؛ فخرج مبادرا كأني قد أفدته فائدة عظيمة ؛ وقد نزل الأعرابي عن الأتان واستند إلى بعض الحيطان وأخذ قوسه بيده ؛ فتارة يشير بها إلى الصبيان ، وتارة يذبُّ الشذا عن الأتان ـ وهو يقول لأتانه : ١٥ ٢٠

قد كنتِ بالأمعَزِ فى خِصبٍ خصِبْ ❊ ما شئتِ من حَمْضٍ وماءٍ مُنسكِبْ
فربُّكِ اليومَ ذليلٌ قد نُصب ❊ يَرى وجوهاً حوله ما ترتقب
ولا عليها نُور إشرافِ الحَسَبْ ❊ كأنها الزَّنجُ وعُبدَانُ العرب
إلى عجيل كالرعيـــل والسربْ ❊ ولو أمِنْتُ اليوم من هذا اللَّجَبْ
٥ رميتُ أفواقاً قويمَات النُّصُبْ ❊ الرِّيش أولاها وأخراها العقب

قال : فلم يزل أبو حماد يلطفه ويتلطف به ويبجله ، إلى أن أدخله منزله ؛ فهد له وحطه عن أتانه ، ودعا بالعلف ؛ فجعل الأعرابى يقول : أين الليف والنَّثيف والوساد والنجاد ؟ يعنى بالليف : الحصير : و بالنثيف عشبة عندهم يقال لها البُهْمَى والوساد : جلد عنز يسلخ ولا يشق ويحشى وبراً وشعراً ويُتَّكأ عليه ؛ والنجاد :
١٠ مسح شعر يستظل تحته . قال : فلما نزع القتب عن الأتان إذا ظهرها قد دَبِر حتى أضرّت بنا رائحته : فجعل الأعرابى يتنهد ويقول :

إنْ تُنحَضِى أو تُدبَرِى أو تُزجَرى ❊ فذاكَ من دُءوبِ ليلٍ مسهِرِ
أنا أبو الزهراءِ من آلِ السَّرِى ❊ مُشَمَّخ الأنفِ كريم العُنْصرِ
إذا أتيْت خُطَّةً لم أُقسَرِ

١٥ وكان يسمى الأعرابى صلتان بن عوسجة من بنى سعد بن دارم ، ويكنى بأبى الزهراء ، وما رأيت أعرابيا أعجب منه : كان أكثر كلامه شعرا ؛ وأمثل أعرابى سمعته كلاما ؛ إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لانفهمها ؛ وكان من أضجر الناس وأسوئهم خُلقا ، وإذا نحن سألناه عن الشىء قال : ردّوا على القوس والأتان ! يظن أنا نتلاعب به ، وكنا نجتمع معه فى مجلس أبى حماد ، وما منا إلا من يأتيه
٢٠ بما يشتهيه ، فلا يعجبه ذلك ؛ حتى أتيناه يوما بخِرْبِز ، وكانت أمامه ، فلما أبصرها تأملها طويلا وجعل يقول :

بُدِّلت والدهرُ قديما بَدَّلا ❊ من قَيْضِ بيضِ القَفْرِ فقْعاً حَنظَلا
أخبثُ ما تُنبت أرض مأكلا

فكنا نقول له : يا أبا الزهراء ، إنه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنىء مرىء ،

ونحن نبدؤك فيه إن شئت . قال : فخذوا منه حتى أرى ! فبدأنا نأكل وهو ينظر لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده فأخذ واحدة ، فنزع أعلاها وقور أسفلها ، فقلنا له . ماتريد أن تصنع يا أبا الزهراء ؟ فقال . إن كان السم يا ابن أخى ففيما ترون ! فلما طَعِمَه استخفّه واستعذَبه واستحلاه ، فلم يكن يؤثر عليه شيئا ، وما كنا نأتيه بعد بغيره ، وجعل فى خلال ذلك يقول : ٥

هـــذا طعامٌ طيِّبٌ يلينُ * فى الجوفِ والحلْقِ له سُكونُ

الشُّهْدُ والزبد به مَعْجونُ

فلما كان إلى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك فى الحمام ؟ قال : وما الحمام يا ابن أخى ؟ قلنا له : دار فيها أبيات : حارّ ، وفاتر ، وبارد ؛ تكون فى أيها شئت يَذهب عنك قشف السفر ويسقط عنك هذا الشعر . قال : فلم نزل به حتى أجابنا، ١٠ فأتينا به الحمام ، وأمرنا صاحب الحمام أن لا يُدخل علينا أحداً ، فدخل وهو خائف مترقب ، لا ينزع يده من يد أحدنا ، حتى صار فى داخل الحمام ، فأمرنا من طلاه بالنُّورة ، وكان جلده أشعر كجلد عنز . فقلق ونازع للخروج ، وبدأ شعره يسقط ؛ فقلنا أحين طاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج ؟ قال : يا بن أخى ، وهل بقى إلا أن أنسلخ كما ينسلخ الأديم فى احتدام الغيظ ! وجعل يقول : ١٥

وهل يطيبُ الموتُ يا إخوانى * هل لكم فى القوسِ والأتانِ

خذوهما منّى بلا أثمانِ * وخلّصوا المُهجةَ يا صبيان

فاليوم لو أبصرَنى جيرانى * عُرْيان بل أعرى من العرْيانْ

قد سَقَط الشَّعْرُ من الجثمان * حُسِبْت فى المنظرِ كالشَّيْطان !

قال : ثم خرج مبادراً ، وأتبعه أحداثٌ لنا ، لولاهم لخرج بحاله تلك ما يستره ٢٠ شىء ؛ ولحقناه فى وسط البيوت ، فأتيناه بماء بادر ، فشرب وصب على رأسه ، فارتاح واستراح . وأنشأ يقول :

الحمد للمستحمدِ القهّار * أنقذنى من حرّ بيتِ النارِ

إلى ظليلٍ ساكنِ الأَوار * من بعد ما أيقنتُ بالدّمار

قال: فدعونا له بكسوة غير كسوته فألبسناه، وأتينا به مجلس أبي حماد؛ وكان أبو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الحبوب؛ وكان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر وكان أبو الحسن التّمّار ماهراً؛ فإذا خضنا في النحو وذكرنا الرؤاسي والكسائي

٥ وأبا زيد، جعل ينظر، يفقه الكلام ولا يفهم التأويل؛ فقلنا له: ما تقول يا أبا الزهراء؟ فقال: يا ابن أخي، إن كلامكم هذا لا يسد عوزا مما تتعلمونه له. فقال أبو الحسن: إن بهذا تَعرف العربَ صوابَها من خطئها. فقال له: ثكلتَ وأثكلت! وهل تخطئ العرب؟ قال: بلى. قال: على أولئك لعنة الله وعلى الذين أعتقوا مثلك! قال سويد: وكنت أحدثَهم سنا (قال) فقلت: جُعِلتُ فداك، وأنا رجل من بني شيبان

١٠ وربيعة؛ ما تعلم أنّا على مثل الذى أنت عليه من الإنكار عليهم؛ فقال فيهم:

يُسائلني بيّـاعُ تمرٍ وجرْدَقٍ * ومازجُ أبوالٍ له في إنائه
عن الرّفع بعد الخفض، لا زال خافضاً * ونصبٌ وجزمٌ صِيغ من سُوء رائه
فقلت له هـذا كلامٌ جهلته * وذو الجهلِ يَروِى الجهلَ عن نظرائه
فقال بهـذا يُعرف النحوُ كلُّه * يرى أنني في العُجْم من نُظرائه

١٥ فأمّا تميمٌ أو سُليمٌ وعامرٌ * ومَن حلَّ غمْرَ الضَّالِّ أو في إزائه
ففيهم وعنهم يُؤثر العِـلم كلُّه * ودَع عنك من لا يهتدى لِخطائه
فمَنْ ذا الرُّؤاسِيُّ الذى تذكُرونه * ومن ذا الكِسائي سالحٌ في كِسائه
ومن ثالثٌ لم أسمع الدهرَ باسْمِه * يُسمُّونه من لؤمه سِيبوائه
فكيف يُخِلُّ القولَ من كان أهله * ويُهدَى له من ليس من أوليائه

٢٠ فلستُ لبيّاع التُّميْرات مُغْضياً * على الضّيْم إن واقفت بعد عشائه[1]

ولقد قلنا له: يا أبا الزهراء، هل قرأت من كتاب الله شيئاً؟ قال: إي وأبيك، آيات مفصلات أردّدهن في الصلوات، آباء وأمهات، وعمات وخالات

(١) في بعض الأصول: «إن راقبت فقد عدائه».

ثم أنشأ يقول :

قرأت قول الله فى الكتاب * ما أنزل الرحمنُ فى الأحزابِ
لعُظْم ما فيها من الثواب * الكفرُ والغِلْظة فى الأعرابِ
وأنا فاعلمْ من ذوى الألباب * أُومنُ بالله بلا ارتياب
فى عرشِه المستور بالحجاب * والموت والبعث وبالحساب ٥
وجنَّةٍ فيها من الثياب * ما ليس بالبَصْرة فى حساب
وجاحِمٍ يلفحُ بالتهاب * أوْجُهَ أهلِ الكفرِ والسِّباب
ودفعِ رحْلِ الطارقِ المُنتاب * فى ليْلةٍ ساكتةِ الكلاب

ولما أحضرناه ذات يوم جنازة ، فقلنا له : يا أبا الزهراء ، كيف رأيت الكوفة ؟ قال : يا ابن أخى ، حضرا حاضرا ؛ ومحلا آهلا ؛ أنكرتُ من أفعالكم الأكيال والأوزان ، وشكل النسوان . ثم نظر إلى الجبانة فقال : ما هذه التلال يا ابن أخى ؟ قلت له : أجداث الموتى ، فقال : أماتوا أم قتلوا ؟ فقلت : قد ماتوا بآجالهم ميتات مختلفات . قال : فماذا ننتظر نحن يا ابن أخى ؟ قلت : مثل الذى صاروا إليه ، فاستعبر وبكى ؛ وجعل يقول : ١٠

يا لهفَ نفسى أن أموت فى بلدْ * قد غاب عنى الأهل فيه والولدْ ١٥
وكلُّ ذى رحْمٍ شفيقٍ مُعْتَقَدْ * يكوِى ما كنتُ سقيما كالرمِدْ
يا ربِّ يا ذا العرش وفِّقْ للرَّشَدْ * ويسِّر الخيْر لشيْخٍ مُختضدْ

ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ؛ فكنا لا نبارحه عائدين متفقدين ؛ فبينا نحن عنده ذات يوم وقد اشتد كربه وأيقن بالموت ، جعل يقول:

أبلغ بناتى اليوْم أبلغ بالصوى * قد كن يأمُلن إيابى بالغِنى ٢٠
وقد تمنَّيْن وما يُغْنى المُنى * بأنّ نفْسى وردت حوْض الرَّدى
يا ربِّ يا ذا العرش فى أعلا السَّما * إليكَ قدمت صيامى فى الظَّما
ومن صلاتى فى صباحٍ ومَسا * فعُدْ على شيخٍ كبيرٍ ذى أنحنا
يكفيه ما لاقاهُ فى الدُّنيا كفى

قلنا له : ياأبا الزهراء ، ما تأمرنا فى القوس والأتان ، وفيما قسم الله لك عندنا من رزق؟ فقال : ياابن أخى ، أما ماقسم الله لى عندكم فمردودٌ إليكم ، وأما القوس والأتان فبيعوهما وتصدقوا بثمنهما فى فقراء صَلِبة بنى تميم ، وما بقى فى مواليهم . ثم جعل يقول : اللهم اسمع دعاء عبدك إليك ، وتضرعه بين يديك ، واعرف له حق إيمانه بك ، وتصديقه برسلك ، صليت عليهم وسلمت ؛ اللهم إنى جان مقترف وهائب معترف ، لا أدعى براءة ، ولا أرجو نجاة إلا برحمتك إياى ، وتجاوُزك عنى ؛ اللهم إنك كتبت على الدنيا التعب والنصب ، وكان فى قضائك ، وسابق علمك قبْضُ روحى فى غير أهلى وولدى ، اللهم فبدل لى التعب والنصب رَوحا وريحاناً وجنةَ نعيم ؛ إنك مفضل كريم . ثم صار يتكلم بما لا نفقهه ولا نفهمه حتى مات ، رحمه الله ؛ فما سمعت دعاء أبلغ من دعائه ، ولا شهدت جنازة أكثر باكيا وداعياً من جنازته؛ رحمه الله .

* * *

لبعض الأعراب

وقال أعرابى يصف كساء :

من كان ذا بتّ فهذا بَتّى ❊ مُقيِّظ مُصيِّف مُشتّى

نَسَجْتُه من نَعَجاتٍ سِتِ

وقال أعرابى :

قالت سُليمى : ليت لى بَعْلاً يَمَنْ ❊ يَغسل رأسى ويُسَلِّينى الحزن

وحاجةٍ ليس لها عندى ثمنْ ❊ مشهورةٍ قضاؤُها منه وهَنْ[1]

قلن جوارِى الحىّ: ياسَلْمى وإن ❊ كان فقيراً مُعْدِماً ؟ قالت وإنْ !

وقال أعرابى :

جاريتان حلَفتْ أمّاهما ❊ أنْ ليس مَغْبوناً من اشتراهما

والله لا أُخبرُكم إسماهما ❊ إلّا بقولى هكذا هُما هُما

هُما اللتان صادَتى سهماهُما ❊ حيّا وحيّا الله من حيّاهما

أمات ربّى عاجلاً أباهما ❊ حتى تُلاقى مُنْيتى مُناهُما

(١) الوهن : « قريب من منتصف الليل » .

وقال أعرابى :

إنّ لنا لَكَنَّهْ • مِعَنَّةً مِفَنَّهْ
سِمْعَنَّةً نظْرَنَّهْ • إلا تَرَهْ تَظُنَّهْ

السمعنة النظرنة : المرأة التى إذا سمعت أو نظرت فلم تر شيئاً تظنّت تظنيا .

وأنشد أبو عبد الله بن لِبانة الأعرابى : ٥

كريمةٌ يُحِبها أبوها • مليحةَ العيْنَيْن عذباً فُوها
لا تُحسِنُ السَّبَّ وإنْ سبُّوها

الرشيد والأصمعى

الأصمعى قال : دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بَدرة ، فقال : يا أصمعى ، إن حدثتنى بحديث فى العجْز فأضحكتنى وهبتك هذه البدرة . قلت : نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا فى صحارى الأعراب ، إذ أنا بأعرابى قاعد على أجمة ، قد احتملت الريح ١٠ كساءه فألقته على الأجمة ، وهو عريان ؛ فقلت له : يا أعرابى ، ما أجلسك ههنا على هذه الحالة ؟ فقال : جارية واعدتُها يقال لها سلمى ، أنا منتظر لها . فقلت : وما يمنعك من أخذ كسائك ؟ قال : العجْز يوقفنى عن أخذه . فقلت له : فهل قلت فى سلمى شيئا ؟ قال : نعم . قلت له : أسمعنى لله أبوك ! قال لا أُسمِعك حتى تأخذ كسائى وتُلقيه علىَّ ! قال : فأخذته فألقيته عليه ، فأنشأ يقول :

لعلَّ الله أنْ يأتى بسلْمى • فيَبْطَحُها ويُلقينى عليها ١٥
ويأتى بعد ذاك سَحابُ مُزْن • تُطهِّرنا ولا نسعى إليها

فاستضحك هارون حتى استلقى على ظهره ، وقال : خذ البدرة لا بُورك لك فيها .

ذكروا أن أعرابيا أتى عينا من ماء صاف فى شهر رمضان ، فشرب حتى روى ، ثم أومأ بيده إلى السماء فقال .

إن كنتَ قدرت الصيا • م فأعفنا من شهر آبْ ٢٠
أوْ لا فإنَّا مُفطِرو • نَ وصابرون على العذابْ

خلا أعرابى بامرأة ليفسق بها فلم ينتشر له ؛ فقالت له . قُم خائبا ! فقال . الخائب من فتح فم الجراب ولم يُكلْ له دقيق . فخجلت ولم تردّ جوابا .

كتاب المجنبة في الأجوبة

فرش الكتاب

تمهيد المؤلف

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى كلام الأعراب خاصة ،
٥ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الجوابات التى هى أصعب الكلام كلّه مركباً ،
وأعزه مطلبا ، وأغمضُه مذهبا ، وأضيقه مسلكا ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة
الفكرة ، واستعمال القريحة ، يروم فى بديهته نقض ما أبرم القائل فى رويّته ،
فهو كمن أُخذتْ عليه الفجاج ، وسُدَّت عليه المخارج ، قد اعترض الأسِنة ،
واستهدف للمرامى ، لا يدرى ما يقرع له فيتأهب له ، ولا ما يفجأه من خصمه
١٠ فيقرعه بمثله ، ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بذمامه
بعد أن روّى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأى يغبّ حتى
يختمر ؛ فقد كرهوا الرأى الفطير ، كما كرهوا الجواب الدَّبَرىّ ، فلا يزال فى
نسج الكلام واستئنانه ، حتى إذا اطمأن شارده ، وسكن نافره ، صك به
خصمَه جملة واحدة ثم إذا قيل له : أجب ولا تخطئ ، وأسرع ولا تبطئ ، تراه
١٥ يجاوب من غير أناة ولا استعداد ، يطبّق المفاصل ، وينفذ إلى المقاتل ، كما
يرمى الجندل بالجندل ، ويقرع الحديد بالحديد ، فيحل به عُراه ، وينقض به
مرائره ، ويكون جوابه على كلامه كسحابة لبّدت عجاجة ؛ فلا شىء أعضل من
الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الألد الذى يقرع صاحبه ، ويصرع
منازعه بقولٍ كمثل النار فى الحطب الجزل .

لأبي الحسن

قال أبو الحسن : أسرع الناس جواباً عند البديهة قريش ، ثم بقية العرب . وأحسن الجواب كله ما كان حاضرا ، مع إصابة معنى وإيجاز لفظ .

في ابن عفان

وكان يقال : اتقوا جواب عثمان بن عفان .

النبي صلى الله عليه وسلم في الزبرقان

وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمرو بن الأهتم : أخبرني عن الزِّبرقان ، قال : مطاع في أدانيه ، شديد العارضة ، مانع لما وراء ظهره ، قال الزبرقان : والله يارسول الله ، لقد علم مني أكثر من هذا ، ولكن حسدني . قال عمرو ابن الأهتم : أما والله يارسول الله ، إنه لزمِن المروءة ، ضيق العطن ، أحمق الوالد ، لئيم الخال ؛ والله يارسول الله ، ما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقت في الأخرى ؛ رضيت عن ابن عمي فقلت فيه أحسن ما فيه ولم أكذب ، وسخطت عليه فقلت أقبح ما فيه ولم أكذب ! فقال النبي عليه الصلاة والسلام : إنّ من البيان لَسِحرا .

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

لما قدم عَقيل بن أبي طالب على معاوية ، أكرمه وقرّبه وقضى حوائجه وقضى عنه دَينه ، ثم قال له في بعض الأيام : والله إن عليا غير حافظ لك ، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك ، قال له عقيل : والله لقد أجزل العطيةَ وأعظمَها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسُن ظنُّه بالله ، إذ ساء به ظنُّك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته ، إذ خُنتم وأفسدتم وجُرتم ، فاكفف لا أبالك ، فإنه عما تقول بمعزل .

وقال له معاوية يوما : أبا يزيد ، أنا لك خيرٌ من أخيك علي . قال : صدقت ، إن أخي آثر دينَه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأنت خير لي من أخي ، وأخي خير لنفسه منك .

وقال له ليلة الهَرير : أبا يزيد ، أنت الليلة معنا ، قال : نعم ؛ ويوم بدر كنت معكم .

وقال رجل لعقيل : إنك لخائن حيث تركت أخاك وترغب إلى معاوية ، قال : أخْونُ منى والله مَن سفك دمه بين أخى وابن عمى ، أن يكون أحدهما أميرا !

ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره ، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له : أنتم معشر بنى هاشم تصابون فى أبصاركم ! قال : وأنتم معشر بنى أمية تصابون فى بصائركم !

ودخل عتبة بن أبى سفيان ، فوسع له معاوية بينه وبين عقيل فجلس بينهما ، فقال عقيل : مَن هذا الذى أجلس أميرُ المؤمنين بينى وبينه ؟ قال : أخوك وابن عمك عتبة . قال : أما إنه إن كان أقرب إليك منى ، إنى لأقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم منك ومنه ، وأنتما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرض ونحن سماء . قال عتبة : أبا يزيد ، أنت كما وصفت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فوق ماذكرت ، وأمير المؤمنين عالم بحقك ، ولك عندنا مما تحب أكثر مما لنا عندك مما تكره .

ودخل عقيل على معاوية ، فقال لأصحابه : هذا عقيل عمه أبو لهب ! قال له عقيل ، وهذا معاوية عمته حمّالة الحطب ! ثم قال : يامعاوية ، إذا دخلت النار فاعدل ذات اليسار ، فإنك ستجد عمى أبا لهب مفترشاً عمتَك حمالة الحطب ؛ فانظر أيهما خير ، الفاعل أو المفعول به .

وقال له يوما : ما أبين الشَّبَقَ فى رجالكم يا بنى هاشم ! قال : لكنه فى نسائكم أبين يا بنى أمية !

وقال له معاوية يوما : والله إنّ فيكم لخصلةً ما تعجبنى يا بنى هاشم . قال : وما هى ؟ قال : لِين فيكم . قال : لين ماذا ؟ قال : هو ذاك . قال : إيانا تعيّر يامعاوية ؟ أجل ، والله إن فينا للينًا من غير ضعف ، وعِزا من غير جبروت ؛ وأمّا أنتم يا بنى أمية فإن لينكم غدر ، وعزكم كفر . قال معاوية : ما كلّ هذا أردْنا يا أبا يزيد . قال عقيل :

لِذى اللُّبِّ قبل اليوم ما تُقرَع العصا ... وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليعْلما

قال معاوية :

وإنَّ سَفاهَ الشيخ لاحِلم بعدَه ۔ وإن الفتى بعدَ السَّفاهة يَحلمُ

وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب : لم جفوتَنا يا أبا يزيد ؟ فأنشأ يقول :

إنى آمرؤٌ منى التكرم شِيمةٌ ۔ إذا صاحبى يوما على الهُون أضمرا

ثم قال : وآيمُ الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا مهّدتك مهادَها ، وأظلتك بحذافيرها ومدت عليك أطناب سلطانها ـ ما ذاك بالذى يزيدك منى رغبة ، ولا تخشُّعاً لرهبة . قال معاوية نعتَّها أبا يزيد نعتاً هَشَّ لها قلبى ؛ وإنى لأرجو أن يكون الله تبارك وتعالى ماردانى رِداء ملكها ، وحبانى بفضيلة عيشها ، إلا لكرامة ادّخرها لى ؛ وقد كان داود خليفة ، وسليمان ملكا ؛ وإنما هو المثال يُحتذى عليه ، والأمور أشباه ؛ وآيم الله ياأبا يزيد ، لقد أصبحت علينا كريما ، وإلينا حبيبا ، وما أصبحتُ أُضمر لك إساءة .

ابن عقيل وامرأته

ويقال إن امرأة عقيل وهى بنت عتبة بن ربيعة خالة معاوية قالت لعقيل : يا بنى هاشم ، لا يحبكم قلبى أبداً ؛ أين أبى ؟ أين أخى ؟ أين عمى ؟ كأن أعناقهم أباريق فضة . قال عقيل : إذا دخلتِ جهنم فخذى على شمالك .

جواب ابن عباس رضى الله عنهما

لمعاوية وأصحابه

اجتمعت قريش الشام والحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس ؛ وكان جريئاً على معاوية حقّاراً له ، فبلغه عنه بعض ما غمّه ؛ فقال معاوية : رحم الله أبا سفيان والعباس ، كانا صفيَّين دون الناس ، فحفظت الميتَ فى الحىّ والحىَّ فى الميت ؛ استعملكَ علىٌّ ياابن عباس على البصرة ، واستعمل أخاك عبيدَ الله على اليمن ، واستعمل أخاك تمّاما على المدينة ؛ فلما كان من الأمر ما كان ، هنأتكم ما فى أيديكم ، ولم أكشفكم عما وعتْ غرائركم ، وقلت : آخذ اليوم وأعطى غداً مثله . وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم ، ولو شئت لأخذت

بحلاقيمكم وقيأتكم ما أكلتم. ولا يزال يبلغني عنكم ما تبرك له الإبل، وذنوبُكم إلينا أكثر من ذنوبنا إليكم : خذلتم عثمانَ بالمدينة ، وقتلتم أنصاره يوم الجمل ، وحاربتموني بصِفِّين ، ولعمري لبنو تَيمٍ وعديٍّ أعظم ذنوبا منا إليكم ؛ إذ صرفوا عنكم هذا الأمر ، وسنوا فيكم هذه السنة ؛ فحتى متى أُغضِي الجفون على القذى ، وأسحب الذيول على الأذى ، وأقول : لعل الله وعسى ... ماتقول يا ابن عباس ؟!

قال : فتكلم ابن عباس فقال : رحم الله أبانا وأباك ، كانا صفيين متفاوضين ؛ لم يكن لأبي من مال إلا ما فضل أباك ، وكان أبوك كذلك لأبي ؛ ولكن من هنَّأ أباك بإخاء أبي أكثر ممن هنأ أبي بإخاء أبيك ؛ نصَر أبي أباك في الجاهلية ، وحقن دمه في الإسلام ؛ وأما استعمال عليٍّ إيانا فلنفسه دون هواه وقد استعملت أنت رجالا لهواك لا لنفسك ، منهم ابن الحضرميّ على البصرة فقُتل ، وابن بشر ابن أرطاة على اليمن فخان ، وحبيب بن مُرة على الحجاز فرُدّ ، والضحاك بن قيس الفهري على الكوفة فحُصِب ؛ ولو طلبت ماعندنا وقينا أعراضنا ، وليس الذي يبلغك عنا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغرُ ذنوبكم إلينا على مائة حسنة لمحقها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسّنها . وأما خذلُنا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه ، وأما قتلُنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه وأما حربُنا إياك بصِفين فعلى تركك الحقَّ وادعائك الباطل ، وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدى فلو أردناها ماغلبونا عليها .

وسكت ، فقال في ذلك ابن أبي لهب :

كان ابنُ حرْبٍ عظيمَ القدْرِ في الناسِ ۔ حتى رماهُ بما فيــه آبنُ عباسِ
مازال يُهبِطُهُ طوراً ويُصعِدهُ ۔ حتى استقاد وما بالحقّ من باس
لم يتركَنْ خُطةً مما يُذلّهُ ۔ إلا كواه بها في فرْوةِ الراس

لابن أبي مليكة في ابن عباس

وقال ابن أبي مليكة : ما رأيت مثل ابن عباس ، إذا رأيته رأيت أفصحَ الناس ، وإذا تكلم فأعرَبُ الناس ، وإذا أفتى فأفقه الناس ما رأيت أكثرَ صوابا ولا أحضر جوابا من ابن عباس .

بين ابن عباس ومعاوية

ابن الكلبي قال : أقبل معاوية يوما على ابن عباس فقال : لو وَلِيتُمُونا ما أتيتم إلينا ما أتينا إليكم ، من الترحيب والتقريب ، وإعطائكم الجزيل ، وإكرامكم على القليل ، وصبرى على ما صبرتُ عليه منكم ، إنى لا أُرِدُ أمراً إلا أظمأتم صدره ولا آتى معروفا إلا صغَّرتم خطره وأعطيكم العطية فيها قضاء حقوقكم فتأخذونها متكارهين عليها ؛ تقولون : قد نقص الحق دون الأمل ! فأى أمل بعد ألف ألف أعطيها الرجل منكم ، ثم أكون أسرَّ بإعطائها منه بأخذها ؟ والله لئن انخدعت لكم فى مالى وذللت لكم فى عرضى ، أرى انخداعى كرما وذلى حلما . ولو وَلِيتمونا رضينا منكم بالانتصاف ، ولا نسألكم أموالكم ، لعلمنا بحالكم وحالنا ؛ ويكون أبغضَها إلينا أحبها إليكم أن نُعفيكم .

فقال ابن عباس : لو ولينا أحسنّا المواساة ، وما ابتلينا بالأثرة ؛ ثم لم نغشِم الحى ، ولم نشتم الميت ؛ فلستم بأجود منا أكفاً ، ولا أكرم أنفساً ، ولا أصون لأعراض المروءة ؛ ونحن والله أعطى للآخرة منكم للدنيا ، وأعطى فى الحق منكم فى الباطل ، وأعطى على التقوى منكم على الهوى ؛ والقسم بالسوية والعدل فى الرعية يأتيان على المنى والأمل ، ما أرضاكم منا بالكفاف ، فلو رضيتم منا لم ترض أنفسُنا به لكم ؛ والكفاف رضا من لا حق له ؛ فلا تُبخلونا حتى تسألونا ، ولا تلفظونا حتى تذوقونا .

أبو عثمان الحزامى قال : اجتمعت بنو هاشم عند معاوية ، فأقبل عليهم فقال : يا بنى هاشم ، والله إن خيرى لكم لممنوح ، وإن بابى لكم لمفتوح ؛ فلا يقطع خيرى عنكم عِلة ولا يوصِد بابى دونكم مسألة ؛ ولما نظرت فى أمرى وأمركم رأيت أمرا مختلفا : إنكم لترون أنكم أحق بما فى يدى منى ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقكم قلتم أعطانا دون حقنا ، وقصّر بنا عن قدْرنا ؛ فصرت كالمسلوب ، والمسلوب لاحمد له ؛ وهذا مع إنصاف قائلكم ، وإسعاف سائلكم .

قال : فأقبل عليه ابن عباس فقال : والله ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فتحت لنا بابا حتى قرعْناه ؛ ولئن قطعتَ عنا خيرك للهُ أوسعُ منك ولئن أغلقت

دونها بابك لنَكُفَنّ أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما لرجل من المسلمين ، ولنا فى كتاب الله حقان : حق فى الغنيمة ، وحق فى الفىء ؛ فالغنيمة ماغَلبنا عليه ، والفىء ما اجتبيناه ، ولولا حقنا فى هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف ولا حافر . كفاك أم أزيدك ؟ قال : كفانى ، فإنك تُهرّ ولا تُنبح .

٥ وقال معاوية يوماً وعنده ابن عباس : إذا جاءت بنو هاشم بقديمها وحديثها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برفادتها ودياتها ، وبنو عبد الدار بحجابتها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تيم بصدّيقها وجَوادها ، وبنو عدى بفاروقها ومتفكّرها ، وبنو سهم بآرائها ودهائها ، وبنو جمح بشرفها وأنوفها ، وبنو عامر بن لؤى بفارسها وقريعها ، فمن ذا يُجلى فى مضمارها ١٠ ويجرى إلى غايتها ؟ ما تقول يابن عباس ؟

قال : أقول : ليس حى يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشركهم ، إلا قريشا فإنهم يفخرون بالنبوة التى لا يشاركون فيها ولا يُساوَوْن بها ولا يُدفعون عنها ، وأشهد أن الله لم يجعل محمدا من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله فى بنى عبد المطلب إلا وهم خير بنى هاشم ، يريد أن يفخر عليكم إلا بما تفخرون به ؛ ١٥ إن بنا فتح الأمر وبنا يُختم ، ولك ملك معجّل ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد مُلكنا مُلك ، لأنا أهل العاقبة ، والعاقبة للمتقين .

ابن عباس وابن العاص

أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فمرّ بعبد الله بن عباس ، فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له وموقعه من قلوبهم ، فقال له : يا ابن عباس ، مالك إذا رأيتنى ولّيتنى القَصَرة ، وكان بين عينيك دَبَرة ، وإذا كنت فى ملأ من الناس ٢٠ كنت الهوْهاةَ الهُمزَة .

فقال ابن عباس : لأنك من اللئام الفجرة ! وقريش الكرام البررة لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتمون حقا علموه ، وهم أعظم الناس أحلاما ، وأرفع الناسْ أعلاما ، دخلتَ فى قريشٍ ولستَ منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لا فى بنى هاشم رحْلك ، ولا فى بنى عبد شمس راحلتك ، فأنت الأثيم الزنيم ، الضال

المضلُّ ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحلمه ، وتسمو بكرمه .

فقال عمرو : أما والله إنى لمسرور بك ، فهل ينفعنى عندك ؟

قال ابن عباس : حيث مال الحقُّ مِلنا ، وحيث سلك قصدنا .

المدائنى قال : قام عمرو بن العاص فى موسم من مواسم العرب ، فأطرى معاوية ابن أبى سفيان وبنى أمية ، وتناول بنى هاشم ، وذكر مشاهدَه بصفّين ، واجتمعت قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال

يا عمرو ، إنك بعت دينك من معاوية ، وأعطيته ما بيدك ، ومَنَّاكَ ما بيد غيره فكان الذى أخذ منك أكثر من الذى أعطاك ، والذى أخذتْ منه دون الذى أعطيته ، وكلٌّ راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر فى يدك كدّرها عليك بالعدل والتَّنَقص ، وذكرت مشاهدك بصفّين ، فوالله ما ثقلتْ علينا يومئذ وطأتُك ولقد كشفت فيها عورتك ، وإن كنت فيها لطويل اللسان ، قصير السنان آخر الخيل إذا أقبلت ، وأولها إذا أدبرت ، لك يدان ، يد لا تبسطها إلى خير ، وأخرى لا تقبضها عن شر ، ولسانٌ غادر ذو وجهين ، ووجهان وجه موحِش ووجه مؤنِس ، ولعمرى إن من باع دينه بدنيا غيره لَحَرِىّ أن يطول عليها ندمه ، لك بيان وفيك خَطَل ، ولك رأى وفيك نكَد ، ولك قدرٌ وفيك حَسَد ، وأصغرُ عيب فيك أعظم عيب فى غيرك .

فأجابه عمرو بن العاص : والله ما فى قريش أثقل علىّ مسألةً ، ولا أمَرّ جواباً منك ، ولو استطعت أن لا أجيبَك لفعلت ، غير أنى لم أبِع دينى من معاوية ، ولكن بعتُ الله نفسى ولم أنس نصيبى من الدنيا ، وأما ما أخذت من معاوية وأعطيته ، فإنه لا تُعلَّمُ العوانُ الخِمْرَةَ ، وأما ما أتى إلى معاوية فى مصر فإن ذلك لم يغيِّرنى له ، وأما خفة وطأتى عليكم بصفين فلما استثقلتم حياتى ، واستبطأتم وفاتى ، وأما الجبن ، فقد علمت قريش أنى أولُ من يبارز ، وآخر من ينازل وأما طول لسانى فإنى كما قال هشام بن الوليد لعثمان بن عفان رضى الله عنه :

لسانى طويلٌ فاحْتَرِس من شَذاته ... عليكَ وسيْفى من لِسانِىَ أطوَلُ

وأما وجهاى ولساناى ، فإنى ألقى كلّ ذى قدْر بقدْره ، وأرمى كلّ نابح بحَجَرِه ، فمن عرف قدره كفانى نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسى ، ولعمرى مالأحد من قريش مثل قدرك ماخلا معاوية ، فما ينفعنى ذلك عندك . وأنشأ عمرو يقول :

بنى هاشمٍ مالى أراكمْ كأنكمْ ∗ بِىَ اليوْمَ جُهّالٌ وليس بكم جَهْلُ

٥ ألم تعلموا أنى جَسورٌ على الوغَى ∗ سريعٌ إلى الدّاعى إذا كَثُرَ القَتْلُ

وأوّلُ من يدعو نَزالِ طبيعةً ∗ جُبِلْتُ عليها والطِّباعُ هو الجِبْلُ

وأنى فَصَلْتُ الأمر بعد اشتباهِه ∗ بِدوْمَةَ إذ أعْيا على الحكَمِ الفصل

وأنىَ لا أعْيــا بأمْرٍ أريدُه ∗ وأنى إذا عَجّتْ بكارُكم فَحْلُ

محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله

١٠ ابن عباس بعد قتل على بن أبى طالب رضى الله عنه : إن هذا الأمر الذى نحن فيه وأنتم ، ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم إلى ما ترى ، أبقت لنا هذه الحرب حياء ولا صبرا ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ! ولكنا نقول : ليتها لم تكن كانت ! فانظر فيما بقى بعين ما مضى ؛ فإنك رأس هذا الأمر بعد علىّ ، فإنك أمير مطاع ، ومأمور مطيع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو .

١٥ مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير

الشعبى قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أمّ المؤمنين ، وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأفتيت بتزويج المُتعة .

فقال : أمّا أم المؤمنين فأنت أخرجتَها وأبوك وخالك ، وبنا سُمّيَتْ أم المؤمنين وكنا لها خير بنين ؛ فتجاوز الله عنها ؛ وقاتلت أنت أبوك عليا ، فإن كان عليا

٢٠ مؤمنا فقد ضللتم بقتالكم المؤمنين ، وإن كان علىّ كافرا فقد بُؤْتم بسخط من الله بفراركم من الزحف ؛ وأما المتعة فإن عليا رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم رَخّص فيها ، فأفتيت بها : ثم سمعته ينهى [عنها] فنهيت عنها ؛ وأول مِجْمَر سطع فى المتعة مِجْمَرُ آل الزبير .

مناظرة في مجلس معاوية

دخل الحسن بن عليّ على معاوية وعنده ابن الزبير وأبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب؛ فلما جلس الحسن قال معاوية: ياأبا محمد، أيهما كان أكبر، عليّ أم الزبير؟ قال: فقال: ما أقرب ما بينهما، عليّ كان أسنّ من الزبير؛ رحم الله عليا فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير، فتبسم الحسن؛ فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك عليا والزبير؛ إن عليا دعا إلى أمر فأتُبع وكان فيه رأساً، ودعا الزبير إلى أمر كان فيه الرأس امرأة؛ فلما تراءت الفئتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قِيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه، ومضى عليّ قُدُماً كعادته مع ابن عمه ونبيِّه صلى الله عليه وسلم؛ فرحم الله عليا ولا رحم الزبير! فقال ابن الزبير: أما والله لو أنّ غيرك تكلم بهذا ياأبا سعيد لعلِم ... قال: إنّ الذى تعرّض به يرغب عنك. وأُخبرت عائشة بمقالتهما، فمر أبو سعيد بفنائها فنادته: ياأحول ياخبيث! أنت القائل لابن أختي كذا وكذا؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً؛ فقال: إن الشيطان ليراك من حيث لا تراه! فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك! ما أخبث لسانك.

الحسين ومعاوية

الشعبي قال: دخل الحسين بن عليّ يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره، وقال: ترى هذا القاعد - يعني ابن الزبير - فإنه ليدركه الحسد لبني عبد مناف.

فقال ابن الزبير لمعاوية: قد عرفنا فضل الحسين وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لكن إن شئت أُعْلِمك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت، فتكلم ذكوان مولى الحسين بن علي فقال:

ياابن الزبير، إن مولاى مايمنعه من الكلام أنْ لايكون طلق اللسان رابط الجنان؛ فإن نطق نطق بعلم؛ وإن صمت صمت بحلم؛ غير أنه كفّ الكلام، وسبق إلى السنان، فأقرت بفضله الكرام؛ وأنا الذى أقول:

فمَ الكلام لِسابق فى غايةٍ * والناس بين مُقصِّر ومُبلِّدِ

إنّ الذى يجرى لِيُدركَ شأوهُ ٭ يُنْمى بغير مُسوّدٍ ومُسدَّدِ
بل كيف يُدرَك نورُ بدرٍ ساطعٍ ٭ خيْرِ الأنام وفرعِ آل محمدِ

فقال معاوية : صدق قولك ياذكوان ؛ أكثر الله فى موالى الكرام مثلك .

فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت وتكلم مولاه ، ولو تكلم لأجبناه ،
٥ أو لكففنا عن جوابه إجلالا له ؛ ولا جواب لهذا العبد .

قال ذكوان : هذا العبد خير منك ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« مولى القوْم منهم » ؛ فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن العوام
ابن خويلد : فنحن أكرم ولاء وأحسن فعلا .

قال ابن الزبير : إنى لست أجيب هذا ؛ فهات ماعندك .

١٠ فقال معاوية : قاتلك الله يابن الزبير . ما أعياك وأبغاك . أتفخر بين يدى أمير المؤمنين
وأبى عبد الله ؟ إنك أنت المتعدى لطَوْرك ، الذى لاتعرف قدرك ؛ فقس شِبرك
بفترك ؛ ثم تعرّفْ كيف تقع بين عرانين بنى عبد مناف ؛ وأما والله لئن دفعت
فى بحور بنى هاشم وبنى عبد شمس لقطّعتك بأمواجها ، ثم لترمينّ بك فى لُججها ؛
فما بقاؤك فى البحور إذا غمرتك ، وفى الأمواج إذا بَهَرَتك ؟ هنالك تعرف
١٥ نفسك ؛ وتندم على ماكان من جرأتك ، وتُمنّى ما أصبحت فيه من أمان وقد
حِيل بين العير والنَّزوان .

فأطرق ابن الزبير مليا ثم رفع رأسه فالتفت إلى من حوله ، ثم قال أسألكم
بالله : أتعلمون أن أبى حوارىُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه أبا سفيان
حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وأن أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ،
٢٠ وأمه هند آكلة الأكباد ؟ وجدى الصدِّيق ، وجده المشدوخ ببدر ورأس الكفر ؟
وعمتى خديجة ذات الخطر والحسب ، وعمته أم جميل حمالة الحطب ؟ وجدتى
صفية ، وجدته حمامة ؟ وزوج عمتى خير ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم ، وزوج
عمته شر ولد آدم أبو لهب سيصلى ناراً ذات لهب ؟ وخالتى عائشة أم المؤمنين ،

وخالته أشقى الأشقين ؟ وأنا عبد الله ، وهو معاوية ؟

وقال له معاوية : ويحك يابن الزبير كيف تصف نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك فى القديم من رياسة ، ولا فى الحديث من سياسة ، ولقد قُدْناك وسُدْناك قديما وحديثاً ، لا تستطيع لذلك إنكارا ، ولا عنه فِرارا ، وإن هؤلاء الحضور ليَعْلمون أن قريشا قد اجتمعت يوم الفخار على رياسة حرب بن أمية وأن أباك وأسرتك تحت رايته راضُون بإمارته غير مُنكرين لفضله ولا طامعين فى عَزْله ، إن أمر أطاعوا ، وإن قال أنصتوا ، فلم تزل فينا القيادة وعزُّ الولاية ؛ حتى بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وسلم ، فانتخبه من خير خلقه ، من أسرتى لا أسرتك ، وبنى أبى لابنى أبيك ، فجحدته قريشٌ أشدّ الجحود ؛ وأنكرته أشدّ الإنكار وجاهدتْه أشدّ الجهاد ، إلا من عصم الله من قريش ؛ فما ساد قريشا وقادهم إلا أبو سفيان بن حرب ، فكانت الفئتان تلتقيان ورئيس الهدى منا ورئيس الضلالة منا ؛ فهديُكم تحت راية مهديِّنا ، وضالُّكم تحت راية ضالِّنا ؛ فنحن الأرباب ، وأنتم الأذناب ؛ حتى خلّص الله أبا سفيان بن حرب بفضله من عظيم شركه ؛ وعَصمَه بالإسلام من عبادة الأصنام ؛ فكان فى الجاهلية عظيما شأنه ، وفى الإسلام معروفا مكانه ؛ ولقد أُعْطىَ يوم الفتح ما لم يُعْطَ أحدٌ من آبائك ؛ وإن منادىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نادى : من دخل المسجد فهو آمِن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمِن ؛ وكانت داره حَرما ، لا دارُك ولا دار أبيك ؛ وأما هند فكانت امرأة من قريش فى الجاهلية عظيمة الخطر ؛ وفى الإسلام كريمة الخبر ، وأما جدك الصِّديق فبتصديق عبد مناف سُمى صديقاً لا بتصديق عبد العُزَّى ، وأما ماذكرت من جدى المشدوخ يبدر ، فلعمرى لقد دعا إلى البراز هو وأخوه وابنه فلو برزْت إليه أنت وأبوك ما بارزوكم ولا رأوكم لهم أكفاء ، كما قد طلب ذلك غيركم فلم يقبلوهم ، حتى برز إليهم أكفاؤهم من بنى أبيهم ، فقضى الله مناياهم بأيديهم فنحن قتلنا ونحن قُتلنا . وما أنت وذاك ؟ وأما عمتك أم المؤمنين فبنا شرُفت وسُميت أمّ المؤمنين ، وخالتك عائشة مثل ذلك ، وأما صفية فهى أَدْنتْك من الظل ،

ولولا هى لكنت ضاحيا ؛ وأمّا ماذكرت من عمك وخال أبيك سيد الشهداء ، فكذلك كانوا رحمهم الله ، وفخرُهم وإرْثهم لى دونك ، ولا فخر لك فيهم ولا إرث بينك وبينهم ؛ وأمّا قولك : أنا عبد الله وهو معاوية ، فقد علمتْ قريش أيُّنا أجْود فى الإزَم ، وأحْزم[1] فى القُدُم ، وأمنع للحُرَم ؛ لا والله ما أراك منتهياً حتى تروم من بنى عبد مناف ما رام أبوك ، فقد طالبهم بالذُّحول وقدم إليهم الخيول ، وخدعتم أمّ المؤمنين ولم تراقبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مددتم على نسائكم السُّجوف وأبرزتم زوجته للحتوف ومقارعة السيوف ، فلما التقى الجمعان نكص أبوك هاربا فلم يُنْجِه ذلك أن طحنه أبو الحسين بكلكله طحْن الحصيد بأيدى العبيد ، وأمّا أنت فأفلتَّ بعد أن خمشتْك براثِنُه ونالتْك مخاليبه ، وايم الله ليقومنّك بنو عبد مناف بثقافها ، أو لَتُصبِحَنّ منها صباحَ أبيك بوادى السّباع ، وما كان أبوك المرهوبَ جانبه ، ولكنه كما قال الشاعر :

أكيلة سِرحانٍ فَريسة ضيْغمٍ ٭ فَقَضْقَضَه بالكفّ منه وحطّما

* * *

ابن الزبير ومعاوية

نازع مروان بن الحكم يوما ابنَ الزبير عند معاوية ، فكان هوى معاوية مع مروان ؛ فقال ابن الزبير : يامعاوية ، إنّ لك حقا وطاعة ، وإن لك صلة وحرمة ؛ فأطِعِ الله نُطعْك ؛ فإنه لا طاعة لك علينا إن لم تطع الله ؛ ولا تُطرق إطراق الأفعوان فى أصول السَّخْبر .

وقال معاوية يوما وعنده ابن الزبير وذُكر له مروان ـ فقال : إن يطلب هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ؛ وما أراكم بمُنْتَهِينَ حتى يبعث الله عليكم من لا تعطفه قرابة ، ولا تردّه مودّة ، يسومكم خسفاً ويُوردكم تلفا .

قال ابن الزبير : إذاً والله نُطلق عقال الحرب بكتائبَ تموز كرِجْل الجراد ، حافاتها الأسَل ، لها دويٌّ كدوى الريح ، تتبع غِطريفاً من قريش

(١) فى بعض الأصول : « وأمضى » .

لم تكن أمه براعيةٍ ثَلّة .

قال معاوية : أنا ابن هند ، أطلقت عقال الحرب ، وأكلتُ ذِروة السنام ، وشربت عنفوان المَكْرَع ، وليس للآكل بعدى إلا الفلذة ، ولا للشارب إلا الرَّنْق .

مجاوبة الحسن بن على لمعاوية وأصحابه ٥

ابن العاص والحسن

وفد الحسن بن علىّ على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية ، ياأمير المؤمنين ، إن الحسن لَفّهٌ ، فلو حملته على المنبر فتكلم وسمع الناس كلامه عابوه وسقط من عيونهم . ففعل ، فصعد المنبر وتكلم وأحسن ؛ ثم قال : أيها الناس ، لو طلبتم ابناً لنبيّكم ما بين لابتَيها لم تجدوه غيرى وغير أخى . وإنْ أدرى لعله فتنةٌ لكم ومتاع إلى حين . فساء ذلك عَمْراً وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : ١٠ أبا محمد ، أتصف الرُّطب ؟ فقال : أجل ، تلقحه الشمال وتخرّجه الجنوب ، وتُنضجه الشمس ، ويصبغه القمر . قال : أبا محمد ، هل تنعت الخَرَاءة ؟ قال : نعم ، تُبعد المشىَ فى الأرض الصَّحْصَح حتى تتوارى من القوم ، ولا تَستقبل القبلة ولا تستدبرها ، ولا تستنج بالقُمّة والرِّمّة ـ يريد الروث والعظم ـ ولا تبُل فى الماء الراكد . ١٥

مروان والحسن فى مجلس معاوية

بينما معاوية بن أبى سفيان جالس فى أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب . فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ! فقال له مروان بن الحكم : ائذن له ؛ فإنى أسأله ما ليس عنده فيه جواب . قال معاوية : لا تفعل فإنهم قوم قد أُلهموا الكلام وأذِن له ؛ فلما دخل وجلس قال له مروان : أسرع الشيبُ إلى شاربك ياحسن ، ويقال إنّ ذلك من الخُرْق ! ٢٠

فقال الحسن : ليس كما بلغك ، ولكنا معشر بنى هاشم أفواهُنا عذبة شِفاهها فنساؤنا يُقْبلن علينا بأنفاسهن وقُبَلهن ؛ وأنتم معشر بنى أمية فيكم بَخَر شديد ، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسَهن عنكم إلى أصداغكم ؛ فإنما يشيب منكم

موضعُ العِذار من أجل ذلك . قال مروان : إن فيكم يا بنى هاشم خصلةَ سوء .
قال : وما هى ؟ قال : الغُلْمة . قال : أجل ، نُزعت الغلمة من نسائنا ووضعت
فى رجالنا ، ونزعت الغلمة من رجالكم ووضعت فى نسائكم ، فما قام لأموية
إلا هاشمى ! فغضب معاوية وقال : قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى سمعتم ما أظلم
٥ عليكم بيتكم وأفسد عليكم مجلسكم .

فخرج الحسن وهو يقول :

ومارَسْتُ هذا الدهر خمسين حِجّةً • وخمساً أُزجّى قائلا بعـد قائل
فلا أنا فى الدنيـا بلغتُ جَسيمَها • ولا فى الذى أهوى كدَحْت بطائل
وقد أشرعتْ فىّ المَنايا أكفَّها • وأيقنتُ أنى رهْن موتٍ بعاجل

الحسن وحبيب الفهرى

١٠ قال الحسن بن على لحبيب بن مسلمة الفِهرى : ربَّ مسير لك فى غير
طاعة الله ! قال : أما مسيرى إلى أبيك فلا ! قال : بلى ، ولكنك أطعت
معاوية على دنيا قليلة ، فلئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى آخرتك ،
ولو كنتَ إذ فعلتَ شرا قلتَ خيراً كنت كما قال الله عز وجل : ﴿خلطوا
عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً﴾ ، ولكنك كما قال الله : ﴿بل رانَ على قلوبهم
١٥ ما كانوا يكسِبون﴾ .

ابن جعفر وابن الحكم فى مجلس عبد الملك

قدم عبد الله بن جعفر على عبد الله بن مروان ، فقال له يحي بن الحكم :
ما فعلتْ خبيثة ؟ فقال : سبحان الله ! يسميها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيْبة
وتسميها خبيثة ؟ لقد اختلفتما فى الدنيا وستختلفان فى الآخرة ! قال يحي : لأن
أموت بالشام أحب إلىّ من أن أموت بها ! قال : اخترت جوارَ النصارى على
٢٠ جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال يحي : ما تقول فى علىّ وعثمان ؟
قال : أقول ما قاله من هو خير منى فيمن هو شر منهما : ﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادُك
وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ .

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

معاوية والضحاك وابن العاص

قال معاوية يوما وعنده الضحاك بن قيس ، وسعيد بن العاص ، وعمرو ابن العاص : ما أعجب الأشياء ؟

قال الضحاك بن قيس : إكداء العاقل وإجداء الجاهل . وقال سعيد بن العاص : أعجب الأشياء ما لم يُرَ مثله . وقال عمرو بن العاص : أعجب الأشياء غلبة من لا حقّ له ذا الحقّ على حقه . وقال معاوية : أعجب من هذا أن تعطِى مَن لا حق له ما ليس له بحق من غير غلَبة .

معاوية وقوم من قريش

حضر قوم من قريش مجلس معاوية ، فيهم عمرو بن العاص ، وعبد الله ابن صفوان بن أمية ، وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام ؛ فقال عمرو : أحمد الله يا معشر قريش إذ جعل أمركم إلى من يغضى على القذى ، ويتصامّ عن العوراء ، ويجرّ ذيله على الخدائع . قال عبد الله : لو لم يكن كذلك لمشّنا إليه الضر أو دبينا إليه الخَمر ، ورجونا أن يقوم بأمرنا من لا يطعمك مالَ مصر . قال معاوية : يا معشر قريش ، حتى متى لا تُنصفون من أنفسكم ؟ . قال عبد الرحمن بن الحارث : إن عَمراً أفسدك علينا وأفسدنا عليك . لو أغضيتَ عن هذه . قال : إن عمراً لى ناصح . قال عبد الرحمن : فأطعِمنا مثل ما أطعمتَه ، وخذنا بمثل نصيحته ؛ إنا رأيناك يا معاوية تضرب عوامّ قريش بأياديك فى خواصها ، كأنك ترى أن بكرامها جاروك دون لئامها ، وإنا والله لَنفرغ من إناء فعم فى إناء ضخم ، وكأنك بالحرب قد حَل عقالها عليك من لا ينظر لك . قال معاوية : يا بن أخى ، ما أحوج أهلك إليك ! فلا تفجعهم بنفسك ! ثم أنشد :

أغرّ رجالا من قريش تتابَعوا ◦ على سَفه ، مِنِى الحيا والتكرمُ

معاوية وابن الزبير

وقال معاوية لابن الزبير : تُنازعنى هذا الأمر كأنك أحق به منى ! قال : لم لا أكون أحق به منك يا معاوية ، وقد اتبع أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الإيمان واتبع الناسُ أباك على الكفر ؟ قال له معاوية : غلطت يا ابن الزبير بعث الله ابنَ عمى نبيا فدعا أباك فأجابه ؛ فما أنت إلا تابعٌ لى ، ضالا كنتُ أو مَهْديًّا .

معاوية ومروان وابن العاص فى الحسين

العتبي قال : دعا معاوية مروان بن الحكم فقال له : أشِر على فى الحسين . قال : تخرجه معك إلى الشام ، فتقطعه عن أهل العراق وتقطعهم عنه . قال : أردتَ والله أن تستريح منه وتبتلينى به ، فإن صبرتُ عليه صبرتُ على ما أكره ، وإن أسأت إليه كنت قد قطعت رحمه ! فأقامه وبعث إلى سعيد بن العاص ، فقال له : يا أبا عثمان ، أشر علىّ فى الحسين . فقال : والله إنك ما تخاف الحسين إلا على من بَعْدك ، وإنك لتُخلف له قِرنا إن صارعه ليصرعنه ، وإن سابقه ليسبقنّه ؛ فذَر الحسين منبت النخله ، يشرب من الماء ، ويصعد فى الهواء ، ولا يبلغ إلى السماء ! قال : فما غيّبك عنى يوم صفّين ؟ قال : تحملت الحُرم ، وكُفيت الحزم ، وكنت قريبا لو دعوتنا لأجبناك [1] ، ولو تُلت لرقعناك ! قال معاوية : يا أهل الشام ، هؤلاء قومى وهذا كلامُهم .

مجاوبة بين بنى أمية

ابن سعيد وابن عتبة فى حضرة معاوية

قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان وليَهُم بعد الوليد ابن عتبة بن أبى سفيان ، قال عمر بن سعيد لمعاوية : إن الوليد بن عتبة هو الذى أمر أهلَ المدينة بإخراجى ؛ فأَرْسِلْ إليه وتوثّقه . فأرسل إليه معاوية ، فلما دخل عليه قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجى ؟ قال لا وَرحِمِك أبا أمية ، ولا أمرت أهلَ الكوفة بإخراج أبيك ؛ بل كيف أطاعنى أهل المدينة فيك ، إلا أن تكون عَصَيت الله فيهم ؟ إنك لتحل عُرى ملك شديدةً عقدتُها ، وتمترى أخلاف فيقَةٍ سريعةٍ درتُها ؛ وما جعل الله صالحا مصلحا كفاسدٍ مفسِد !

معاوية وخالد بن عبد الله فى أموال العراق

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ،

(١) فى بعض الأصول : « لأطعناك » .

وعند رجليه أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قِبل الحجاج حتى وُضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة؛ لا ما فعل هذا ـ وأشار إلى خالد ـ استعملته على العراق فاستعمل كل مُلِطٍّ فاسق فأدّوا إليه العشرة واحداً ، وأدّى إليّ من العشرة واحداً ! واستعملت هذا على خراسان ـ وأشار إلى أمية ـ فأهدى إليّ برذونين حَطِمَيْن ، فإن استعملتكم ضيعتم ٥ وإن عزلتكم قلتم استخف بنا وقطع أرحامنا ! فقال خالد بن عبد الله : استعملتني على العراق وأهله رجلان : سامع مطيع مناصح ، وعدوّ مبغض مكاشح ؛ فأما السامع المطيع المناصح فإنا جزيناه ليزداد وُدًّا إلى ودّه ، وأما المبغض المكاشح ، فإنا داريناه ضغنه وسللنا حقده ، وكثّرنا لك المودةَ في صدور رعيتك ؛ وإن هذا جَبى الأموال وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ؛ فيوشك أن تنبت البغضاء ١٠ فلا أموال ولا رجال ! فلما خرج ابن الأشعث قال عبد الملك : هو والله ما قال خالد .

خالد بن يزيد ومحمد بن عمرو

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام ، فأتى عمّته آمنة بنت سعيد ابن العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه فرآه فقال له : ما يَقدم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة . فظن محمد أنه ١٥ يعرّض به ، فقال : وما يمنعهم وقد قدم من المدينة قوم على النواضح ، فنكحوا أمّك ، وسلبوك ملكك ، وفرّغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب ومعالجةِ ما لا تَقدر عليه . يعني الكيميا ، وكان يعملها .

عثمان وابن العاص بعد عزله عن مصر

لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولاها عبد الله بن أبي سرح ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ماحشوُ جُبّتك يا عمرو ؟ قال : أنا ! قال : ٢٠ قد علمت أنك فيها . ثم قال : أشعرت يا عمرو أن اللّقاحَ درّت بعدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أعجفتم أولادَها .

ابن لعمر بن عبد العزيز وابن لسليمان

وقع بين ابن لعمر بن عبد العزيز وابنٍ لسليمان بن عبد الملك كلام . فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ، قال له ابن سليمان : إن شئت فأقلل وإن شئت

فأكثر ؛ ماكان أبوك إلا حسنةً من حسنات أبى ! لأن سليمان هو ولى عمرَ ابن عبد العزيز .

العباس بن الوليد والوليد بن يزيد

ذكروا أن العباس بن الوليد وجماعة من بنى مروان كانوا عند هشام ، فذكروا الوليد بن يزيد ، فحمّقوه وعابوه ، وكان هشام يبغضه ؛ ودخل الوليد ، فقال له العباس بن الوليد : كيف حبُّك للروميات ؟ قال : إن أباك كان مشغوفا بهنّ . قال : إنى لا أحبهن . [قال] : وكيف لا يُحببن وهن يلدن مثلك ؟ قال : آسكت ، فلستَ بالفحل يأتى عسْبه بمثلى . قال له هشام : يا وليد ، ماشرابك ؟ قال : شرابُك يا أمير المؤمنين . وقام فخرج ، فقال هشام : هذا الذى تزعمون أنه أحمق .

الوليد بن يزيد وولد لهشام

وقرب إلى الوليد بن يزيد فرسُه ، فجمع جراميزه ووثب على سرجه ، ثم التفت إلى ولدٍ لهشام بن عبد الملك ، فقال : يحسن أبوك أن يصنع مثلَ هذا ؟ قال : لأبى مائة عبد يصنعون مثل هذا ! فقال الناس : لم يُنصفه فى الجواب .

عبدالملك ويحيى ابن الحكم وبنت لعبد الرحمن بن هشام

خطب عبد الملك بن مروان بنتَ عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فقالت : والله لا تزوجنى أبو الذباب ! فتزوجها يحيى بن الحكم ؛ فقال عبد الله ليحيى : أما والله لقد تزوجت أسودَ أفوَه ! قال يحيى : أما إنها أحبّت منى ماكرهت منك ! وكان عبد الملك ردىء الفم ، يدمى فيقع عليه الذباب ، فسمى أبا الذّباب .

الجواب القاطع

ثابت بن عبدالله وسعيد بن عثمان

نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام ، فقال : إنى لأبغض هذه الوجوه . قال له سعيد بن عثمان : تبغضهم لأنهم قتلوا أباك ! قال : صدقت ، ولكن الأنصارُ والمهاجرون قتلوا أباك !

الحجاج وخارجى

وقال الحجاج لرجل من الخوارج : والله إنك من قوم أبغِضُهم ! قال له : أدخل اللهُ أشدنا بغضاً لصاحبه الجنة .

عمرو بن معديكرب وباهلى

وقال ابن الباهلى لعمرو بن معديكرب : إن مُهرك لمقرف . قال : هجينٌ عرف هجيناً مثلَه .

الحجاج وخارجية

وقال الحجاج لامرأة من الخوارج : والله لأعُدَّنكم عَدًّا ولأحصُدَنَّكم حَصداً ! قالت له : الله يزرع وأنت تحصد ، فأين قدرة المخلوق من الخالق !

٥ وأُتِيَ الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابها : ما تقولون فيها ؟ قالوا : عاجلها القتل أيها الأمير ، قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك ياحجاج ! قال لها : ومَن صاحبي ؟ قالت : فرعون ؛ استشارهم فى موسى فقالوا : أرْجِهْ وأخاه !

زياد وخارجى

وأُتِى زيادٌ برجل من الخوارج ، فقال له : ما تقول فىّ وفى أمير المؤمنين ؟
١٠ قال أما الذى تسميه أميرَ المؤمنين فهو أميرُ المشركين ، وأما أنت فما أقول فى رجل أوله لزنية وآخره لدعوة ! فأمر به فقتل وصلب .

الأشعث وشريح

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضى : لشدّ ما ارتفعت ! قال : فهل رأيت ذلك ضرَّك ؟ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله عليك وتجهلها على غيرك .

ابن الفضل وبعض قرابته

نازع محمد بن الفضل بعض قرابته فى ميراث ، فقال له : يابن الزنديق ! قال له :
١٥ إن كان أبى كما تقول وأنا مثله ، فلا يحل لك أن تنازعنى فى هذا الميراث ؛ إذ كان لا يرث دِينٌ ديناً .

الحجاج وخارجية

وأُتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فجعل يكلمها وهى لا تنظر إليه ، فقيل لها الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه ! قالت : إنى لأستحيى أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فقتلت .

عثمان وعلى

٢٠ لقى عثمان بن عفان علىَّ بن أبى طالب ، فعاتبه فى شىء بلغه عنه ، فسكت عنه على ؛ فقال له عثمان : مالك لا تقول ؟ قال : له على : ليس لك عندى إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره

وتكلم الناس عند معاوية فى يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت

الأحنف ؛ فقال له : مالك لا تقول أبا بحر ؟ قال : أخافك إن صَدقْتُ وأخاف الله إن كذَبْتُ !

لمعاوية

قال معاوية يوماً : أيها الناس ، إن الله فضّل قريشاً بثلاث : فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام : ﴿وأنذرْ عشيرَتكَ الأقربين﴾ ، فنحن عشيرته ؛ وقال : ﴿وإنهُ لذِكْرٌ لكَ ولقَوْمِكَ﴾ ، فنحنُ قومُهُ ؛ وقال : ﴿ لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشّتاء والصَّيفِ فلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذا البَيْتِ الذى أَطْعَمَهُم من جوعٍ وآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ ، ونحن قريش ! فأجابه رجل من الأنصار فقال : على رسلك يا معاوية ، فإن الله يقول : ﴿وكذّبَ بهِ قومكَ﴾ ، وأنتم قومه ؛ وقال : ﴿ولمّا ضُرِبَ ابن مريَمَ مثَلاً إذا قومُكَ مِنه يَصِدُّونَ﴾ وأنتم قومه ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ﴿يارَبِّ إنّ قومى اتَّخَذُوا هذا القرآنَ مهجوراً﴾ ، وأنتم قومه ؛ ثلاثة بثلاثة ، ولو زدتَنا لزدناك ! فأفحَمَه .

معاوية ويمنى

وقال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهلَ قومَك حين ملّكوا عليهم امرأة ! فقال : أجهلُ من قومى قومُك الذين قالوا حين دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿اللهُمَّ إن كانَ هذا هو الحقَّ من عِندِك فأمْطِر علينا حِجارةً مِنَ السماءِ أوِ ائتِنا بعذابٍ أليمٍ﴾ ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

مجاوبة الأمراء والردّ عليهم

معاوية وابن قدامة

قال معاوية لجارية بن قدامة : ما كان أهونَك على أهلك إذ سموك جارية . قال : ما كان أهونَك على أهلك إذ سموك معاوية ، وهى الأنثى من الكلاب . قال : لا أمّ لك ! قال : أمى ولدتنى للسيوف التى لقيناك بها فى أيدينا . قال : إنك لتهدّدنى ! قال : إنك لم تفتَتِحنا قسرا ولم تَملِكنا عَنوة ، ولكنك أعطيتَنا عهدا وميثاقاً وأعطيناك سمعا وطاعة ، فإن وفَيتَ لنا وفينا لك ، وإن فزعت إلى غير ذلك ، فإنا تركنا وراءنا رجالا شدادا وألسنة حداداً.

قال له معاوية : لاكثَّر الله فى الناس أمثالك . قال جارية : قُلْ معروفاً وراعناً ؛ فإن شر الدعاء المحتطَب .

معاوية والأحنف

عقد معاوية بن أبى سفيان على الأحنف ذنوباً ، فقال : ياأمير المؤمنين ، لم تردّ الأمور على أعقابها ؛ أما والله إن القلوب التى أبغضناك بها لبيْنَ جوانحنا ، والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا ؛ ولئن مددتَ فِتْراً من غَدْر لنَمُدّن باعاً من ختْر ؛ ولئن شئت لنستصفينّ كدرَ قلوبنا بصفو حلمك . قال : فإنى أفعل !

معاوية وعدى

قال معاوية لعدى بن حاتم : مافعلت الطرفات ياأبا طريف ؟ يعنى أولاده ؛ قال : قُتلوا ! قال : ماأنصفك ابن أبى طالب إذ قُتِل بنوك معه وبَقِىَ له بنوه ! قال : لئن كان ذلك لقد قُتل هو وبقيتُ أنا بعده ! قال له معاوية : ألم تزعم أنه لا يُخْنَق فى قتل عثمان عنز ؟ قال : قد والله خُنق فيه التيس الأكبر . قال معاوية: أما إنه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها ! قال عدى : لا أبالك ! شِمِ السيف ، فإنّ سلّ السيف يَسُلُّ السيف . فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال : اجعلها فى كتابك فإنها حكمة .

الأحنف وشامى لعن عليا

الشيبانى عن أبى الجناب الكِندى عن أبيه ، أن معاوية بن أبى سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس ، إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا ، فكان آخرْ كلامه أن لعن عليا ؛ فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال : ياأمير المؤمنين ، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رُضاك فى لعْن المرسلين لعنهم ، فاتق الله ودع عنك عليا ، فقد لقى ربّه ، وأُفرِد فى قبره ، وخلا بعمله ؛ وكان والله ـ ما علمنا ـ المبرّز بسبقه ، الطاهرَ خلقه[1] ، الميمونَ نقيبتُه ، العظيمَ مصيبتُه فقال له معاوية : ياأحنف ، لقد أغضيت العين على القذى ، وقلت ما ترى ! وايم الله لتصعدنّ المنبر فتلعننّه طوعا أو كرها ، فقال له الأحنف ياأمير المؤمنين ، إن تعفنى فهو خيرٌ لك ، وإن تجبُرْنى على ذلك فوالله لا تجرى فيه شفتاى أبداً !

---

(١) فى بعض الأصول : « ثوبه » .

قال : قم فاصعد المنبر . قال الأحنف : أما والله مع ذلك لأنصفنك فى القول والفعل . قال : وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتنى ؟ قال : أصعدُ المنبر فأحمد الله بما هو أهله ، وأصلّى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم أقول : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا ، وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا ، وادّعى كلُّ واحد منهما أنه بُغِي عليه وعلى فئته ؛ فإذا دعوتُ فأمّنوا رحمكم الله . ثم أقول : اللهم العن أنت وملائكتُك وأنبياؤك وجميعُ خلقك الباغىَ منهما على صاحبه ؛ والعَنِ الفئة الباغية ؛ اللهم العنهم لعنا كبيراً ! أمّنوا رحمكم الله . يا معاوية ، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفاً ولو كان فيه ذهاب نفسى ؛ فقال معاوية : إذاً نُعفيك يا أبا بحر .

معاوية وعقيل فى أمر على

وقال معاوية لعقيل بن أبى طالب : إن عليا قد قطعك ووصلتُك ؛ ولا يرضينى منك إلا أن تلعنه على المنبر ! قال : أفعل ، فأُصعد ، فصعد ، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن علىّ بن أبى طالب فالعنوه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ثم نزل ، فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد مَن لعنتَ بينى وبينه . قال : والله لازدتُ حرفاً ولا نقصتُ آخر ، والكلام إلى نية المتكلم .

الهيثم بن عدى قال : قال معاوية لأبى الطفيل : كيف وجْدُك على علِىّ ؟ قال : وجدُ ثمانين مثكلا ! قال : فكيف حبُّك له ؟ قال : حب أم موسى ، وإلى الله أشكو التقصير !

وقال مرة أخرى : أبا الطفيل ! قال : نعم . قال : أنت مِنْ قتلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكنى ممن حضره ولم ينصره . قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فلم أنصره . قال : لقد كان حقُّه واجبا وكان عليهم أن ينصروه . قال : فما منعَك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ما طلبي بدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : مثلك ومثل عثمان

كما قال الشاعر :

لأعرِفنّك بعد الموتِ تَندُبُنى ٭ وفى حياتى مازوّدْتَنى زادا

معاوية وابن الخطل

العتبى قال : صعد معاوية المنبر فوجد من نفسه رقة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن عمر ولانى أمراً من أمره ، فوالله ماغششتُه ولاخنتُه ثم ولانى الأمر مَن بعده ولم يجعل بينى وبينه أحـداً ؛ فأحسنت والله وأسأت ، وأصبت وأخطأت ؛ فمن كان يجهلنى فإنى أُعَرِّفه بنفسى . فقام إليه سلمة بن الخَطِل العرجىّ ؛ فقال : أنصفت يامعاوية وماكنت منصفا . قال فغضب معاوية وقال : ما أنت وذاك ياأحدب ؟ والله لكأنى أنظر إلى بيتك بمَهْيعة ، وبُطْب تَيْس ، وبطنب بهمة ، بفنائه أعنز عشر ، يحتلبن فى مثل فوارة حافر العَير ، تهفو الريح منه بجانب ، كأنه جناح نسر . قال : رأيت والله ذاك فى شر زماننا إلينا ، ووالله ١٠ إن حَشْوه يومئـذ لحسبٌ غير دنس ؛ فهل رأيتنى يامعاوية أكلت مالا حراما أو قتلت امرأً مسلما ؟ قال : وأين كنت أراك وأنت لا تدبُّ إلا فى خمر ؟ وأى مسلم يعجز عنك فتقتله ؟ أم أى مال تقوى عليه فتأكله ؟ اجلس لا جلست . قال : بل أذهب حتى لا ترانى . قال إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها . فمضى ، ثم قال معاوية : رُدّوه علىّ ، فقال الناس : يعاقبه ! فقال له : أستغفر الله منك يا أحدب ، والله ١٥ لقد بررتَ فى قرابتك ، وأسلمت فحُسن إسلامك ، وإن أباك لسيّدُ قومه ؛ ولا أبرح أقول بما تحب فاقعد .

معاوية وخريم الناعم

الأوزاعى قال : دخل خريم الناعم على معاوية ، فنظر إلى ساقيه فقال : أىُّ ساقين . لو أنهما على جارية . قال فى مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : واحدة بأخرى والبادى أظلم . ٢٠

عبدالملك وعطاء

دخل عطاء المُضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أمَا وجَدتْ لك أمك آسما إلا عطاء ؟ قال : لقد استكثرت من ذلك ما استكثرتَه يا أمير المؤمنين ، ألّا سمتْنى باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مريم .

معاوية وصحار

قال معاوية لصُحار بن العباس العبدى : يا أزرق . قال : البازى أزرق . قال :

يا أحمر . قال : الذهب أحمر . قال : ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس ؟ قال : شيء يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتُنا كما يقذف البحر الزَّبد . قال : فما البلاغة عندكم ؟ قال : أن نقول فلا نخطئ ، ونجيب فلا نُبطئ .

ابن عامر وابن حازم

وقال عبد الله بن عامر بن كريز لعبد الله بن حازم يا بن عَجْلَى . قال : ذاك اسمها . قال : يا بن السوداء . قال : ذاك لونها . قال : يا بن الأمة . قال : كل أنثى أمة فاقصد بذرعك لا يرجع سهمك عليك ؛ إن الإماء قد ولدْنَك .

عبد الملك وابن ظبيان

دخل عبيد الله بن زياد بن ظبيان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما هذا الذي يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لا تشبه أباك قال : والله لأنا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ؛ ولكن أدلك على من لم يشبه أباه . قال : من هو ؟ قال : من لم تُنضجه الأرحام ، ولم يولد لتمام ، ولم يشبه الأخوال والأعمام . قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمي سويد بن منجوف . وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك لأنه وُلد لستة أشهر .

هشام وزيد ابن علي

دخل زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك ، فلم يجد موضعا يقعد فيه : فعلم أن ذلك فُعل به على عمد ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله . قال : أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله ؟ قال زيد : إنه لا يكبر أحدٌ فوق تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله . قال له هشام : بلغني أنك تحدِّث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها ؛ إنك ابن أمة . قال : زيد : أما قولك إني أحدِّث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله ؛ وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ابن أمة من صُلبه خير البشر محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة . أُخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . قال له : قم . قال : إذن لا تراني إلا حيث تكره . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل . قال له حاجبه : لا يسمع هذا الكلام منك أحد .

وقال زيد بن علي :

شرَّده الخوف وازرى به ٭ كذاك من يكره حرَّ الجِلادْ

مُختفِي الرِّجلَيْن يشكو الوجا • تقرعُه أطرافُ مَرْوٍ حِدَادْ

قد كان في الموْتِ له راحةٌ • والموتُ حَتْمٌ في رقاب العِبادْ

ثم خرج بخراسان، فقتل وصلب في كناسة. وفيه يقول سُديف بن ميمون في دولة بني العباس:

واذكروا مَقْتل الحسيْنِ وزيْداً • وقتيــلاً بجانب المِهْراس ٥

يريد حمزة بن عبد المطلب المقتول بأُحد.

عبد الملك ورجل من قيس

دخل رجل من قيس على عبد الملك بن مروان؛ فقال: زُبيري. والله لا يحبك قلبي أبداً. قال: يا أمير المؤمنين، إنما يجزع من الحب النساء، ولكن عدل وإنصاف.

عمر بن الخطاب وأبو مريم

وقال عمر بن الخطاب لأبي مريم الحنفي قاتل زيد بن الخطاب: والله لا يحبك ١٠ قلبي أبداً حتى تحب الأرض الدم. قال: يا أمير المؤمنين، فهل تمنعني لذلك حقا؟ قال: لا. قال: فحسبي.

سليمان ويزيد ابن أبي مسلم

دخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك، فقال: على امرئ أوطأك رسَنه وسلَّطك على الأمة لعنه الله. فقال: يا أمير المؤمنين، إنك رأيتني والأمر مدبر عني ولو رأيتني والأمر مقبل عليَّ لعظم في عينك ما استصغرت مني. قال: أتظن ١٥ الحجاج استقر في قعر جهنم أم هو يهوى فيها؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك، وأخيك فضعه من النار حيث شئت.

مروان وزفر

وقال مروان بن الحكم لزفر بن الحارث: بلغني أن كندة تدَّعيك. قال: لا خير فيمن لا يتَّقى رهبة ولا يدَّعى رغبة.

مروان وابن دلجة

قال مروان بن الحكم للحسن بن دُلْجة: إني أظنك أحمق. قال: [أحمق] ما يكون ٢٠ الشيخ إذا عمل بظنّه.

مروان وحويطب

وقال مروان لحويطب بن عبد العُزّى، وكان كبيراً مُسنّاً: أيها الشيخ، تأخر إسلامك حتى سبقك الأحداث. فقال: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام

غير مرة ، وكل ذلك يعوقني عنه أبوك وينهاني ، ويقول : يضع من قدرك أن تترك دين آبائك لدين محدَث ، وتصير تابعاً فسكت مروان .

عبد الملك وثابت ابن عبد الله

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن عبد الله بن الزبير : أبوك ماكان أعلم بك حيث كان يشتمك . قال : ياأمير المؤمنين ، إنما كان يشتمني أني كنت أنهاه أن يقاتل بأهل المدينة وأهل مكة ؛ فإن الله لاينصر بهما ؛ أما أهل مكة فأخرجوا النبي صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فآذوه حتى سيرهم - يعرّض بالحكم بن أبي العاص طريد النبي صلى الله عليه وسلم - ؛ وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه . قال له : عليك لعنة الله .

معاوية والبراءة من علي

جلس معاوية يبايع الناس على البراءة من عليّ ؛ فقال له رجل من بني تميم : ياأمير المؤمنين ، نطيع أحياءكم ولانبرأ من موتاكم . فالتفت معاوية إلى زياد فقال : هذا رجل فاستَوْص به .

معاوية والأنصار

قال معاوية يوما : يامعشر الأنصار ، بِمَ تطلبون ما عندي ؟ فوالله لقد كنتم قليلا معي كثيراً معي علي ، ولقد فَلَلتم حدّي يوم صِفين حتى رأيت المنايا تتلظى من أسنتكم ، ولقد هجوتموني [في أسلافي] بأشدّ من وخز الأسل ، حتى إذا أقام الله مِنّا ما حاولتم مِثله ، قلتم أرْعَ فينا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . هيهات . يأبى الحَقِينُ العِذْرة .

فأجابه قيس بن سعد ، فقال أما قولك جئناك نطلب ما عندك ، فبالإسلام الكافي به الله ماسواه ، لابما تمتّ إليك به من الأحزاب ؛ وأما استقامة الأمر ، فعلى كره مناكان ؛ وأما فَلُّنا حدّك يوم صِفين ، فأمرٌ لانعتذر منه ؛ وأما عداوتنا لك ، فلو شئت كففتَها عنك ؛ وأما هجاؤنا إياك ، فقولٌ يَثبت حقُّه ويزول باطله ؛ وأما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن يؤمنْ بها يحفظْها مِن بعده ؛ وأما قولك يأبى الحقين العِذْرة ، فليس دون الله يدٌ تحجزك منا ؛ فدونك أمرك يامعاوية ؛ فإنما مثلك كما قال الشاعر :

يا لكِ من قُبّرةٍ بمَعْمَرِ * خلاَلك الجوُّ فبيضي واصْفِري

سليمان وابن المهلب

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفي حلفائنا من ربيعة . قال سليمان : الذى تحالفتما عليه أعزُّ منكما .

عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير

مرّ عمر بن الخطاب بالصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، ففرّوا وثبت ابن الزبير ؛ قال له عمر : كيف لم تفرَّ مع أصحابك ؟ قال : لم أجترم فأخافك ، ولم يكن بالطريق من ضيق فأوسّع لك ! ٥

عبدالله بن الزبير وعدى بن حاتم

وقال عبد الله بن الزبير لعدى بن حاتم : متى فقئتْ عينك ؟ قال : يوم قتِل أبوك ، وهربتَ عن خالتك ، وأنا للحقِّ ناصر ، وأنت له خاذل . وكان فقئت عينه يوم الجمل .

الرشيد وابن مزيد

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد : ما أكثر الخلفاء في ربيعة ؟ قال : نعم ، ولكن منابرهم الجذوع . ١٠

يزيد بن معاوية والمسور

كان المِسْور بن مخرمة جليلا نبيلا ، وكان يقول في يزيد بن معاوية إنه يشرب الخمر ؛ فبلغه ذلك ؛ فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلده الحدّ ، ففعل ، فقال المسور في ذلك :

أيشرَبُها صِرْفا يفُضُّ ختامَها ٭ أبو خالدٍ ويُجلَد الحدَّ مِسْوَرُ

المأمون وابن أكثم

قال المأمون ليحيى بن أكثم القاضى : أخبرنى من الذى يقول : ١٥

قاضٍ يرى الحدّ في الزّناء ولا ٭ يَرى على مَن يَلوط من بَاسِ

قال : يقوله يا أمير المؤمنين الذى يقول :

لا أحسبُ الجوْرَ ينقضى وعلى الْ ٭ أُمّة والٍ من آل عبّاسِ

قال : ومن يقوله ؟ قال : أحمد بن نعيم . قال : يُنفى إلى السند . وإنما مزحْنا معك .

سليمان وابن الرقاع

قال سليمان بن عبد الملك لعدى بن الرقاع : أنشدنى قولك في الخمر : ٢٠

كُميْت إذا شُجّت ، وفي الكأس وردْة ٭ لهـــا في عِظام الشاربين دَبيبُ

تُريك القذَى مِن دونِها وهى دونَه ٭ لوجه أخيهـــا في الإناء قطوب

فأنشده ؛ فقال له سليمان : شربتَها ورب الكعبة ! قال عدى : والله

يا أمير المؤمنين ، لئن رابك وضيق لهما قد رابنى معرفتك بهما ! فتضاحكا وأخذا فى الحديث .

بلال وخالد بن صفوان

الأصمعى قال : لما ولى بلال بن أبى بردة البصرة بلغ ذلك خالد بن صفوان ، فقال :

* سحابة صيفٍ عن قليل تقشَّعُ *

٥ فبلغ ذلك بلالا فدعا به ، فقال : أنت القائل ؟

* سحابة صيفٍ عن قليل تقشع ؟ *

أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ! فضربه مائة سوط .

وكان خالد يأتى بلالا فى ولايته ، ويغشاه فى سلطانه ، ويغتابه إذا غاب عنه . ويقول ما فى قلب بلال من الإيمان إلا ما فى بيت أبى الزرد الحنفى من الجوهر .

١٠ وأبو الزرد رجل مفلس .

عتبة وخالد القسرى

دخل عتبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله القسرى بعد حجاب شديد ، وكان عتبة رجلا سخيا ، فقال له خالد يعرّض به : إن هاهنا رجالا يُداينون فى أموالهم ، فإذا فنِيَت يداينون فى أعراضهم ! فعلم القرشى أنه يعرّض به ، فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجالا تكون أموالهم ١٥ أكثر من مروءاتهم ، فأولئك تبقى أموالهم ؛ ورجالا تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم ، فإذا نفدت اذانوا على سعة ما عند الله ! فخجل خالد وقال : أمَا إنك منهم ما علمت .

شريك والربيع

كان شريك القاضى يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدى فحمل الربيعُ المهدىَّ عليه ، فدخل شريك يوما على المهدى ، فقال له المهدى : بلغنى أنك ٢٠ وُلدت فى قوصرة . فقال : ولدت يا أمير المؤمنين بخراسان ، والقواصر هناك عزيزة ، قال : إنى لأراك فاطميا خبيثا ! قال : والله إنى لأحب فاطمة وأبا فاطمة . صلى الله عليه وسلم ؛ قال : وأنا والله أحبهما ؛ ولكنى رأيتك فى منامى مصروفا وجهك عنى ، وما ذاك إلا لبغضك لنا ؛ وما أرانى إلا قاتلك لأنك زنديق ! قال : يا أمير المؤمنين : إن الدماء لا تسفك بالأحلام ؛ وليست رؤياك رؤيا يوسف

النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قولك بأنى زنديق ، فإنّ للزنادقة علامة يُعرفون بها .
قال : وما هى ؟ قال : بشرب الخمر والضرب بالطنبور ، قال : صدقت أبا عبد الله ،
وأنت خير من الذى حملني عليك .

عمر بن الخطاب وابن العاص

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص لما قدم عليه من مصر : لقد سرت
سيرة عاشق . قال : والله ما تأبطتْنى الإماء ولا حملتنى البغايا فى غُبْرات المآلى !
قال عمر : والله ما هذا جواب كلامى الذى سألتك عنه ، وإن الدجاجة لتفحص
فى الرماد فتضع لغير الفحل ، والبيضة منسوبة إلى طَرْقها . وقام عمر فدخل ،
فقال عمرو : لقد فحش علينا أمير المؤمنين !

بين عبد الله بن مسلم والحضين ابن المنذر

وتزعم الرواة أنّ قتيبة بن مسلم لما افتتح سمرقند أفضى إلى أثاث لم يُرَ
مثله ، وإلى آلات لم ير مثلها ، وأراد أن يُرِىَ الناس عظيم ما فتح الله عليهم ،
ويعرّفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بدارٍ ففرشت وفى صحنها قدور
أشتات تُرتقَى بالسلالم ؛ فإذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشى قد
أقبل والناس جلوس على مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ؛ فلما رآه عبد الله بن مسلم
قال لقتيبة : ائذن لى فى كلامه . فقال : لا تردْه فإنه خبيث الجواب . فأبى عبد الله
إلا أن يأذن له . وكان عبد الله يضَعَّف ، وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة
قبل ذلك ؛ فأقبل على الحضين فقال : أمِن الباب دخلت يا أبا ساسان ؟ قال :
أجل ، ضعف عمُّك عن تسوّر الحيطان ! قال : أرأيت هذه القدور ؟ قال :
هى أعظم من أن لا تُرى . قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها . قال :
أجل ، ولا عيلان ؛ ولو كان رآها سُمّى شبعان ، ولم يسمَّ عيلان ! قال له عبد الله :
أتعرف الذى يقول :

عزلنا وأمّرْنا ، وبكر بن وائلٍ * تجرّ خُصاها تبتغى مَن تُحالفُ

قال : أعرفه وأعرف الذى يقول :

وخَيبة من يخيب على غنيّ * وباهلة بن يَعْصر والرِّباب

يريد : يا خيبة من يخيب .

قال : أتعرف الذي يقول :

كأنّ فِقاح الأزْد حول ابن مِسمعٍ * إذا عَرِقتْ أفواه بكر بن وائلِ

قال : نعم ، وأعرف الذي يقول :

قومٌ قتيبة أمهم وأبوهم * لولا قتيبة أصبحوا فى مَجهلِ

٥ قال : أمّا الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ منه الأكثر : ﴿هل أتى على الإنسان حِينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا﴾ . قال : فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغنى أنّ امرأة الحضين حُملت إليه وهى حبلى من غيره ! قال : فما تحرّك الشيخ عن هيئته الأولى ؛ ثم قال على رِسله : وما يكون ؟ تلد غلاما على فراشى فيقال فلان بن الحضين ، كما يقال عبد الله بن مسلم ! فأقبل

١٠ قتيبة على عبد الله فقال : لا يبعد الله غيرك !

والحضين هذا هو الحضين بن منذر الرقاشى ، ورقاش أمّهم ، وهو من بنى شيبان بن بكر بن وائل ، وهو صاحب لواء على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه بصفين على ربيعة كلها . وله يقول على بن أبى طالب :

لمَن رايةٌ سوداء يَخفِق ظلُّها * إذا قيل قدّمها حضيْن تقدّما

١٥ يقدّمها فى الصفّ حتى يُزيرَها * حِياضَ المنايا تَقطر السُّمّ والدّما

جزى الله عنى والجزاء بفضلهِ * رَبيعةَ خيراً ما أعَفّ وأكرَما

ابن الجارود وابن العاص

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمرو بن العاص : أىّ رجلٍ أنت لو لم تكن أمّك ! من هى ؟ قال : أحمد الله إليك ؛ لقد فكرت فيها البارحة ، فجعلت أنقلها فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس ببال .

ابن صفوان ودارى

٢٠ قال خالد بن صفوان لرجل من بنى عبد الدار وسمعه يفخر بموضعه من قريش ـ فقال له خالد : لقد هشمتك هاشم ، وأمّتك أميّة ، وخزمتك مخزوم ، وجمحتْك جُمح ، وسهمتك سهم ؛ فأنت ابنُ عبد دارها ، تفتح الأبواب إذا أغلقت ، وتغلقها إذا فتحت .

جواب فى هزل

المغيرة وأعرابى يؤاكله

كان للمغيرة بن عبد الله الثقفى وهو والى الكوفة ، جَدْىٌ يوضع على مائدته ، فحضره أعرابى ، فمد يده إلى الجدى وجعل يسرع فيه ؛ فقال له المغيرة : إنك لتأكله بحَرْدٍ كأن أمه نطحتك ! قال : وإنك لمشفق عليه كأنّ أمه أرضعتك .

ابن عنبسة وإبراهيم فى حضرة هشام

كان إبراهيم بن عبد الله بن مطيع جالسا عند هشام ، إذ أقبل عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص ، أحمرَ الجبة والمطرف والعمامة ؛ فقال إبراهيم : هذا ابن عنبسة قد أقبل فى زينة قارون ! قال : فضحك هشام ؛ قال له عبد الرحمن : ما أضحكك يا أمير المؤمنين ؟ فأخبره بقول إبراهيم ؛ قال له عبد الرحمن : لولا ما أخاف من غضبه عليك وعلىّ وعلى المسلمين لأجبتُه ! قال : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغنى أن الدجال يخرج من غضبة يغضبها . وكان إبرهيم أعور ! قال إبراهيم لولا أن له عندى يداً عظيمة لأجبتُه ! قال : وما يده عندك ؟ قال : ضربه غلام له بمدية فأصابه ، فلما رأى الدم فزع ، فجعل لايدخل عليه مملوك إلا قال له : أنت حُرٌّ ! فدخلت عليه عائدا له ، فقلت له : كيف تجدك ؟ قال لى : أنت حر ! قلت له : أنا إبراهيم ! قال لى : أنت حُرٌّ ، فضحك هشام حتى استلقى .

ابن حسان وعطاء

قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن أبى صيفى بن ثابت : لو أصبت ركوة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت أعرفها بين التجار ، فإن لم تكن لهم فهى لك ! لكن أخبرنى عن الفريعة أهى أكبر أم ثابت ، وقد تزوجها قبله أربعة ، كلهم يلقاها بمثل ذراع البَكر ثم يطلقها عن قِلى ، فقيل لها : يافريعة ، لم تطلقين وأنت جميلة حلوة ؟ قالت : يريدون الضيق ضيَّق الله عليهم ... !

جارية وقرشى

ولقى رجل من قريش كان به وضح جارية من بدر وكان مغرماً بالشراب ؛ فقال لها : أشعرتِ أنه بُعث نبىٌّ لهذه الأمة يُحل الخمر للناس ؟ قالت : إذاً لانصدق به حتى يبرئ الأكمه والأبرص !

الزبرقان وزياد

دخل الزبرقان بن بدر على زياد ، فسلَّم تسليما جافياً ، فأدناه زياد وأجلسه

معه ؛ ثم قال له : يا أبا عباس الناس يضحكون من جفائك ! قال : ولم ضحكوا ؟ فوالله إنْ منهم رجل إلا ودّ أنّى أبوه دون أبيه ، لغيّة كان أو لرِشدة !

دخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة وعنده ناس من اليمامة يضحكون ، فقال: يا أبا فراس ، أتدرى ممّ يضحكون ؟ قال : لا أدرى . قال : من جفائك . قال : أصلح الله الأمير . حججتُ فإذا رجل على عاتقه الأيمن صبي ، وامرأةٌ آخذة بمئزره وهو يقول :

أنتَ وهَبْتَ زائِداً ومزْيداً ٭ وكهْلةً أُولِجُ فيها الأجرَدا !

وهي تقول : إذا شئت . فسألت : ممن الرجل ؟ قال : من الأشعريين . فأنا أجفى من ذلك الرجل ؟ قال : لا حياك الله ! فقد علمت أنا لا نُفلت منك .

كوسج ومسبل

اجتمع كوسج مع رجل مُسبِل ، فقال المسبل : ﴿والبلدُ الطيّبُ يَخْرُجُ نباتُه بإذنِ ربه ، والذي خَبُثَ لا يخْرُجُ إلا نَكِدا﴾ ! قال الكوسج : ﴿قل لا يَستوى الخبيثُ والطَّيِّبُ ولو أعجبَكَ كثْرةُ الخبيث﴾ !

مسلمة وموسوس

مر مسلمة بن عبد الملك ، وكان من أجمل الناس ، بموسوس على مزبلة ؛ فقال الموسوس : لو رآك أبوك آدم لقرت عينُه بك . قال له مسلمة : لو راك أبوك آدم لأذهب سخنةُ عينه بك قرةَ عينه بي . وكان مسلمة من أحضر الناس جوابا .

النخعي والأعمش

خرج إبراهيم النخعي ، وقام سليمان الأعمش يمشي معه ؛ فقال إبراهيم : إن الناس إذا رأونا قالوا : أعور وأعمش ! قال : وما عليك أن يأثموا ونُؤجَر ؟ قال : وما عليك أن يَسلموا ونَسلم ؟

شداد وأسود

وقال شداد الحارثي : لقيت أسود بالبادية ، فقلت : لمن أنت يا أسود ؟ قال : لسيد الحي يا أصلع ! قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قال لي : الحق أغضبك . قلت : أولست بأسود ؟ قال : أولست بأصلع .

ابن أسماء في سجن الكوفة

أُدخل مالك بن أسماء السجن ، سجن الكوفة ؛ فجلس إليه رجل من بني مرة فاتكأ عليه المرى يحدثه ؛ ثم قال : أتدرى كم قتلنا منكم في الجاهلية ؟ قال : أما في

الجاهلية فلا ، ولكن أعرف من قتلتم منا فى الإسلام ! قال : ومن قتلنا منكم فى الإسلام ؟ قال : أنا ، قد قتلتَنى بنتْن إبْطيك !

نميرية فى يوم ريح

مرت امرأة من بنى نمير على مجلس لهم فى يوم ريح ، فقال رجل منهم : إنها لرَسْحاء ! قالت : والله يا بنى نمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر ؛ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ قُل لِلمؤْمنينَ يَغُضُّوا من أبصارِهِمْ ﴾ . وقال الشاعر : ٥

فغُضَّ الطَّرف إنَّك من نُمَيْرٍ

لشريح

قيل لشريح : أيهما أطيبُ : الجوْزنيق أم اللَّوزنيق ؟ قال : لست أحكم على غائب .

هشام والفرزدق

هشام بن القاسم قال : جمعنى والفرزدق مجلس ، فتجاهلت عليه فقلت : مَن الكهل ؟ قال : وما تعرفنى ؟ قلت : لا ! قال : أبو فراس . قلت : ومن أبو فراس قال : الفرزدق . قلت : ومن الفرزدق ؟ قال : وما تعرف الفرزدق ؟ قلت : ١٠ لا أعرف الفرزدق إلا شيئاً يفعله النساء عندنا يتشهَّون به كهيئة السويق . قال : الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائكم يتشهون بى !

هشام والأبرش الكلبى

قال هشام بن عبد الملك للأبرش الكلبى : زوّجنى امرأةً من كلب . فزوّجه ؛ فقال له ذات يوم : لقد وجدنا فى نساء كلب سَعة ! قال : يا أمير المؤمنين ، نساء كلب خُلقن لرجالِ كلب . ١٥

وقال له يوماً وهو يتغذى معه : يا أبرش ، إن أكلك أكلُ معدِّى قال : هيهات ، تأبى ذلك قضاعة .

عمارة وشيطان الطاق

عَمارة عن محمد بن أبى بكر البصرى قال : لما مات جعفر بن محمد قال أبو حنيفة لشيطان الطاق : مات إمامُك . وذلك عند المهدى ؛ فقال شيطان الطاق : لكن إمامك من المُنْظَرِين إلى يوم الوقت المعلوم ! فضحك المهدى ٢٠ من قوله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

نساء كندة

العتبى قال : حدثنى أبى لما افتتح النجير ، وهى مدينة باليمن : سمع رجلٌ من كندة رجلا وهو يقول : وجدنا فى نساء كندة سَعة ! فقال له : إن نساء كندة مكاحل فَقدت مَراودَها .

ابن صفوان والفرزدق

لقي خالد بن صفون الفرزدق ، وكان كثيراً مايداعبه ، وكان الفرزدق دميما ؛ فقال له . يا أبا فراس ، ما أنت بالذى ﴿لما رأيْنَهُ أكبَرْنه وقطعْنَ أيدِيَهُنَّ﴾ قال له : ولا أنت أبا صفوان بالذى قالت فيه الفتاة لأبيها : ﴿ يا أبتِ آستأجِرْهُ إنّ خيْرَ منِ آستأجَرْتَ القوىُّ الأمينُ﴾.

بين رجلين

٥ باع رجل ضيعة من رجل ، فلما انتقد المال قال للمشترى : أما والله لقد أخذتها كثيرةَ المئونة قليلة المعونة . قال له المشترى . وأنت والله أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة الافتراق !

واشترى رجل من رجل دارا ، فقال لصاحبها : لوصبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ! قال له البائع : وأنت لو صبرت لاشتريت منك

١٠ الذراع بدرهم !

بقرة بنى إسرائيل

وكان بالرقة رجل يحدث بأخبار بنى إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حَنْتمة : كيف كان اسم بقرة بنى إسرائيل ؟ قال حنتمة ! فقال له رجل من ولد أبى موسى الأشعرى : أين وجدت هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو بن العاص .

للشعبى

وقال رجل للشعبى : ما كان اسمُ امرأةِ إبليس ؟ قال : إن ذاك نكاحٌ

١٥ ما شهدْناه !

ودخل رجل على الشعبى ، فوجده قاعداً مع امرأة ؛ فقال : أيكما الشعبى ؟ قال الشعبى : هذه ! وأشار إلى المرأة .

معن بن زائدة

كان معن بن زائدة ظنيناً فى دينه ، فبعث إلى ابن عياش المتوف بألف دينار وكتب إليه : قد بعثنا اليك بألف دينار ، اشتريتُ بها منك دِينَك ؛ فاقبض

٢٠ المال واكتب إلى بالتسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعتك به دِينى خلا التوحيد لما علمت من زهدك فيه !

ابن أبى بردة والممرور

بعث بلال بن أبى بردة إلى ابن أبى علقمة الممرور ، فلما أتى قال : أتدرى لم بعثت إليك ؟ قال لا أدرى . قال : بعثت إليك لأضحك بك ! قال : لقد ضحك أحد الحَكَمين من صاحبه ـ يعرّض له بجده أبى موسى ـ فغضب بلال

وأمر به إلى الحبس ، فكلّمه الناس وقالوا : إن المجنون لا يعاقَب ولا يحاسب . فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه ، فأُتى به في يوم سبت وفي كمه طرائف أُتحف بها في الحبس ؛ فقال له بلال : ما هـذا الذى فى كمك ؟ قال : من طرائف الحبس . قال : ناولنى منها . قال : هو يوم سبت ، ليس يُعطَى فيـه ولا يؤخَذ ! يعرِّض بعمة كانت له من اليهود .

حسان وعائشة

دخل حسان بن ثابت على عائشة رضى الله عنها فأنشدها :

حَصـانٌ رَزَانٌ ما تُزنُّ بريبَةٍ ٭ وتُصْبِحُ غرْثَى مِنْ لُحُومِ الغوافِلِ

قالت له : لـكنك لست كذلك ! وكان حسان من الذين جاءوا بالإفك .

ابن الأحوز وأزدى

نظر رجل من الأزد إلى هـلال بن الأحوز حين قدم من قنـدابيل وقد أطافت به بنو تميم ، فقال : انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحواريين بعيسى . فقال له محمد بن عبد الملك المازنى : هـذا ضدُّ : عيسى كان يحيى الموتى ، وذا يميت الأحياء .

ربيعة وبعض النساء

لما حُلقت لحية ربيعة بن أبى عبـد الرحمن كانت امرأة من المسجد تقف عليه كل يوم فى حلقته ، وتقول : الله لك يا أبا عبد الرحمن ! من حلق لحيتك ؟ فلما أبرمتْه قال لها : ياهذه ، إن ذلك حلقها فى جزّة واحدة ، وأنت تحلقينها فى كل يوم .

سعيد بن هشام وبعض الرجال

خرج سعيد بن هشام بن عبد الملك يوماً بحمص فى يوم مطر، عليه طيلسان وقد كاد يمس الأرض ، فقال له رجل وهو لا يعرفه : أفسدتَ ثوبك أبا عبد الله ! قال : وما يضرك ؟ قال : وددتُ أنك وهو فى النار ! قال : وما ينفعك ؟

الحجاج وابن ظبيان

قال : لما قدم الحجاج العراق والياً عليها خرج عبيد الله بن زياد بن ظبيان متوكئا على مولى له وقد ضربه الفالج ، فقال قدم العراق رجل على دِينى . فقال له حصين بن المنذر الرقاشى : فهو إذاً منافق ! قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ! قال له حصين : إذاً يقتلك .

خالد بن يزيد والحجاج

ولما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان، فمر الحجاج بخالد ابن يزيد بن معاوية وهو جالس فى المسجد، وعلى الحجاج سيف محلى وهو يخطر متبخترا فى المسجد، فقال له رجل من قريش: من هذا التّخطارة؟ فقال خالد: بخ بخ! هذا عمرو بن العاص! فسمعه الحجاج، فمال إليه فقال: قلتَ: هذا عمرو بن العاص، والله ما سرنى أن العاص ولدنى ولا ولدته، ولكن إن شئت أخبرتك من أنا! أنا ابن الأشياخ من ثقيف، والعقائل من قريش، والذى ضرب مائة ألف بسيفه هذا كلهم يشهد على أبيك بالكفر وشرب الخمر، حتى أقروا أنه خليفة! ثم ولى وهو يقول: هذا عمرو بن العاص.

وهب بن منبه ولهبى

قال رجل من بنى أبى لهب لوهب بن مُنَبّه: ممن الرجل؟ قال: رجل من اليمن. قال: فما فعلتْ أمكم بلقيس؟ قال: هاجرت مع سليمان لله رب العالمين، وأمكم حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسَد!

وقال رجل لابن شُبرمة: مِنْ عِندنا خرج العلم إليكم. قال: نعم، ثم لم يرجع إليكم.

يزيد بن منصور وابن مزيد

نظر يزيد بن منصور خال المهدى إلى يزيد بن مزيد وعليه رداء يمان وهو يسحبه، فقال: ليس عليك عزلَه، فاسحبْ وجُرَّ! قال له: على آبائك عزلُه وعلىّ سحبه! فشكاه إلى المهدى، فقال: لم تجد أحدا تتعرض له إلا يزيد ابن مزيد!

أبو يقظان وابن حاتم

دخل أبو يقظان القيسى على يزيد بن حاتم وهو والى مصر وعنده هاشم بن حُديج، فقال له يزيد: حرّكه! وعلى أبى اليقظان حلة وشى وكساء خز، فقال له هشام: الحمد لله أبا اليقظان، لبستم الوشى بعد العباء! قال: أجل، تحوكون ونلبس، فلا عدمتم هذا منا، ولا عدمنا هذا منكم.

الفرزدق وعبد الجبار

كتب الفرزدق إلى عبد الجبار بن سَلمى المُجاشعى يستهديه جارية وهو بعمان فكتب إليه:

كتبتَ إلىّ تَستهدِى الجوارى ٭ لقد أنعظْتَ من بلَدٍ بعيدِ!

وقال رجل من العرب : رأيتُ البارحةَ الجنة فى منامى ، فرأيت جميع ما فيها من القصور ، فقلت : لمن هذه ؟ فقيل لى : للعرب ! قال له رجل من الموالى : أصَعِدتَ الغُرف ؟ قال : لا . قال : تلك لنا .

ابن صفوان وابن جعفر

قال عبد الله بن صفوان — وكان أمّيا — لعبد الله بن جعفر بن أبى طالب أبا جعفر ، لقد صرتَ حجةً لفتياننا علينا ؛ إذا نهيناهم عن الملاهى قالوا : هذا ابن جعفر سيد بنى هاشم يحضرها ويتخذها ! قال له : وأنت أبا صفوان صرتَ حجة لصبياننا علينا ؛ إذا لُمناهم فى ترك المكتب قالوا : هذا أبو صفوان سيد بنى جمح لا يقرأ آية ولا يخطُّها . ٥

معاوية وابن عامر

قال معاوية لعبد الله بن عامر : إن لى إليك حاجة ! قال : بحاجةٍ أقضيها يا أمير المؤمنين ؛ فسل حاجتك . قال : أريد أن تهب لى دورك وضياعك بالطائف . قال : قد فعلت ! قال : وصَلَتْكَ رحِم ! فَسَلْ حاجتك . قال : حاجتى إليك أن تردها علىّ يا أمير المؤمنين ! قال : قد فعلت ! ١٠

ثمامة وبعض الرجال

وقال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة ! قال : وأنا لى إليك حاجة . قال : وما حاجتك ؟ قال : فتقضيها ؟ قال : نعم . فلما توثق منه قال : فإن حاجتى إليك أن لا تسألنى حاجة . ١٥

جواب فى فخر

عمرو بن سعيد وخالد بن يزيد فى حضرة عبد الملك

سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : تفاخر عمرو بن سعيد بن العاص وخالد ابن يزيد بن معاوية ، عند عبد الملك بن مروان ؛ فقال عبد الملك لشيخ من موالى قريش : اقض بينهما . فقال الشيخ : كان سعيد بن العاص لا يعتمُّ أحد فى البلد الحرام بلون عمامته ؛ وكان حرب بن أمية لا يُبكى على أحد من بنى أمية ما كان فى البلد شاهداً ؛ فلما مات سعيدٌ وحربٌ شاهد لم يُبْك عليه . ٢٠

الأبرش وخالد ابن صفوان

قال الأبرش الكلبى لخالد بن صفوان : هلم أفاخرك — وهما عند هشام بن عبد الملك — قال له خالد : قل . فقال له الأبرش : لنا رُبع البيت — يريد الركن

اليمانى ـ ومنا حاتم طيئ ، ومنا المهلب بن أبى صفرة ! فقال خالد بن صفوان : منا النبى المرسَل ، وفينا الكتاب المُنْزَل ، ولنا الخليفة المؤمَّل ! قال الأبرش : لا فاخرتُ مُضَرِيًّا بعدك .

هشام وقوم من اليمن

وزل بأبى العباس قومٌ من اليمن من أخواله من كعب ، ففخروا عنده بقديمهم وحديثهم ؛ فقال أبو العباس لخالد بن صفوان : أجب القوم . فقال : أخوال أمير المؤمنين . قال لابد أن تقول . قال : وماأقول ياأمير المؤمنين ، وماأقول لقومٍ هم بين حائك بُرْد ، ودابغ جلد ، وسائس قرد ؛ ملكتهم امرأة ، ودل عليهم هدهد ، وغرقتهم فأرة ؟

فلم يقم بعدها ليمانىٍّ قائمة .

الحجاج وعبد الملك

قال عبد الملك بن الحجاج : لو كان رجل من ذهب لكنته . قال له رجل من قريش وكيف ذلك ؟ قال : لم تلدنى أمَة بينى وبين آدم ما خلا هاجَر . فقال له : لولا هاجر لكنت كلباً من الكلاب .

دخل عمر بن عُبيد الله بن مَعْمر على عبد الملك بن مروان ، وعليه جِبَرة صَدْآء عليها أثر الحائل ، فقال له أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد : يا أبا حفص ، أىّ رجلٍ أنت لو كنت من غير من أنت منه من قريش ! قال : ما أحب أنى مِن غير مَن أنا منه ؛ إن منا لسيدَ الناس فى الجاهلية ، عبد الله بن جدعان ؛ وسيد الناس فى الإسلام ، أبا بكر الصديق ؛ وما كانت هذه يدى عندك . إنى استنقذت أمهات أولادك من عدوك ابن فديك بالبحرين وهن حبالى ، فولدن فى حجابك .

عبد الرحمن بن خالد ومعاوية

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة لمعاوية : أما والله لو كنا بمكة على السواء لعلمت . قال معاوية : إذاً كنت أكون معاوية بن أبى سفيان ، منزلى الأبطح ينشق عنى سَيْلُه ؛ وكنت عبد الرحمن بن خالد ، منزلك أجياد أعلاه مَدَرة ، وأسفله عذرة .

الزبير وعثمان

تنازع الزُّبير بن العوام وعثمان بن عفان فى بعض الأمر ؛ فقال الزبير : أنا ابن صفية . قال عثمان : هى أدْنتْك من الظل ، ولولا ذاك لكنت ضاحياً .

حمد بن يوسف وابن الفضل

قال أحمد بن يوسف الكاتب لمحمد بن الفضل : ياهذا ، إنك تتطاول بهاشم كأنك جمعتها ، وهى تمتد فى أكثر من خمسة آلاف . قال له : محمد بن الفضل : إن كثرة عددها ليس يُخرج من عنقك فَضل واحدها .

زياد ومعاوية

فخر مولى زياد بزياد عند معاوية ؛ فقال له معاوية : اسكت ، فوالله ما أدرك صاحبُك شيئا بسيفه إلا أدركت أكثر منه بلسانى . ٥

الأحوص ومخزومى

وقال رجل من مخزوم للأحوص بن عبد الله الأنصارى : أتعرف الذى يقول :

ذهَبَت قريشٌ بالمكارِمِ كلِّها ٭ والذُّلُّ تحت عمائم الأنصارى ؟

قال : لا ، ولكنى أعرف الذى يقول :

الناسُ كَنَّوْهُ أباحكَمٍ ٭ واللهُ كنَّاهُ أبا جهْلِ

أبقَتْ رياستُه لِأُسْرتِه ٭ لُؤْمَ الفروعِ ورِقَّةَ الأصل ١٠

قريش وقيس

سأل رجل من قريش رجلا من بنى قيس بن ثعلبة : ممن أنت ؟ قال : من ربيعة . قال له القرشى : لا أثر لكم ببطحاء مكة . قال القيسى : آثارنا فى أكناف الجزيرة مشهورة ، ومواقفنا فى يوم ذى قار معروفة ؛ فأما مكة فسواءٌ العاكفُ فيه والباد كما قال الله تبارك وتعالى . فأفحمه .

الأشعث وشريح

قال الأشعث بن قيس لشريح القاضى : لَشَدّ ما ارتفعت . قال : فهل ضرّك ؟ ١٥ قال : لا . قال : فأراك تعرف نعمة الله على غيرك وتجهلها على نفسك .

سليمان ويزيد ابن المهلب

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فيمن العزُّ بالبصرة ؟ قال : فينا وفى أحلافنا من ربيعة . قال له سليمان بن عبد الملك : الذى تحالفتما عليه أعز منكما .

أعرابى وعتبة

قدم أعرابى البصرة فدخل المسجد الجامع وعليه خُلْقانٌ وعمامة قد كوّرها ٢٠ على رأسه ، فرمى بطرْفه يمنة ويسرة ، فلم ير فتية أحسن وجوهاً ولا أظهر زيا من فتية حضروا حلقة عتبة المخزومى فدنا منهم وفى الحلقة فرجة فطبقها ؛ فقال له عتبة : ممن أنت ياأعرابى ؟ قال : من مذحج . قال : من زيدها الأكرمين ،

أو من مرادها الأطيبين ؟ قال لست من زيدها ولا من مرادها . قال : فمن أيها ؟
قال : فإني من حماة أعراضها ، وزهرة رياضها ، بنى زبيد . قال : فأفحم عتبة حتى
وضع قلنسوته عن رأسه ، وكان أصلع ؛ فقال له الأعرابي : فأنت يا أصلع ، ممن
أنت ؟ قال : أنا رجل من قريش . قال : فمن بيت نُبُوَّتها ، أو من بيت مملكتها ؟
٥ قال : إني من ريحانتها بنى مخزوم . قال : والله لو تدرى لِمَ سُمِّيَت بنو مخزوم
ريحانة قريش ، مافخرْت بها أبداً ؛ إنما سميت ريحانة قريش لِخَور رجالها ولين
نسائها ! قال عتبة : والله لانازعت أعرابيًا بعدك أبداً .

فيروز ونميلة

وضع فيروز بن حُصين يده على رأس نميلة بن مالك بن أبي عكابة عند زياد ،
فقال : من هذا العبد ؟ قال : أنت والله العبد ؛ ضربناك فما انتصرت ، ومننَّا
١٠ عليك فما شكرْت .

مالك بن مسمع وابن ظبيان

اجتمعت بكر بن وائل إلى مالك بن مسمع لأمر أراده مالك ؛ فأرسل إلى
بكر بن وائل ، وأرسل إلى عبيد الله زياد بن ظبيان ؛ فأتى عبيد الله فقال :
يا أبا مِسْمع ، مامنعك أن ترسل إليّ ؟ قال : يا أبا مطر ، ما فى كنانتى سهم أنا أوثق
به منى بك . قال : وإنى لفى كنانتك ؟ أما والله لئن كنت فيها قائماً لأطُولنَّها ،
١٥ ولئن كنت فيها قاعداً لأخرقنّها .

ابن مسمع وشقيق

نازع مالك بن مِسْمع شقيق بن ثور ، فقال له مالك : إنما شَرَّفَك قبرٌ
بِتُسْتَرَ . قال شقيق : لكن وضعك قبر بالمُشقَّر . وذلك أن مسمعا أبا مالك
جاء إلى قوم بالمشقر ، فنبحه كلبهم ، فقتله ، فقتلوه به ؛ فكان يقال له : قتيل
الكلاب ، وأراد مالك قبر مجزأة بن ثور أخى شقيق ، وكان استشهد بتُستر مع
٢٠ أبى موسى الأشعرى .

قتيبة بن مسلم وهبيرة

قال قتيبة بن مسلم لهبيرة بن مسروح : أىُّ رجل أنت لو كانت أخوالك من
غير سلول . فبادلْ بهم . قال : أصلح الله الأمير ، بادلْ بهم من شئت وجنّبنى
باهلة . وكان قتيبة من باهلة .

جواب ابن أبى دؤاد

ابن أبى دؤاد وابن الزيات

قال أحمد بن أبى دؤاد لمحمد بن عبد الملك الزيات عند الواثق : أصنوى ، أى اسكت ، بالنبطية ؛ فقال له : لماذا ؟ والله ما أنا بنبطى ، ولا بدعى . قال له : ليس فوقك أحد يفضُلك ، ولادونك أحد تنزل إليه ؛ فأنت مطرَّح فى الحالتين جميعا .

هو وأشناس

دخل أحمد بن أبى دواد على أشناس ، فقال له : بلغنى أنك فاسدت هذا الرجل ٥ يعنى محمد بن عبد الملك ، وهو لنا صديق ؛ فأحب أن لا يأتينا . قال له ابن أبى دواد أنت رجل صنعتك هذه الدولة ، فإن أتيناك فلها ، وإن تركناك فلنفسك .

هو والواثق

قال أحمد بن أبى دواد : دخلت على الواثق ؛ فقال : ما زال قوم اليوم فى ثلبك ونقصك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم ؛ فالله ولى جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين ١٠ من ورائه ؛ وما ضاع امرؤ أنت حائطه ، ولا ذلّ من كنت ناصره ؛ فماذا قلت لهم يا أمير المؤمنين ؟ : قال أبا عبد الله .

وسعى إلىَّ بعيْب عَزَّةَ نسْوة ‌ . ‌ جعل المليكُ خدودهُنّ نعالَها

هو وأبو العيناء

وقال أبو العيناء الهاشمى : قلت لابن أبى دواد : إن قوما تضافروا علىّ . قال : ﴿يدُ اللهِ فوْق أيديهم﴾ قلت إنهم جماعة . قال ﴿كَمْ مِنْ فئةٍ قليلةٍ غلَبتْ فئةً كثيرة ١٥ بإذْنِ اللهِ ، واللهُ مع الصّابرين﴾ قلت : إن لهم مكراً . قال ﴿ولا يَحيقُ المكْرُ السّيّئُ إلّا بأهْلِه﴾ قال أبو العيناء : فحدثت به أحمد بن يوسف الكاتب ، فقال : ما يرى ابن أبى دواد إلا أن القرآن إنما أنزِل عليه .

جواب فى تفحش

خالد القسرى وبدوى

خطب خالد بن عبد الله القسرى فقال : يا أهل البادية ، ما أخشن بلدكم ، ٢٠ وأغلظ معاشكم ، وأجفى أخلاقكم ؛ لا تشهدون جُمعة ، ولا تجالسون عالما . فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا وغِلَظ طعامنا فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر فيكم ثلاث خصال هى شر من كل ماذكرت .

قال له خالد : وما هى ؟ قال : تنقُبُون الدُّور ، وتنبُشُون القبور ، وتنكحون الذُّكور ! قال : قبحك الله وقبح ما جئت به !

موسى بن مصعب وامرأة

أبو الحسن قال : أتى موسى بن مصعب منزل امرأة مدنية لها قينة تعرضها؛ فإذا امرأة جميلة لها هيئة ؛ فنظر إلى رجل دميم يجىء ويذهب ويأمر وينهى فى الدار ؛ فقال لها : من هذا الرجل؟ قالت : هو زوجى ! قال ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ أما وجَدْتِ من الرجال غير هذا وبك من الجمال ما أرى ؟ قالت : والله يا أبا ٥ عبد الله ، لو استدبرك بمثل ما يستقبلنى به لعظُمَ فى عينك .

بنت الملاءة ورائض خيل

أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت المُلاءة لرائض دواب زوجها فى طريق مكة : ما وجدت عملا شرًّا من عملك ؛ إنما كَسْبك باستك ! فقال لها : جُعلتُ فداك ! ما بين ما أكسب به وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ! قالت : ويلى ١٠ عليك ! خذوا الخبيث . فطلبه حشمها ؛ ففاتهم ركضا .

يونس النحوى وأزدى

أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد فى مجلس يونس النحوى : وددت والله أن بنى تميم جميعا فى جوفى ؛ على أن يُضرب وسطى بالسيف ! قال له شيخ فى ناحية المجلس ، حِرمازىٌّ من بنى تميم : ما هذا ، يكفيك من ذلك كرةٌ حاريّة تملأ بها استك إلى لهاتك ! ١٥

بين أعرابيين

وسأل أعرابى شيخاً من بنى مروان وحوله قوم جلوس فقال : أصابتنا سَنَة ولى بضعَ عشرةَ بنتا ! فقال الشيخ : أما السنة فوددت والله أن بينكم وبين السماء صفيحةً من حديد ؛ وأما البنات فليت اللهَ أضعفهن لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك بينهن مقطوع اليدين والرجلين ليس لهن كاسب غيرك ! قال : فنظر الأعرابى مليا ثم قال : ما أدرى ما أقول لك ، ولكنى أراك قبيح المنظر ، لئيم المخبر ؛ فأعضَّك ٢٠ الله ببظور أمهات هؤلاء الجلوسِ حولك .

وسأل أعرابىٌّ شيخا من الطائف وشكا إليه سنة أصابته ، فقال : وددت والله أن الأرض حصّاء لا تنبت شيئا ! قال : ذلك أيبس لِجَعْر أمك فى استِها .

قال : عبيد الله بن زياد بن ظبيان لزُرعة بن ضمرة الضمرى : إنى لو أدركتك

يوم الأهواز لقطعت منك طابقا شحما ، قال: أفلا أدلك على طابق شحيم هو أولى بالقطع ؟ قال : بلى ! قال : البظر الذى بين إِسْكَتَىْ أمك !

قال عبد الله بن الزبير لعدى بن حاتم : متى فقئت عينك ؟ قال يوم طعنتُك فى استك وأنت مُوَلٍّ .

الفرزدق

وقال الفرزدق : ماعييتُ بجواب أحدٍ قطُّ ماعييت بجواب امرأة وصبى ونبطى ؛ فأما المرأة فإنى ذهبت بيغلتى أسقيها فى النهر ، فإذا معشر نسوة ، فلما همزْت البغلة حبَقت ؛ فاستضحك النسوة ، فقلت لهن : ما أضحككن ؟ فوالله ما حملتنى أنثى قط إلا فعلتْ مثلها ! فقالت امرأة منهن : فكيف كان ضراط أمك مقبرةً ، فقد حملتك فى بطنها تسعة أشهر ! فما وجدتُ لها جواباً . وأما الصبى ، فإنى كنت أنشد بجامع البصرة ، وفى حلقتى الكميت بن زيد وهو صبى ، فأعجبنى حسن استماعه ، فقلت له : كيف سمعت يا بُنَىَّ ؟ قال لى : حسن ! قلت : فسرَّك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أريد به بديلا ، ولكن وددت أن تكون أمى ! قلت : استرها علىّ يا ابن أخى ، فما لقيت مثلها وأما النبطى ، فإنى لقيت نبطيا بيثرب ، فقال لى : أنت الفرزدق ؟ قلت : نعم . قال أنت الذى يخاف الناس لسانك؟ قلت : نعم . قال : فأنت الذى إذا هجوتنى يموت فرسى هذا ؟ قلت : لا . قال : فيموت ولدى ؟ قلت : لا . قال : فأموت أنا ؟ قلت : لا . قال : فأدخلَنِى الله فى حِرِ أم الفرزدق ، من رجلى إلى عنقى ! قلت : ويلك ! ولم تركت رأسك ؟ قال : حتى أرى ما تصنع الزانية !

بن جرير والفرزدق

ولقى جرير الفرزدق بالكوفة ، فقال أبا فراس : تحتمل عنى مسألة ؟ قال : أحتملُها بمسألة . قال : نعم . قال : فسل عما بدا لك . قال : أى شىء أحب إليك يتقدمُك الخيرُ أو تتقدمُه ؟ قال : لا يتقدمنى ولا أتقدمه ، ولكن أكون معه فى قران . قال : هات مسألتك . قال له الفرزدق : أى شىء أحبُّ إليك إذا دخلت على امرأتك : أن تجد يدها على أير رجل أو يدَ رجل على حِرِها قال : قاتلك الله ! ما أقبح كلامك وأرذل لسانك .

الفرزدق ومسجد الأحامرة

أبو الحسن قال : مر الفرزدق يوما بمسجد الأحامرة وفيه جماعة فيهم أبو المزرد الحنفى ، فقال له الفرزدق : يا أخا بنى حنيفة ، ما شىء لم يكن ، ولا يكون ولو كان لا يستقيم ؟ قال : لا أدرى ! قال : يا أبا المزرد ، إنه سفيه ؛ فإن لم تغضب أخبرتُك . قال : فإنى لا أغضب . فقال : حِرِ أمك : لم تكن له أسنان ، ٥ ولا تكون ، ولو كان لم يستقم !

الفرزدق وابن عفراء

أبو الحسن قال : لقى الفرزدق عمرو بن عفراء ، فعاتبه فى شىء بلغه عنه ؛ فقال له ابن عفراء وهو بالمربد : ما شىء أحبُّ إلىّ من أن آتى كلَّ شىء تكرهه ! قال له الفرزدق : بالله إنك تأتى كل شىء أكرهه ؟ قال : نعم ! قال : فإنى أكره أن تأتى أمك فأْتها .

بين الجماز وضيف

١٠ ضاف رجلٌ قبيح الوجه دنىّ الحسب ، أبا عبد الله الجمّاز ؛ فجعل يفخر ببيته ؛ فقال له الجماز : اسكت ، فقباحةُ وجهك ، ودناءةُ لفظك [1] ، يمنعاننا من سبّك ! فأبى إلا التمادى فى اللجاج ؛ فقال له الجماز :

لو كنتَ ذا عِرْضٍ هَجَوْناكا * أو حَسَنَ الوجهِ لِنِكْناكا

جَمَعْت مع قُبحكَ لُوما فلا * قُبْح أو اللُّوم تركْناكا !

---

١٥ (١) فى بعض الأصول : « ودنو حسبك » .

كتاب الواسطة في الخطب

فرش الكتاب

قال أبو عُمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الأجوبة وتباين الناس فيها بقدر عقولهم ، ومبلغ فطنهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن قائلون بعون الله ٥
وتوفيقه فى الخطب التى يتخير لهـا الكلام ، وتفاخرت بها العرب فى مشاهدهم ، ونطقت بها الأئمة على منابرهم ، وشهرت بها فى مواسمهم ، وقامت بها على رءوس خلفائهم ؛ وتباهت بها فى أعيادهم ومساجدهم . ووصلتها بصلواتهم ، وخوطب بها العوام ، واستجزلت لها الألفاظ ، وتخيرت لهـا المعانى .

اعلم أن جميع الخطب على ضربين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك ١٠
موضع يليق به ، ومكان يحسن فيه ؛ فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم السلف المتقدمين ، ثم الجلة من التابعين والجلة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين ، على ما سقط إلينا ووقع عليه اختيارنا ؛ ثم نذكر بعض خطب الخوارج ؛ لجزالة ألفاظهم ، وبلاغة منطقهم ، كخطبة قطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا ؛ فإنها معدومة النظير ، منقطعة القرين ؛ وخطبةِ أبى حمزة ١٥
التى سمعها مالك بن أنس فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة خطبة شكك فيها المستبصر ، وردّد فيها المرتاب ، ثم نسمح بصدر من خطب البادية وقول الأعراب خاصة ؛ لمعرفتهم بداء الكلام ودوائه ، وموارده ومصادره .

عبد الملك وابن سلمة

قال عبد الملك بن مروان لخالد بن سلمة القرشى المخزومى : من أخطب الناس؟ قال : أنا ! قال : ثم من؟ قال : شيخ جذام . يعنى روح بن زنباع ، قال : ٢٠

ثم من ؟ قال : أُخَيفِش ثقيف . يعنى الحجاج ، قال : ثم من ؟ قال : أمير المؤمنين !

لمعاوية فى زياد

وقال معاوية لما خطب الناس عنده فأكثروا : والله لأرمينّكم بالخطيب المِصْقع . قم يا زياد !

لأبى دواد

وقال محمد كاتب المهدى ـ وكان شاعراً راوية ، وطالباً للنحو علامة ـ قال :
٥ سمعت أبا دواد يقول ـ وجرى شىء من ذكر الخطب وتحبير الكلام ـ فقال : تلخيص المعانى رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق فى غير أهل البادية نقص ، والنظر فى عيوب الناس عِىّ ، ومسح اللحية هُلْك ، والخروج عما بُنى عليه الكلام إسهاب .

قال : وسمعته يقول : رأس الخطابة الطبع ، وعمودها الدُّرْبة ، وحَليها
١٠ الإعراب . وبهاؤها تخيُّر اللفظ . والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه .

وأنشدنى بيتاً له فى خطباء إياد .

يَرمون بالُخطب الطوال وتارةً ✽ وحْىَ الملاحِظ خِيفة الرُّقباء

وأنشدنى فى عىّ الخطيب واستعانته بمسح العثنون وفتل الأصابع :

مِلِيء ببُهْر والتفاتٍ وسُــــعْلةٍ ✽ ومسْحةِ عُثْنونٍ وفتْل الأصابع

بشر بن المعتمر وابن جبلة

١٥ مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب ، وهو يعلم فتيانهم الخطابة ؛ فوقف بشر يستمع ، فظنّ إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد ، أو يكون رجلا من النظارة ؛ فقال بشر : اضربوا عما قال صفحا ، واطووا عنه كشحا . ثم دفع إليهم صحيفة من تنميقه وتحبيره ، فيها :

خذ من نفسك ساعةَ نشاطك وفراغِ بالك وإجابتِها إياك ، فإنّ قليل تلك
٢٠ الساعة أكرم جوهرا ، وأشرف حسبا ، وأحسن فى الاستماع ، وأحلى فى الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عينٍ من لفظ شريف ، ومعنى بديع ؛ واعلم أنّ ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومُك الأطول بالكدّ والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم

من معدنه ؛ وإياك والتوعُّر ، فإنّ التوعر يُسلمك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فإنّ حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما ، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما ؛ فكن فى ثلاثة منازل : فأول ذلك أن يكون لفظك رشيقاً عذبا ، أو فخما سهلا ؛ ويكون معناك ظاهراً مكشوفا ، وقريباً معروفا ، إمّا عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإمّا عند العامّة إن كنت للعامّة أردت ؛ والمعنى ليس يَشرُف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معانى العامّة ؛ وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال ؛ وكذلك اللفظ العامى والخاصى ؛ فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة لفظك ، ولطف مداخلك ، وقدرتك فى نفسك ـ أن تُفهم العامّة معانى الخاصة ، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التى لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فأنت البليغ التام .

فقال له إبراهيم بن جبلة : جُعلتُ فداك ، أنا أحوج إلى تعلم هذا الكلام من هؤلاء الغلمة .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى حجة الوداع

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهدِ الله فلا مضلَّ له ، ومن يضللْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و[أشهد] أن محمداً عبده ورسوله .

أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، وأستفتح بالذى هو خير .

أمّا بعد : أيها الناس ، اسمعوا منى أبيّن لكم ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ! أيها الناس : إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى الذى ائتمنه عليها ؛ وإن ربا الجاهلية موضوع ، وإنّ أوّل ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ؛ وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السّدانة والسّقاية ، والعمد قوَد ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية .

أيها الناس ، إنّ الشيطان قد يئس أن يُعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس ، إنما النّسىء زيادة فى الكفر يُضلُّ به الذين كفروا يُحلُّونه عاماً ويحرّمونه عاما ليُواطئوا عِدّةَ ما حرّم الله . وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعةٌ حُرُم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرّم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد !

أيها الناس ، إنّ لنسائكم عليكم حقا ، وإنّ لكم عليهن حقا : لكم عليهنّ أن لا يُوطِئنَ فرُشكم غيركم ، ولا يُدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة ؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضُلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرّح ؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن

وكسوتهن بالمعروف ؛ وإنما النساء عندكم عَوَانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ؛ فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا [ألا هل بلّغت ، اللهم اشهد !] .

أيها الناس ؛ إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد ! فلا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض ؛ فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلُّوا [بعده] كتاب الله وأهل بيتى ، ألا هل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس ، إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ؛ كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ؛ ليس لعربىّ على عجمى فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس ، إنّ الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ؛ ولا يجوز لوارث وصية فى أكثر من الثُّلث ؛ والولد للفراش وللعاهر الحجر ؛ من دُعىَ إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرفا ولا عدلا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

خطب أبى بكر

وخطب أبو بكر يوم السقيفة : أراد عمرُ الكلام ، فقال له أبو بكر : على رِسْلِك . ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاما ، وأكرمهم أحسابا ، وأوسطهم دارا ، وأحسنهم وجوها ، وأكثر الناس ولادةً فى العرب ، وأمسّهم رحِما برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أسلمْنا قبلكم ، وقدّمنا فى القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : ﴿ والسابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسانٍ ﴾ ؛ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، إخواننا فى الدين ، وشركاؤنا فى الفىء ، وأنصارنا على العدوّ ؛ آويتم وواسيتم ، فجزاكم الله خيرا ،

فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لاتدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ؛ فلا تنْفَسُوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضا حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إني قد وُلِّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حقٍّ

٥ فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني ؛ أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم . ألا إنّ أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفَكم عندي القويُّ حتى آخذَ الحق منه ! أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

وخطب أخرى . فلما حمد الله بما هو أهله ، وصلى على نبيه عليه الصلاة

١٠ والسلام ، قال :

إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك !

فرفع الناسُ رُءوسَهم ، فقال :

مالكم أيها الناس ؟ إنكم لطعانون عَجِلون ، إن من الملوك من إذا مَلَك زَهَّده الله فيما بيده ، ورَغَّبه فيما بيد غيره ، وانتقصه شطرَ أجله ، وأشرَب قلبه

١٥ الإشفاق ، فهو يحسد على القليل ، ويسخط على الكثير ، ويسأم الرخاء وتنقطع عنده لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ، ولا يسكن إلى الثقة ، فهو كالدرهم القَسِيّ والسراب الخادع ، جذِل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسُه ، ونضب عُمرُه ، وضحا ظله ، حاسبه الله ، فأشدّ حسابَه ، وأقلّ عفوَه . ألا وإن الفقراء هم المرحومون ! ألا إن من آمن بالله حكم بكتابه وسُنّة نبيه صلى الله عليه وسلم

٢٠ وإنكم اليوم على خلافة نبوة ، ومفرق محجة ، وسترون بعدي مُلكا عضوضا ، ومَلِكا عَنودا ، وأمة شَعاعا ، ودما مباحا ؛ فإن كانت للباطل نزوة ، ولأهل الحق جولة ، يعفو لها الأثر ، ويموت لها الخبر ، فالزموا المساجد ، واستشيروا القرآن واعتصموا بالطاعة ، وليكن الإبرام بعد التشاور ، والصفقة بعد طول التناظر ، أي بلاد خَرْشَنَة إن الله سيفتح لكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأومن به ، وأتوكل عليه وأستهدى الله بالهدى ، وأعوذ به من الضلالة والردى ، ومن الشك والعمى ؛ من يهد الله فهو المهتدى ، ومن يُضلِل فلن تجد له وليا مرشداً ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، يعزّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق لِيُظهره على الدين كله ولو كره المشركون ـ إلى الناس كافة ، رحمةً لهم وحجة عليهم ، والناس حينئذ على شر حال فى ظلمات الجاهلية ، دينُهم بِدعة ، ودعوتُهم فرية ، فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون : فأطيعوا الله ورسوله ، فإنه قال عز وجل : ﴿من يُطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾ .

أما بعد أيها الناس : إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كلّ أمر وعلى كل حال ولزومِ الحق فيما أحببتم وكرهتم ؛ فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير ، من يكْذِب يفجُر ، ومن يفجُر يهلِك ، وإياكم والفخرَ ؛ وما فَخْرُ مَن خُلِقَ من تراب وإلى التراب يعود ، هو اليومَ حى وغداً مَيّتٌ ! فاعملوا وعُدُّوا أنفسكم فى الموتى ، وما أشْكَلَ عليكم فرُدُّوا عِلمَهُ إلى الله ، وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه مُحْضَراً ، فإنه قال عز وجل : ﴿يومَ تَجِدُ كل نفسٍ ما عمِلَتْ من خَيرٍ مُحضَراً وما عَمِلتْ من سُوءٍ تَوَدُّ لو أنّ بيْنَها وبيْنهُ أمَداً بعيدا ، ويُحذِّرُكم الله نفسَهُ ، والله رءوفٌ بالعبادِ﴾ فاتقوا الله عبادَ الله وراقبوه ، واعتبروا بمن مضى قبلكم ، واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم ، صغيرِها وكبيرِها ، إلا ما غفر الله ، إنه غفورٌ رحيم ، فأنفسَكم أنفسَكم والمستعانُ الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إنّ الله وملائكتَه يُصَلونَ على النبيِّ ، يا أيُّها الذينَ آمنوا صَلُّوا عليهِ وسَلِّموا تسْليما﴾

اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، أفضل ما صليتَ على أحدٍ من خلقك ؛ وزكّنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشرنا فى زمرته ، وأوردْنا حوضه اللهم أعِنّا على طاعتك ، وانصرنا على عدوّك

وخطب أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أُوصيكم بتقوى الله ، وأن تُثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تَخْلِطُوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة ؛ فإن الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته ، فقال : ﴿إنّهم كانوا يُسارِعُونَ فى الخَيْرَاتِ ويدعُوننا رَغَباً ورهَباً وكانوا لنا خاشِعين﴾ ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقَكم ، وعوّضكم بالقليل الفانى الكثيرَ الباقى ، وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبُه ، ولا يُطفأ ١٠ نورهُ ، فثِقُوا بقوله ، وانتَصِحوا كتابه واستبصروا فيه ليوم الظلمة ، فإنه خلقكم لعبادته ، ووَكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون . ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجلٍ قد غُيِّب عنكم علمُه ، فإن استطعتم أن [لا] تنقضى الآجالُ [إلا] وأنتم فى عمل لله [فافعلوا] ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ـ فسابقوا فى مَهَل بأعمالكم ، قبل أن تنقضىَ آجالكم فتردّكم إلى سوء أعمالكم ، فإن أقواما ١٥ جعلوا آجالهم لغيرهم [ونسوا أنفسهم] ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ؛ فالوحَى الوحى والنجاء النجاء ؛ فإن وراءكم طالبا حثيثا مَرُّه ، سريعا سيرُه .

خطب عمر بن الخطاب

رضى الله عنه

وخطب عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

٢٠ أيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أُبىَّ بنَ كعب ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت مُعاذَ بن جبل ، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتنى ؛ فإن الله جعلنى له خازنا وقاسما : إنى بادئ بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ، ثم المهاجرين

الأولين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، أنا وأصحابى ثم بالأنصار الذين
تبوءوا الدار والإيمـان من قبلهم ، ثم من أسْرَعَ إلى الهجرة أسرع إليه العطاء،
ومن أبطأ عن الهجرة أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجلٌ إلا مُناخ راحلته . إنى
قد بقيتُ فيكم بعد صاحبى، فابتُليتُ بكم وابتليتُم بى ، وإنى لن يحضُرَنى من أموركم
شيء فأكله إلى غير أهل الجزاء والأمانة ، فلئن أحسنوا لأُحسِنَنَّ إليهم ، ولئن ٥
أساءوا لأُنكِّلَنَّ بهم .

وخطب أيضا فقال :

الحمد لله الذى أعزنا بالإسلام ، وأكرمنا بالإيمـان ، ، ورحِمَنا بنبيه صلى الله
عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ،
ونصرنا على عدونا ، ومَكن لنا فى البلاد ، وجعلنا به إخواناً متحابين ؛ فاحمدوا ١٠
الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فإن الله قد صَدقكم الوعد
بالنصر على من خالفكم ؛ وإياكم والعمل بالمعاصى وكفرَ النعمة ، فقلمـا كفر قوم
بنعمة ولم ينزعوا إلى التوبة إلا سُلبوا عزّهم وسُلِّط عليهم عدوُّهم .

أيها الناس : إن الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها وأظهر فلجها ونصرها
وشرفها ، فاحمدوه عباد الله على نعمه ، واشكروه على آلائه : جعلنا الله وإياكم ١٥
من الشاكرين .

وخطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أيهـا الناس ؛ تعلموا القرآن [تُعرفوا به] ، واعملوا به تكونوا من أهله ؛
واعلموا أنه لم يبلغ من حق مخلوق أن يطاع فى معصية الخالق [ألا وإنى أنزلت
نفسى من مال الله بمنزلة والى اليتيم ، وإن استغنيتُ عفَفْت ، وإن افتقرتُ أكلت ٢٠
بالمعروف ، تَقَرُّمَ البَهْمَةِ الأعرابية] ، القضمَ دون الخضم .

وخطبة له أيضا :

أيهـا الناس ؛ إنه قد أتى علىّ زمان وأنا أرى أن قراءة القرآن [إنمـا]
تريدون به الله عز وجل وما عنده ؛ [ألا وإنه قد] خُيِّل إلىّ أن قوما قرءوه

إذ يتنزل الوحى وإذ رسول الله بين أظهرنا ينبئنا من أخباركم؛ فقد انقطع الوحى وذهب النبي. فإنما نعرفكم بما أقول لكم: ألا من رأينا منه خيراً ظننا به خيرا وأحببناه عليه، ومن رأينا منه شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه؛ سرائركم بينكم وبين ربكم؛ ألا وإنى إنما أبعث عمالى ليُعَلّموكم دينَكم وسُنّتَكم، ولا أبعثهم ٥ ليضربوا ظهوركم ويأخذوا أموالكم: ألا من رابه شيء من ذلك فليرفعه إلىّ، فوالذى نفسى بيده لأقِصَّنّكم منه.

فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت أن بعثتَ عاملا من عُمالك فأدب رجلا من رعيتك فضربه، أتقصّه منه؟

قال: نعم، والذى نفس عمر بيده لأقصنّه منه؛ فقد رأيت رسول الله صلى ١٠ الله عليه وسلم يقصّ من نفسه.

وخطب أيضاً فقال: أيها الناس اتقوا الله فى سريرتكم وعلانيتكم، وأْمُروا بالمعروف وٱنْهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا فى سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه، فنظر إليه أصحابه فمنعوه، فقال: هو موضعى ولى أن أحكم فيه، فإن أخذوا على يده سَلِم وسَلِموا، وإن تركوه هَلَكَ وهَلَكوا معه! وهذا ١٥ مثلٌ ضربتُه لكم. رحمنا الله وإياكم.

وخطب عام الرَّمادة بالعباس رحمه الله:

حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال:

أيها الناس، استغفروا ربكم إنه كان غفارا، اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك اللهم إنا نتقرب إليك بعمّ نبيك وبقية آبائه وكبار رجاله، فإنك تقول وقولك ٢٠ الحق ﴿وأمّا الجدارُ فكانَ لِغلامَيْنِ يَتيمَيْنِ فى المدينةِ وكانَ تَحتهُ كَنْزٌ لهما وكان أبوُهما صالحاً﴾: فحفظتهما لصلاح أبيهما؛ فاحفظ اللهم نبيّك فى عمه: اللهم آغفر لنا إنك كنت غفارا، اللهم أنت الراعى لا تُهمل الضالّة، ولا تدع الكسيرة بمَضْيَعَة، اللهم قد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم

السرّ وأخفى ؛ اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا ييأس من روْح اللهِ إلا القومُ الكافرون .

فما برحوا حتى علّقوا الحذاء ، وقلصوا المآزر ، وطفق الناس بالعباس يقولون : هنيئا لك يا ساقى الحرمين .

وخطب إذ ولى الخلافة : ٥

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أيها الناس ، إنى داعٍ فأمِّنوا : اللهم إنى غليظ فَلَيِّنّى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغِلْظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلمٍ منى لهم ، ولا اعتداءٍ عليهم ؛ اللهم إنى شحيح فسخّنى فى نوائب المعروف ، قصدا من غير سَرَف ولا تبذير ، ولا رياء ١٠ ولا سمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدر الآخرة ؛ اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إنى كثير الغفلة والنسيان ، فألهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين ؛ اللهم إنى ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون إلا بعوْنك وتوفيقك ؛ اللهم ثبّتنى باليقين والبرّ والتقوى ، وذِكر المقام بين يديك والحياء ١٥ منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ؟ والمحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات ؛ اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ؛ إنك على كل شى قدير .

وكان آخر كلام أبى بكر الذى إذا تكلم به عُرف أنه قد فرغ من خطبته : ٢٠

اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك .

وكان آخر كلام عمر الذى إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته :

اللهم لا تدعْنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غِرّة ، ولا تجعلنى من الغافلين .

خطبة عثمان بن عفان

رضى الله عنه

ولما ولى عثمان بن عفان قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وتشهد ، ثم أُرتِجَ عليه ؛ فقال :

٥ أيها الناس ، إن أول كل مركب صعب ، وإنْ أعِشْ فستأتيكم الخُطَب على وجهها ، وسيجعل الله بعد عسر يسرا .

خطب على بن أبى طالب

كرم الله وجهه

خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه أول خطبة خطبها

١٠ بالمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه عليه الصلاة والسلام ثم قال :

أيها الناس : كتابَ الله وسُنَّة نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أما بعد : فلا يَدَّعِيَنَّ مُدَّعٍ إلا على نفسه ، شُغِل مَن الجنةُ والنار أمامَه . ساع نَجا ، وطالبٌ يرجو ، ومقصِّر فى النار : [ثلاثة ؛ واثنان] : ملَك طار بجناحيه ، ونبى أخذ الله بيده ، لا سادس . هلك من ادعى ، ورَدِى من اقتحم . اليمين والشمال مَضلة ، والوسطى

١٥ والجادَّة : منهج عليه أم الكتاب والسنة وآثار النبوة ؛ إن الله داوى هذه الأمة بدواءين : السوط والسيف ، فلا هوادة عند الإمام فيهما ، استتروا ببيوتكم ، وأصلحوا ذات بينكم ؛ فالموت من ورائكم . من أبدى صفحته للحق هلك . قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمودين . أما إنى لو أشاء أن أقول لقلت . عفا الله عما سلف . سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب ، همته بطنه ، ويله ! لو قص

٢٠ جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له ! انظروا ، فإن أنكرتم فأنكروا ، وإن عرفتم فآزِرُوا بحق وباطل ، ولكلٍّ أهل ؛ ولئن أَمِرَ الباطل لقديما فعل ، ولئن قل الحق لربما ولعل : ولقلما أدبر شىء فأقبل ؛ ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإنى لأخشى أن تكونوا فى فترة ، وما علينا إلا الاجتهاد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه :

ألا إن الأبرار عترتى ، وأطايب أرومتى ، أحلَم الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا ؛ ألا وإنا أهل البيت مِن عِلْم اللهِ عِلمنا وبحكْم الله حَكمنا ، ومن قوْلِ صادقٍ سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ، [وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا] معنا راية الحق ، من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق . ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن ٥ وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم ، وبنا فُتح وبنا يختم .

وخطبة له أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله ولزوم طاعته وتقديم العمل ، وترك الأمل ؛ فإنه من فَرَّط فى عمله لم ينتفع بشىء من أمله ، أين التَّعِب بالليل والنهار ، ١٠ المقتحم لِلَجج البحار ومفاوز القفار ، يسير من وراء الجبال وعالج الرمال ، يصل الغدو بالرواح ، والمساء بالصباح ، فى طلب محقرات الأرباح ؛ هجمت عليه منيتُه ، فعظمَت بنفسه رزيتُه ؛ فصار ما جمع بُورا ؛ وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسوراً :

أيها اللاهى الغارّ بنفسه ، كأنى بك وقد أتاك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ، ١٥ ولا يهاب لك حجابا ، ولا يقبل منك بديلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ، ولا يرحم لك صغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يؤديّك إلى قعر مظلمة ، أرجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية ! أين من سعى واجتهد ؛ وجمع وعدّد ، وبنى وشيَّد ؛ وزخرف ونجَّد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتع ؟ أين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؟ أضحوا رفاتا ! تحت الثرى أمواتا ، وأنتم بكأسهم شاربون ، ٢٠ ولسبيلهم سالكون .

عباد الله ! فاتقوا الله وراقبوه ، واعملوا لليوم الذى تسير فيه الجبال ، وتشقّق السماء بالغمام ، وتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل ؛ فأى رجل يومئذ تراك ؟ أقائل هاؤم اقرءوا كتابيه ! أم : ياليتنى لم أوت كتابيه ! نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته

أن يقينا سخطه ؛ إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وخطبة له أيضا :

الحمد لله الذى استخلص الحمدَ لنفسه ، واستوجبه على جميع خلقه ، الذى ناصية كلِّ شىء بيده ، ومصير كل شىء إليه ، القوىِّ فى سلطانه ، اللطيف فى جبروته ، لا مانع لما أعطى ، ولا معطىَ لما منع ، خالق الخلائق بقدرته ، ومسخِّرهم بمشيئته ، وفىِّ العهد ، صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب ؛ أحمده وأستعينه على ما أنعم به مما لا يَعرف كنهه غيره ؛ وأتوكل عليه توكُّل المتسلم لقدرته ، المتبرى من الحول والقوّة إليه ؛ وأشهد شهادةً لا يشوبها شك أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، إلٰهاً واحداً صَمَدا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ولم يكن له شريك فى الملك ، ولم يكن له ولىٌّ من الذل وكبِّره تكبيرا ، وهو على كل شىء قدير ، قطَع ادّعاء المدّعى بقوله عز وجل : ﴿ وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلا ليعبدون ﴾ ؛ وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم صفوتُه من خلقه ، وأمينه على وحْيه ، أرسله بالمعروف آمرا ، وعن المنكر ناهيا ، وإلى الحق داعيا ؛ على حين فترة من الرسل ، وضلالةٍ من الناس ، واختلافٍ من الأمور ، وتنازع من الألسن ، حتى تمم به الوحى ، وأنذر به أهل الأرض .

أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيل إلى كل نجاة ؛ فكأنكم بالجثث قد زايلتها أرواحُها ، وتضمنتها أجداثها ، فلن يستقبل معمّر منكم يوما من عمره إلا بانتقاص آخرَ من أجله ، وإنما دنياكم كفىْء الظل أو زاد الراكب ؛ وأُحذّركم دعاء العزيز الجبار عبدَه ، يوم تعفى آثاره ، وتُوحش منه دياره ، وييتّم صغاره ، ثم يصير إلى حفير من الأرض ، متعفراً على خده ، غير موسد ولا ممهد ؛ أسأل الذى وعدنا على طاعته جنته ، أن يقينا سخطه ، ويجنِّبنا نقمته ، ويهب لنا رحمته . إنّ أبلغ

الحديث كتاب الله .

وخطبة له رضى الله عنه :

أمّا بعد ؛ فإنّ الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع ، وإنّ الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطّلاع ، وإنّ المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا وإنكم فى أيام أمل من ورائه أجل ؛ فمَن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله ، نفَعه عمله ولم يضره أمله ؛ ومَن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله وضره أمله ؛ ألا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها ؛ [ألا وإنه من لا ينفعْه الحقّ يضرُرْه الباطل ، ومن لم يستقم به الهدى يجُرّ به الضلال إلى الرَّدى] ؛ ألا وإنكم قد أُمرتم بالظعن ، ودُللتم على الزاد ، وإن أخْوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

وخطبة له : قالوا ولما أغار سفيان بن عوف الأزْدى على الأنبار فى خلافة على رضى الله عنه ، وعليها [ابن] حسان البكرى ، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها ، فخرج على رضى الله عنه حتى جلس على باب السُّدَّة ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمّا بعد ؛ فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل وشَمْلَة البلاء ، وألزمه الصغار ، وسامه الخسف ، ومنعه النَّصف ؛ ألا وإنى دعوْتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا ، وسرا وإعلانا ، وقلت لكم : اغزوهم قبل أن يغزوكم ، فوالله ما غزى قوْم قط فى عُقر دارهم إلا ذلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم ، وثقل عليكم قولى فاتخذتموه وراءكم ظهريا ؛ حتى شُنَّت عليكم الغارات ؛ وهذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل ابن حسان البكرى ؛ وأزال خيلكم عن مسالحها ؛ وقتل منكم رجالا صالحين ، وقد بلغنى أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهِدة ، فينزع حِجلها وقلبها ورعاثها ، ثم انصرفوا وافرين ما كُلِم رجل منهم ؛ فلو أنّ

رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندى ملوما ، بل كان به عندى جديرا ؛ فواعجباً من جِدّ هؤلاء فى باطلهم وفشلكم عن حقكم ؛ فقبحاً لكم وترحا حين صرتم غرضا يُرمَى ؛ يُغار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تَغزون ، ويُعصى الله وترضون : فإذا أمرتكم بالمسير إليهم فى أيام الحر ، قلتم : حَمارّة

٥ القيظ ؛ امهلنا حتى ينسلخ عنا الحر ! وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى فى الشتاء ، قلتم : [صَبارّة القُرّ] أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القر ! كل هذا فراراً من الحر والقر ؛ فأنتم والله من السيف أفر ! يا أشباه الرجال ولا رجال ! ويا أحلام أطفال وعقول ربات الحجال ! وددت أنّ الله أخرجنى من بين أظهركم ، وقبضنى إلى رحمته من بينكم ، وأنى لم أركم ولم أعرفكم ! معرفةً والله جرّت وهنا ! [لقد

١٠ ملأتم قلبى قيحا] وورّيتم والله صدرى غيظا ، وجرعتمونى الموت أنفاسا ، وأفسدتم علىّ رأيى بالعصيان والخذلان ، حتى قالت قريش : إنّ ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ! لله أبوهم ! وهل منهم أحد أشد لها مراسا وأطولُ تجربة منى ؟ لقد مارستها وأنا ابن عشرين ، فها أنا ذا الآن قد نيّفت على الستين ، ولكن لا رأى لمن لا يُطاع !

١٥ وخطبة له رضى الله عنه ، قام فيهم فقال :

أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ! كلامكم يوهى الصم الصّلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوّكم : تقولون فى المجالس كيت وكيت ؛ فإذا جاء القتال قلتم : [حِيدى] حياد ما عزت دعوة من دعاكم ؛ ولا استراح قلب من قاساكم ؛ أعاليل بأباطيل ؛ وسألتمونى التأخير ؛ دفاعَ ذى الدَّين المطول ؛

٢٠ ألا [لا] يدفع الضيمَ الذليل ، ولا يُدرَك الحقُّ إلا بالجد . أىّ دار بعد داركم تمنعون ؟ أم مع أى إمام بعدى تقاتلون ؟ المغرورُ والله من غررتموه ؛ ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيَب ! أصبحت والله لا أصدّق قولكم ؛ ولا أطمع فى نُصْرتكم ؛ فرّق الله بينى وبينكم ، وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم ! وددت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم ، صرْف

الدينار بالدرهم !

وخطب إذ استنفر أهل الكوفة لحرب الجمل ، فأقبلوا إليه مع ابنه الحسن رضى الله عنهم ، فقام فيهم خطيباً فقال :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآخر المرسلين ، أمّا بعد ؛ فإنّ الله بعث محمداً عليه الصلاة والسلام إلى الثقلين كافة ، والناسَ فى اختلاف ، والعرب بشرّ المنازل ، مستضيئون للشاءات بعضهم على بعض ، فرأب الله به الثَّأى ، ولأم به الصدع ، ورتق به الفتق ، وأمّن به السبل ، وحقن به الدماء ، وقطع به العداوة الواغرة للقلوب ، والضغائن المخشنة للصدور ؛ ثم قبضه الله عز وجل مشكوراً سعيه ، مرضيًا عمله ، مغفوراً ذنبه ، كريمًا عند ربه نُزُله ؛ فيالها مصيبة عمّت المسلمين ، وخصّت الأقربين ؛ وولى أبو بكر ، فسار بسيرة رضيها المسلمون ؛ ثم ولى عمر ، فسار بسيرة أبى بكر رضى الله عنهما ؛ ثم ولى عثمان ، فنال منكم ونلتم منه ، حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموه فقتلتموه ، ثم أتيتمونى فقلتم لى : بايعنا ! فقلت لكم : لا أفعل ! وقبضت يدى فبسطتموها ، ونازعتم كفى فجذبتموها ، وقلتم : لا نرضى إلا بك ، ولا نجتمع إلا عليك ! وتداككتم علىّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها ، حتى ظننت أنكم قاتلىّ ، وأنّ بعضكم قاتل بعض ؛ فبايعتمونى ، وبايعنى طلحة والزبير ، ثم مالبثا أن استأذنانى للعمرة فسارا إلى البصرة فقتلا بها المسلمين وفعلا الأفاعيل ، وهما يعلمان والله أنىْ لست بدون واحدٍ ممن مضى ، ولو أشاء أن أقول لقلت ؛ اللهم إنهما قطعا قرابتى ، ونكثا بيعتى ، وألبا علىّ عدوّى ؛ اللهم فلا تُحكم لهما ما أبرما ، وأرهما المساءة فيما عملا وأملا !

ومما حفظ عنه بالكوفة على المنبر : قال نافع بن كليب : دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، فإنى لجالس تحت منبره ، وعليه عمامة سوداء ، وهو يقول : انظروا هذه الحكومة ، فمن دعا إليها فاقتلوه وإن كان

تحت عمامتى هذه ! فقال له عدى بن حاتم : قلت لنا أمس : من أبى عنها فاقتلوه . وتقول لنا اليوم : من دعا إليها فاقتلوه ! والله ماندرى ما نصنع بك ؟ وقام إليه رجل أحدب من أهل العراق فقال : أمرت بها أمس وتنهى عنها اليوم ، فأنت كما قال الأول : آكلك وأنا أعلم ما أنت . فقال على : إلى يقال هذا .

٥ أصبحتُ أذكرُ أرحاماً وآصرةً ۞ بُدلتُ منها هَوِىّ الرِّيحِ بالقَصَبِ

أما والله لو أنى حين أمرتكم بما أمرتكم به ، ونهيتكم عما نهيتكم عنه ، حملتكم على المكروه الذى جعل الله عاقبته خيرا إذا كان فيه ، لكانت الوثق التى لا تقلع ، ولكن بِمَنْ ؟ وإلى مَن ؟ [أريد أن] أداوى بكم [وأنتم دائى] ؛ إنى والله بكم كناقِش الشّوكة بالشوكة ، ياليت لى بعض قومى وليت لى من بعد ١٠ خير قومى ، اللهم إن دجلة والفرات نهران أعجمان أصمان أبكمان ، اللهم سلط عليهما بحرك ، وانزع منهما بصرك ؛ ويل للنَّزَعة يا أشطان الرُّكِىّ ! [أين الذين] دُعوا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرءوا القرآن فأحسنوه ، ونطقوا بالشعر فأحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولِهُوا [وَلَهَ] اللقاح [إلى] أولادها ، وسلبوا السيوف أغمادها ضرباً ضربا ، [وأخذوا بأطراف الأرض] زحفا زحفا ، لا يتباشرون ١٥ بالأحياء ، ولا يُعزَّون على القتلى ولا يغيرون على العلى .

أُولئكَ إخوانِى آلذاهبُونَ ۞ فحقَّ البُكاءِ لَهُمْ أنْ يَطيبا

رُزِقتُ حبيبـاً على فاقةٍ ۞ وفارقْتُ بعدَ حبيبٍ حبيبا !

ثم نزل تدمع عيناه ؛ فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون على ما صرت إليه ! فقال : نعم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ! أقوّمهم والله غدوة ويرجعون إلىّ عشية مثل ظهر ٢٠ الحية ، حتى متى ؟ وإلى متى ؟ حسبى الله ونعم الوكيل !

وهذه خطبته الغراء ، رضى الله عنه :

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المنفرد ، الذى لا مِن شىء كان ولا من شىء خُلق إلا وهو خاضع له ؛ قدرةً بان بها من الأشياء وبانت الأشياء منه ،

فليست له صفة تنال ، ولا حدٌّ يضرب له فيه الأمثال ، كلّ دون صفته تحبيرُ اللغات ، وضلت هناك تصاريفُ الصفات وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير ، وانقطعت دون علمه جوامعُ التفسير ، وحالت دون غيبه حُجُبٌ تاهت فى أدنى دنوّها طامحاتُ العقول ؛ فتبارك الله الذى لا يبلغه بُعدُ الهمم ، ولا يناله غوص الفطن ؛ وتعالى الذى ليس له نعت موجود ، ولا وقت محدود ، وسبحان الذى ليس له أول مُبتدأ ، ولا غاية منتهى ، ولا آخر يفنى ؛ وهو سبحانه كما وصف نفسه ، والواصفون لا يبلغون نعته ؛ أحاط بالأشياء كلها علمه وأتقنها صنعُه ، وذللها أمره ، وأحصاها حفظُه ؛ فلا يعزب عنه غيوب الهوى ، ولا مكنونُ ظلم الدجى ، ولا ما فى السموات العلى إلى الأرض السابعة السفلى ؛ فهو لكل شىء منها حافظ ورقيب ، أحاط بها الأحدُ الصمد الذى لم تغيّره صروف الأزمان ، ولا يتكاده صنعُ شىء منها كان ؛ قال لما شاء أن يكون : كن ! فكان ؛ ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ، ولا تعب ولا نصب ؛ وكل عالم من بعد جهلٍ يعلم ، والله لم يجهل ولم يتعلم ؛ أحاط بالأشياء كلها علماً ، ولم يزدد بتجربتها خُبرا ؛ علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينها ؛ لم يكوّنها لتسديد سلطان ، ولا خوف زوال ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مناوئ ، ولا ند مكاثر ، ولكن خلائق مربوبون ، وعباد آخرون ، فسبحان الذى لا يئودُه خلق ما ابتدأ ، ولا تدبير ما برأ ، خلق ما علِم ، وعلِم ما أراد ، ولا يتفكر على حادث أصاب ، ولا شبهة دخلت عليه فيما أراد ، لكن قضاءٌ مُتقَن ، وعلمٌ محكم ، وأمرٌ مُبرَم ، توحّد بالربوبية ، وخص نفسه بالوحدانية ، فلبس العز والكبرياء ، واستخلص المجد والسناء ، واستكمل الحمد والثناء ؛ فانفرد بالتوحيد ، وتوحد بالتمجيد ؛ فجل سبحانه وتعالى عن الأبناء وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء ؛ فليس له فيما خلق نِدّ ، ولا فيما ملك ضدّ ، هو الله الواحد الصمد ، الوارث للأبد الذى لا يبيد ولا ينفد ، مَلك السموات العلى ، والأرَضين السفلى ، ثم دنا

فعلا . وعلا فدنا ، له المثل الأعلى ، والأسماء الحسنى ، والحمد لله رب العالمين ؛
ثم إن الله تبارك وتعالى ـ سبحانه وبحمده ـ خلق الخلق بعلمه ثم اختار منهم
صفوته ، واختار من كل خيار صفوته أمناء على وحيه ، وخزنةً له على أمره ،
إليهم ينتهى رسله ، وعليهم ينزل وحيه ، جعلهم أصفياء ، مصطفين أنبياء ، مهديين
٥ نجباء ؛ آستودعهم وأقرهم فى خير مستقَر ، تناسختهم أكارم الأصلاب ، إلى
مطهّرات الأمهات ، كلما مضى منهم سلف انبعث لأمره منهم خلف ، حتى انتهت
نبوّة الله وأفضت كرامتُه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأخرجه من أفضل المعادن
محتداً ، وأكرم المغارس منبتا ، وأمنعها ذروة ، وأعزها أرومة ، وأوصلها مكرمة
من الشجرة التى صاغ منها أمناء ، وانتخب منها أنبياء ، شجرة طيبة العود ، معتدلة
١٠ العمود ، باسقة الفروع ، مخضرة الأصول والغصون ، يانعةَ الثمار ، كريمة
المجتنَى ، فى كرم نبتتْ ، وفيه بسقت وأثمرت ، وعزت فامتنعت ، حتى أكرمه
الله بالروح الأمين ، والنور المبين ، ختم به النبيين ، وأتم به عدة المرسلين ،
[وجعله] خليفته على عباده ، وأمينه فى بلاده ؛ زينه بالتقوى وآثارِ الذكرى ؛
وهو إمام من اتقى ، ونصرُ مَن آهتدى ، سراجٌ لمعَ ضوءه ، وزَند برقَ لمعه ،
١٥ وشهابٌ سطع نوره ؛ فاستضاءت به العباد ، وآستنارت به البلاد ؛ وطوى به
الأحساب فأزجى به السحاب ، وسخر له البراق حتى صافحته الملائكة ، وأذعنت له
الألسنة ، وهدم به أصنام الآلهة ، سِيرته القَصد ، وسُنته الرشد ؛ وكلامُه فصل ،
وحكمه عدل ؛ فصدع صلى الله عليه وسلم بما أمره به ، حتى أفصح بالتوحيد
دعوته ؛ وأظهر فى خلقه لا إله إلا الله ، حتى أذعن له [الخلقُ] بالربوبية ،
٢٠ وأقر له بالعبودية والوحدانية ؛ اللهم نخصَّ محمداً بالذكر المحمود . والحوض
المورود . اللهم آت محمداً الوسيلة والرفعة والفضيلة ، واجعل فى المصطفَيْن محلته ،
وفى الأعلين درجته ، وشرِّف بنيانه وعظِّم برهانه ، واسقنا بكأسه ، وأوردنا
حوضه ، واحشرنا فى زمرته ، غير خزايا ولا ناكثين ولا شاكين ولا مرتابين

ولا ضالين ولا مفتونين ولا مُبدلين ولا حائدين ولا مضلين ؛ اللهم أعط محمداً
من كل كرامة أفضلها ، ومن كل نعيم أكمله ، ومن كل عطاء أجزله ، ومن كل قسم
أتمه ؛ حتى لا يكون أحد من خلقك أقربَ منك مكاناً ، ولا أحظى عندك منزلة
ولا أقرب إليك وسيلة ، ولا أعظم عليك حقا ـ ولا شفاعة ، من محمد ؛ واجمع
بيننا وبينه فى ظل العيش ، وبرد الرَّوْح ، وقرة الأعين ، ونضرة السرور ، وبهجة ٥
النعيم ؛ فإنا نشهد أنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة والنصيحة ، واجتهد للأمة .
وجاهد فى سبيلك . وأوذى فى جنبك ولم يَخَف لومة لائم فى دينك . وعَبدَك
حتى أتاه اليقين ، إمام المتقين ، وسيد المرسلين ، وتمـام النبيين ، وخاتم المرسلين
ورسول رب العالمين ؛ اللهم رب البيت الحرام ، ورب البلد الحرام ، ورب الركن
والمقام ، ورب المشعر الحرام ؛ بلِّغ محمداً منا السلام ؛ اللهم صل على ملائكتك ١٠
المقربين ، وعلى أنبيائك المرسلين ، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين ، وصلى الله على
أهل السموات وأهل الأرضين من المؤمنين .

وخطبته الزهراء :

الحمد لله الذى هو أول كل شىء ووليه ، وكل شىء خاشع له ، وكل شىء قائم به ،
وكل شىء ضارعٌ إليه ، وكل شىء مستكين له ؛ خشعت له الأصوات ، وكلَّت دونه ١٥
الصفات ، وضلت دونه الأوهام ، وحارت دونه الأحلام ، وانحسرت دونه الأبصار
لا يقضى فى الأمور غيره ، ولا يتم شىءٌ منها دونه ، سبحانه ما أجل شأنه ، وأعظم
سلطانه ! تُسبح له السموات العلى ، ومن فى الأرض السفلى ، له التسبيح والعظمة ،
والملك والقدرة ، والحولُ والقوة ، يقضى بعلم ويعفو بحلم ؛ قوةُ كلِّ ضعيف ، ومفزع
كل ملهوف وعِزُّ كلِّ ذليل ، وولىُّ كل نِعمة ، وصاحب كلِّ حسنة ، وكاشفُ كل كربة ٢٠
المُطَّلع على كل خفِيَّة ، المحصِى كلَّ سريرة ، يعلم ما تُكِنُّ الصدور ، وما تُرْخَى عليه
الستور ؛ الرحيم بخلقه ، الرؤف بعباده ؛ من تكلم منهم سمع كلامه ، ومن سكت منهم
عَلم مافى نفسه ، ومن عاش منهم فعليه رِزْقه ، ومن مات منهم فإليه مصيره ؛
أحاط بكل شىء علمُه وأحصى كل شىء حفظُه ، اللهم لك الحمد عدد ماتحيى

وتُميت ، وعدد أنفاس خلقك ولفظهم ولحظِ أبصارهم ، وعدد ما تجرى به الريح وتحمله السحاب ، ويختلف به الليل والنهار ، ويسير به الشمس والقمر والنجوم - حمداً لا ينقضى عدده ، ولا يفنى أمده : اللهم أنت قبل كل شيء ، وإليك مصير كل شيء ، وتكون بعد هلاك كل شيء وتبقى ويفنى كلُّ شيء ، وأنت وارثُ كلّ ٥ شيء ، أحاط علمُك بكلّ شيء ، وليس يُعجزُك شيء ، ولا يتوارى عنك شيء ، ولا يقدر أحد قدرتَك ، ولا يشكرك أحد حقَّ شكرك ، ولا تهتدى العقول لصفتك ، ولا تبلغ الأوهام حدك : حارت الأبصار دون النظر إليك ، فلم ترك عينٌ فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت . لا نعلم اللهم كيف عظمتُك ، غير أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم ، لا تأخذك سِنَةٌ ولا نوم ، لم ينته إليك نظر ، ولم يُدرِكْكَ ١٠ بصر ، ولا يقدر قدرتَك ملَكٌ ولا بشَر ؛ أدركت الأبصار ، وكتبت الآجال ، وأحصيت الأعمال ، وأخذت بالنواصي والأقدام ، لم تخلق الخلق لحاجة ولا لوحشة ملأت كلَّ شيء عظمة ، فلا يُردُّ ما أردت ، ولا يعطَى ما منعت ، ولا ينقُص سلطانك من عصاك ، ولا يزيد فى ملكك من أطاعك ؛ كلُّ سرّ عندك علمُه ، وكل غيب عندك شاهده ؛ فلم يستتر عنك شيء ، ولم يشغلك شيء عن شيء ، وقدرتُك ١٥ على ما تقضى . كقدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى كقدرتك على الضعيف وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات : فإليك المنتهى وأنت الموعد ، لا منجى إلا إليك ؛ بيدك ناصيةُ كل دابة ، وبإذنك تسقط كلُّ ورقة ؛ لا يعزب عنك مثقال ذرة ؛ أنت الحيُّ القيوم ؛ سبحانك ! ما أعظم ما يُرى من خلقك ! وما أعظم ما يُرى من ملكوتك ! وما أقلهما فيما غاب عنا منه ! وما أسبغ نعمتَك ٢٠ فى الدنيا وأحقرها فى نعيم الآخرة ! وما أشد عقوبتك فى الدنيا وما أيسرها فى عقوبة الآخرة ! وما الذى نرى من خلقك ، ونعتبر من قدرتك . ونصف من سلطانك فيما يغيب عنا منه مما قصُرت أبصارُنا عنه وكانت عقولنا دونه ، وحالت الغيوب بيننا وبينه ، فمن فرغ سنه وأعمل فكره كيف أقمت عرشك ، وكيف ذرأت خلقك ، وكيف علقت فى الهواء سمواتك ، وكيف مددت أرضك - يرجعْ

طرْفُهُ حاسراً، وعقلُه مبهوراً ، وسمعه والها ، وفكرُه متحيراً ؛ فكيف يُطلب علم ما قبل ذلك من شأنك إذ أنت وحدك فى الغيوب التى لم يكن فيها غيرُك ، ولم يكن لها سواك ؟ لا أحد شهدك حين فطَرْتَ الخلق، ولا أحد حضرك حين ذرأْتَ النفوس ، فكيف لا يعظم شأنُك عند من عرفك، وهو يرى من خلقك ماترتاع به عقولهم ، ويملأ قلوبهم ، من رعدٍ تفزَعُ له القلوب ، وبرقٍ يخطف الأبصار ، ٥
وملائكةٍ خلقتَهم وأسكنتَهم سمواتك ، وليست فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا بهم معصية ؛ هم أعلمُ خلقك بك ، وأخوفهم لك ، وأقومُهم بطاعتك ، ليس يغشاهم نومُ العيون ، ولا سهوُ العقول ؛ لم يسكنوا الأصلاب ، ولم تضمَّهم الأرحام ؛ أنشأتهم إنشاء ، وأسكنتهم سَمٰواتك ، وأكرمتَّهم بجوارك ، وائتمنتهم على وحيك ، وجنبتَّهم الآفات ، ووقيتهم السيئات ، وطهرتَّهم من الذنوب ؛ فلولا ١٠
تقويتك لم يقْوُوا ، ولولا تثبيتك لم يثبتوا ، ولولا رهبتك لم يطيعوا ، ولولاك لم يكونوا ؛ أما إنهم على مكانتهم منك ، ومنزلتهم عندك ، وطولِ طاعتهم إياك ـ لو يعاينون ما يخفى عليهم لاحتقروا أعمالهم ، ولعلموا أنهم لم يعبدوك حقَّ عبادتك؛ فسبحانك خالقا ومعبودا ومحمودا ، بحسن بلائك عند خلقك! أنت خلقت ما دبرته مطعما ومشرباً ، ثم أرسلت داعياً إلينا ، فلا الداعِىَ أجبنا ، ولا فيما رغَّبتَنا فيه ١٥
رغِبْنا ، ولا إلى ما شوّقتنا إليه اشتقنا ؛ أقبلنا كلنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع وقد زاد بعضُنا على بعض حرصاً لما يرى بعضُنا من بعض ، فافتضحنا بأكلها واصطلحنا على حبها ، فأعمت أبصار صالحينا وفقهائنا ، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة ، ويسمعون بآذان غير سميعة ، فحيثما زالت زالوا معها ، وحيثما مالت أقبلوا إليها ، وقد عاينوا المأخوذين على الغِرّة كيف فجأتْهُمُ الأمور ، ونزل بهم ٢٠
المحذور ، وجاءهم من فراق الأحبة ما كانوا يتوقعون ، وقدِموا من الآخرة ما كانوا يوعدون : فارقوا الدنيا وصاروا إلى القبور ، وعَرفوا ما كانوا فيه من الغرور ؛ فاجتمعت عليهم حسرتان : حسرةُ الفَوت وحسرةُ الموت ؛ فاغبرّت لها وجوههم وتغيرت بها ألوانهم ، وعرقت بها جباهُهم ، وشخَصتْ أبصارُهم ، وبردت أطرافهم،

وحيل بينهم وبين المنطق ، وإن أحدهم لبيْنَ أهله ، ينظر ببصره ، ويسمعُ بأذنه ؛ ثم زاد الموت فى جده حتى خالط بصره ، فذهبت من الدنيا معرفته ، وهلكت عند ذلك حجته ، وعاين هول أمرٍ كان مغطى عليه فأحدّ لذلك بصرَه ؛ ثم زاد الموتُ فى جده حتى بلغت نفسه الحلقوم ، ثم خرج من جسده فصار جسداً ملقىً لا يجيب داعياً ، ولا يسمع باكياً ؛ فنزعوا ثيابه وخاتمه ، ثم وضّئوه وضوء الصلاة ، ثم غسلوه وكفنوه إدراجا فى أكفانه وحنطوه ، ثم حملوه إلى قبره ، فدلوه فى حفرته ، وتركوه مخلى بمفظعات من الأمور ، وتحت مسألة منكر ونكير، مع ظلمة وضيق ووحشة قبر ، فذاك مثواه حتى يبلى جسدُه ويصير تراباً ؛ حتى إذا بلغ الأمر إلى مقداره ، وألحق آخر الخلق بأوله ، وجاءه أمر من خالقه ، أراد به تجديد خلقه ـ أمر بصوت من سمواته فمارت السموات مورا ، وفزع من فيها ، وبقى ملائكتها على أرجائها ، ثم وصل الأمر إلى الأرض ، والخلقُ رفاتٌ لا يشعرون فأرج أرضَهم وأرجَفَها وزلزلها ، وقلع جبالَها ونسفَها وسيَّرَها ، ودكَّ بعضَها بعضاً من هيبته وجلاله ، وأخرج من فيها فجدّدهم بعد بلائهم ، وجمعهم بعد تفرُّقهم ، يريد أن يُحصيَهم ويميزهم ، فريقاً فى ثوابه ، وفريقاً فى عقابه ، فخلّد الأمر لأبده ، دائماً خيره وشره ، ثم لم ينس الطاعة من المطيعين ، ولا المعصية من العاصين ، فأراد عز وجل أن يجازى هؤلاء ، وينتقم من هؤلاء ، فأثاب أهل الطاعة بجواره ، وحلولِ داره ، وعيشِ رغد ، وخلود أبد ، ومجاورةِ للرب ، وموافقة محمد صلى الله عليه وسلم ، حيث لا ظعن ولا تغيُّر ؛ وحيث لا تصيبهم الأحزان ، ولا تعترضهم الأخطار ؛ ولا تُشْخِصُهم الأسفار ؛ وأما أهل المعصية فخلدهم فى النار ، وأوثق منهم الأقدام وغلَّ منهم الأيدى إلى الأعناق : فى لهب قد اشتد حره ، ونارٍ مطبِقة على أهلها لا يدخل عليهم بها روح ، همُّهم شديد ، وعذابُهم يزيد ، ولا مدة للدار تنقضى، ولا أجل للقوم ينتهى .

اللهم إنى أسألك بأن لك الفضل والرحمة بيدك ، فأنت وليهما لا يليهما أحد غيرك ، وأسألك باسمك المخزون المكنون ، الذى قام به عرشُك وكرسيُّك وسمواتُك

وأرضَك ، وبه ابتدعتَ خلقَك — الصلاةَ على محمد ، والنجاةَ من النار برحمتك ، آمين ؛ إنك وليٌّ كريم .

وخطب أيضا فقال : أيها الناس احفظوا عنى خمساً فلو شدَدْتم إليها المطايا حتى تُنضوها لم تظفروا بمثلها : ألَا لا يرجُوَنَّ أحدُكم إلا ربَّه ، ولا يخافن إلا ذنبَه ولا يستحْيِ أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم ، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، ألا وإن الخامسة الصبر ، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ؛ من لا صبر له لا إيمان له ، ومن لا رأس له لا جسد له : ولا خير فى قراءة إلا بتدبُّر ولا فى عبادة إلا بتفكُّر ، ولا فى حلم إلا بعلم ؛ ألا أنبئكم بالعالِم كلِّ العالم ؟ من لم يزين لعباد الله معاصىَ الله ، ولم يُؤمِنْهم مكرَه ، ولم يُؤيِسْهم من روْحه . لا تُنزلوا المطيعين الجنة ولا المذنبين الموحدين النار حتى يقضىَ الله فيهم بأمره ؛ ولا تأمنوا على خير هـذه الأمة عذابَ الله ؛ فإنه يقول : ﴿ فلا يَأْمنُ مَكْرَ اللهِ إلّا القومُ الخاسِرون ﴾ ؛ ولا تقنطوا شر هذه الأمة من رحمة الله ، فإنه لا ييأس من رَوح الله إلا القوم الكافرون .

° ° °

ومن كلامه رضوان الله عليه : قال ابن عبّاس : لما فرغ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه من وقعة الجمل ، دعا بآجُرَّتين فعلاهما ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة ! رغا فأجبتم وعُقِرَ فهربتم ؛ دخلت شرُّ بلاد [أقربها من الماء ، و] أبعدها من السماء . بها يغيض كل ماء ، ولها شرُّ أسماء : هى البصرة ، والبُصيرة ، والمُؤتفكة ، وتَدمُر . أين ابن عبّاس ؟ فدُعيت . فقال لى : مُرْ هذه المرأة فلْتَرْجع إلى بيتها الذى أُمِرَت أن تَقَرَّ فيه .

وتمثل على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد الحكمين :

زَلَلتُ فيكم زَلّةً فأعتذِرْ ° سوف أَكِيس بعدَها وأَسْتَمِرْ

وأجمعُ الأمرَ الشَّتِيتَ المُنْتَشِرْ

خطب معاوية

قال القحذمي : لما قَدم معاويةُ المدينة عام الجماعة تلقّاه رجال قريش فقالوا : الحمد لله الذى أعز نصرك ، وأعلى كعبك . قال : فوالله ماردّ عليهم شيئاً حتى صعد المنبر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

٥ أما بعد فإنى والله ما وليتُها بمحبة علمتُها منكم ولا مسرّة بولايتى ، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة ، ولقد رُضْتُ لكم نفسى على عمل ابن أبى قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرتْ من ذلك نفارا شديداً ؛ وأردتها مثل ثَنِيّات[1] عثمان ، فأبت علىّ ؛ فسلكت بها طريقا لى ولكم فيه منفعة : مؤاكلةٌ حسنة ، ومُشاربة جميلة ؛ فإن لم تجدونى خيرَكم فإنى خيرٌ لكم ولاية ؛ والله لا أحمل السيف ١٠ على من لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفى به القائل بلسانه ، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذنى وتحت قدمى ؛ وإن لم تجدونى أقوم بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه ، فإن أتاكم منى خيرٌ فاقبلوه ، فإن السيل إذا زاد عَنَّى ، وإذا قلّ أغنى ؛ وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتكدّر النعمة . ثم نزل .

خطبة أيضا لمعاوية

١٥ حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدِمنا عليكم ، وإنما قدمنا على صديق مستبشر ، أو على عدو مستتر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ﴿ فإنْ أُعْطُوا منها رَضُوا وإنْ لم يُعطَوْا منها إذا هُمْ يَسْخَطون ﴾ . ولست واسعاً كلّ الناس ؛ فإن كانت محمدةٌ فلا بدّ مِن مَذَمّة ، فلَوْناً هَوْناً إذا ذُكر غُفِر ؛ وإياكم والتى إن أُخفيت ٢٠ أوبقت ، وإن ذُكرت أوثقت . ثم نزل .

---

(١) فى بعض الأصول : « على سنيات » .

وخطبة أيضا لمعاوية

صعد منبر المدينة ، فحمد الله وأثنى ، عليه ثم قال :

يا أهل المدينة ، إنى لست أحب أن تكونوا خلقا كخلق العراق ؛ يعيبون الشيء وهم فيه ، كل امرئ منهم شيعةُ نفسه ، فاقبلونا بما فينا فإن ماوراءنا شرٌّ لكم ، وإن معروف زماننا هذا منكَرُ زمان قد مضى ، ومنكَر زماننا معروف زمان لم يأت ، ولو قد أتى فالرَّتق خير من الفتق ، وفى كلّ بلاغ ، ولا مقام على الرزية .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال العتبى : خطب معاوية الجمعة فى يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

إن الله عز وجل خلقكم فلم يَنسكُم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا اتّقوا اللهَ حقَّ تُقاتِه ولا تَموتُنَّ إلّا وأنتمْ مُسْلِمون ﴾ . قوموا إلى صلاتكم .

ومما ذكر لعبيد الله بن زياد عند معاوية

قال ابن دأب : لمـّا قدم عبيد الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده لاهياً عنه أنكره ، فجعل يتصدّى له بخلوة ليسبُر من رأيه ماكَرِهَ أن يُشرك به عمله ، فاستأذن عليه بعد انصداع الطُّلاب وإشغال الخاصة وافتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذى كان يخلو فيه بنفسه ، ففطن معاوية لما أراد ، فبعث إلى ابنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، فلما أخذوا مجالسهم أذِن له ، فسلم ووقف واجما يتصفح وجوه القوم ، ثم قال :

صريح العقوق مُكاتمةُ الأدنَيْن ، لا خير فى اختصاص وإن وفَرَ ، أحمد الله

إليكم على الآلاء ، وأستعينه على اللأواء ، وأستهديه من عمى مُجهِد ، وأستعينه على عدو مرصِد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المنقذ بالأمين الصادق من شفاء هاوٍ ، ومن غواية غاوٍ ، وصلوات الله على الزكى ، نبيّ الرحمة ، ونذير الأمة ، وقائد الهدى ؛ أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فقد عسف بنا ظنٌّ فرَّع ، وفزَع صدّع ، حتى طمع السحيق ، ويئس الرفيق ، ودب الوشاة بموت زياد ، فكلهم متحفز للمداوة ، وقد قلّص الإزْرة ، وشمّر عن عِطافه ، ليقول : مضى زياد بما استُلحق به ، وولّى على الدنية من مُستلحِقه . فليت أمير المؤمنين سَلِم فى دَعته ، وأسلم زياداً فى ضَعته ، فكان ترِب عامّته ، وواحد رعيّته ، فلا تشخص إليه عين ناظر ولا أصبع مشير ، ولا تذلّق عليه ألسنٌ كلَمَتْه حيا ونبشته ميتا ؛ فإن تكن يا أمير المؤمنين حابيت زياداً بولاء رفات ، ودعوة أموات ، فقد حاباك زياد بجدّ هصور وعزم جسور ، حتى لانت شكائمُ الشَّرِس ، وذلّت صعبة الأشوس ، وبذل لك يا أمير المؤمنين يمينه ويساره ، تأخذ بهما المنيع ، وتقهر بهما البزيع ، حتى مضى والله يَغفر له ؛ فإن يكن زياد أخذ بحقٍّ فأنزلنا منازل الأقربين ، فإنّ لنا بعده ما كان له ، بدالّة الرحم ، وقرابة الحميم ؛ فما لنا يا أمير المؤمنين نمشى الضَّرّاء وندبّ الخفاء ، ولنا من خيرك أكمله ، وعليك من حوبنا أثقله ، وقد شهد القوم ، وما سامنى قربهم ليُقرّوا حقا ، ويردّوا باطلا ؛ فإنّ للحقّ مناراً واضحا ، وسبيلا قصْدا ؛ فقل يا أمير المؤمنين بأى أمريْك شئت ، فما نأرِز إلى غير جُحرنا ، ولا نستكثر بغير حقنا ، وأستغفر الله لى ولكم .

قال : فنظر معاوية فى وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفّحهم بلحْظه رجلا رجلا وهو متبسم ، ثم اتجه تلقاءه وعقد حبوته وحسر عن يده وجعل يومئُ بها نحوه ، ثم قال معاوية :

الحمد لله على ما نحن فيه ؛ فكل خير منه ، وأشهد أن لا إله إلا الله ؛ فكل شىء خاضع له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، دلّ على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمثله ، فهو خاتم النبيين ، ومصدّق المرسلين ، وحجة رب العالمين ،

صلوات الله عليه وسلامه وبركاته ، أمّا بعد ، فرب خيرٍ مستور ، وشر مذكور ، وما هو إلا السهم الأخيب لمن طار به ، والحظ المرغِب لمن فاز به ، فيهما التفاضل ، وفيهما التغابن ، وقد صفَقتْ يداى فى أبيك صفقة ذى الخَلة من ضوارع الفُصْلان ، عامَلَ اصطناعى له بالكفر لما أوليته ، فما رميتُ به إلا انتصل ، ولا انتضيته إلا غلّق جفنه ، وزلّت شفرته ، ولا قلتَ إلا عانَد ، ولا قتُ إلا قعد ، حتى اخترمه الموت ، وقد أوقع بمَختَره ، ودل على حقده ، وقد كنت رأيت فى أبيك رأيا حضَرَه الخطل ، والتبس به الزلل ، فأخذ منى بحظ الغفلة ، وما أُبرِّئ نفسى ، إنّ النفس لأمّارة بالسوء ؛ فما برحت هَناة أبيك تحطب فى جبل القطيعة حتى انتكث المبرم . وانحل عقد الوداد . فيالها توبةً تُوَتِّف من حَوبة أورثت ندما أسمعَ بها الهاتف وشاعت للشامت ؛ فليهنأ الواصم ما به احتقر ؛ وأراك تحمد من أبيك جِدا وجُسورا : هما أوفيا به على شرف التقحم . وغمط النعمة ؛ فدعْهما فقد أذكرتنا منه ما زهَّدَنا فيك من بعده ، وبهما مشيتَ الضرّاء ودببت الخفاء ؛ فاذهب إليك ، فأنت نَجْل الدَّغَل ، وعِترة النَّغَل ؛ والآخر شرّ .

فقال يزيد : يا أمير المؤمنين ، إنّ للشاهد غيرَ حكم الغائب ، وقد حضرك زياد ، وله مواطن معدودة بخير ، لا يفسدها التظنّى ، ولا تغيّرها التهم ، وأهلوه أهلوك التحقوا بك ، وتوسطوا شأنك ، فسافرتْ به الرُّكبان ، وسمعت به أهل البلدان ، حتى اعتقده الجاهل ، وشك فيه العالم ، فلا يتحجَّر يا أمير المؤمنين ما قد اتسع ، وكثرت فيه الشهادات ، وأعانك عليه قوم آخرون .

فانحرف معاوية إلى من معه فقال : هذا ، وقد نَفِس عليه ببيعته ، وطعن فى إمرته ، يعلم ذلك كما أعلمه ؛ يا لَلرجال من آل أبى سفيان ! لقد حكموا وبذّهم يزيدُ وحده .

ثم نظر إلى عبيد الله فقال : يا ابن أخى ، إنى لأعْرَف بك من أبيك ، وكأنى بك فى غمرة لا يخطوها السابح ؛ فالزم ابنَ عمك ، فإنّ لما قال حقا .

فخرجوا ، ولزم عبيد الله يزيد يرد مجلسه ويطأ عقبه أياما ، حتى رمى به معاوية إلى البصرة واليا عليها . ثم لم تزل توكسه أفعاله حتى قتله الله بالخازر .

وخطبة لمعاوية أيضا

قال الهيثم بن عدى : لما حضرت معاويةَ الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عقبة المرِّى ، والضحاك بن قيس الفهرى ، وقال لهما : أبلغا عنى يزيد وقولا ٥ له : انظر أهل الحجاز فهم عصابتك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعاهده ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألوك عزلَ عامل فى كل يوم فاعزله عنهم ، فإن عزلَ عامل واحد أهونُ عليك من سلّ مائة ألف سيف ، ثم لاتدرى علامَ أنت عليه منهم ؛ ثم انظر أهل الشام ، فاجعلهم الشعار دون الدّثار ، فإن رابك من عدوٍّ ريبٌ فارْمِه بهم فإن أظفرك الله فاردد أهل الشام إلى بلادهم ، ١٠ لا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدبوا بغير آدابهم ؛ ولست أخاف عليك غير عبد الله ابن عمر ، وعبد الله بن الزبير . والحسين بن على ؛ فأما عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقذه الورع ، وأما الحسين فأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فإنه خَب ضَبّ ، فإن ظفرت به فقطعه إربا إربا .

١٥ ومات معاوية : فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال :

إن أمير المؤمنين كان أنف العرب ، وهذه أكفانه ونحن مُدْرِجوه فيها ومُخَلُّون بينه وبين ربه : فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر .

وصلى عليه الضحاك . ثم قدم يزيد ؛ فلم يقدِم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام فأنشأ يقول :

٢٠ اصبِر يزيدُ فقد فارقْتَ ذا مِقةٍ * واشْكُرْ حِباءَ الذى بالمُلْكِ حاباكا

لارُزْءَ أعظمُ فى الأقوامِ قد عَلِموا * مِمّا رُزِئْتَ ولا عُقْبى كعُقْباكا

أصبحْتَ راعِىَ أهْلِ الدينِ كُلِّهِمُ * فأنت ترعاهُمُ والله يرْعاكا

وفى مُعاوية الباقى لنا خلَفٌ ه أمّا نُعِيت فلا يُسمَع بمنعاكا

قال فانفتح الخطباء بالكلام .

وخطبة أيضا لمعاوية

ولما مرض معاية مرض وفاته قال لمولى له : من بالباب ؟ قال : نفر من قريش يتباشرون بموتك ! قال : ويحك ! لم ؟ فوالله مالهم بعدى إلا الذى يسوءهم ٥ وأذن للناس فدخلوا ، فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ، ثم قال :

أيها الناس ، إنا قد أصبحنا فى دهر عنود ، وزمن شديد ، يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً ، ويزداد الظالم فيه عُتُوًّا ، لا ننتفع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهلنا ، ولا نتخوف قارعة حتى تحُلَّ بنا ، فالناس على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعه من الفساد فى الأرض إلا مَهانةُ نفسه ، وكلال حده ، ونضيض وفره ؛ ومنهم ١٠ المصلت لسيفه ، المجلب برجله ، المعلن بشرّه ؛ قد أشرط نفسَه ، وأوبق دينه : لحُطام ينتهزه ، أو مِقنَبٍ يقوده ، أو منبر يَفرعه ؛ ولبئس المتجرُ أن تراهما لنفسك ثمنا ، ومما لَكَ عند الله عوضاً - ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ، ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا : قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه ، وشمر عن ثوبه ، وزخرف نفسه للأمانة ، واتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم من أقعده عن ١٥ طلب الملك ضُئُولة نفسه ، وانقطاع سببه ، فقصرت به الحال عن أمله : فتحلى باسم القناعة ، وتزيّا بلباس الزهادة ؛ وليس مِن ذلك فى مَراح ولا مَغدى ؛ وبقى رجال غض أبصارَهم ذكرُ المرجع ، وأراق دموعهم خوف المضجع : فهم بين شريد باد ، وبين خائف منقمع وساكتٍ مكعوم ، وداع مخلص ، وموجَع ثكلان ؛ قد أخملتهم التَّقيّة ، وشملتهم الذلة ؛ فهم فى بحر أجاج ؛ أفواههم ضامزة ، وقلوبهم ٢٠ قرِحة ؛ قد وُعِظوا حتى ملوا ، وقُهِروا حتى ذلوا ؛ وقُتِلوا حتى قَلّوا ؛ فلْتكن الدنيا فى أعينكم أصغر من حُثالة القَرَظ ، وقُراضة الجلمين ؛ واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم مَن بعدكم ، وارفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان أشغَفَ بها منكم .

وليزيد بن معاوية بعد موت أبيه

الحمد لله الذى ما شاء صنع ، من شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حبْلا من حبال الله ، مدّه ما شاء أن يمده ، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ؛ وكان دون مَن قبله ، وخيراً مما يأتى بعده ، ٥ ولا أزكّيه عند ربه وقد صار إليه ؛ فإن يعْف عنه فبرحمته ، وإن يعاقبْه فبذنبه ؛ وقد وليت بعده الأمر ، ولست أعتذر من جهل ، ولا أنِى على طلب علمٍ ؛ وعلى رِسْلِكُمْ إذا كَرِه الله شيئا غيره ؛ وإذا أحب شيئا يسَّره .

وخطبة ليزيد أيضا

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ؛ من يهد الله فلا مضلّ له ، ومن يُضْلل فلا هادىَ ١٠ له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، اصطفاه لوحيه ، واختاره لرسالته ، بكتاب فصّله وفضّله ، وأعزّه وأكْرمه ، ونصره وحفظه ؛ ضرب فيه الأمثال ، وحلّل فيه الحلال وحرَّم فيه الحرام وشرع فيه الدين إعذاراً وإنذارا : لئلا يكون للناس على الله حُجَّةٌ بعد الرُسل ، ويكون بلاغا لقومٍ عابدين . أوصيكم عباد الله بتقوى الله العظيم الذى ابتدأ الأمور بعلمه ١٥ وإليه يصير معادها ، وانقطاع مدتها ، وتصرم دارها . ثم إنى أحذّركم الدنيا . فإنها حلوة خضرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وأينعت بالفانى ، وتحببت بالعاجل . لا يدوم نعيمُها ، ولا تُومن فجيعتُها ، أكَّالةٌ غَوّالةٌ غرّارةٌ . لا تُبْقى على حال . ولا يَبْقى لها حال . لن تعدو الدنيا — إذا تناهت إلى أمنيَّة أهل الرغبة فيها . والرضا بها — أن تكون كما قال الله عز وجل : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم ٢٠ مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا كماءٍ أنزلناهُ مِن السَّماء فاختلَط به نباتُ الأرض فأصبح هشيما تذْرُوه الرِّياحُ وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ مُقتدِرا ﴾ . نسأل الله ربَّنا وإلهنا وخالقنا ومولانا أن يجعلنا وإياكم من فزَع يومئذٍ آمنين .

إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ، يقول الله : ﴿ وإذا قرِئَ القرآنُ فاستَمعوا له وأنصِتُوا لعلَّكُم تُرحمونَ ﴾ . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ لقدْ جاءَكم رسولٌ من أنفسِكُمْ عزيزٌ عليهِ ماعنِتُّمْ حريصٌ عليكمْ بالمؤْمنينَ رءوفٌ رحيمٌ . فإنْ توَلَّوْا فقلْ حسْبِيَ اللهُ لا إلهَ إلا هو عليه توَكَّلْتُ وهوَ ربُّ العرْشِ العظِيم ﴾ .   ٥

خطب بنى مروان

خطبة عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك بن مروان يقول فى آخر خطبته : اللهم إن ذنوبى قد عظمت وجلَّت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى .

وخطب بمكة شرفها الله تعالى فقال فى خطبته :   ١٠

إنى والله ما أنا بالخليفة المستضعَف — يعنى عثمان — ولا بالخليفة المداهن يعنى معاوية — ولا بالخليفة المأفون — يعنى يزيد .

قال أبو إسحاق النظام : أما والله لولا نسبك من هذا المستضعف ، وسببك من هذا المداهِن ؛ لكنتَ منها أبعد من العَيُّوق . والله ما أخذتَها بوراثة ، ولاسابقة ولا قرابة ، ولا بدعوى شورى ، ولا بوصية .   ١٥

خطبة الوليد بن عبد الملك

لما مات عبد الملك بن مروان ، رجع الوليد من دفن عبد الملك لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونادى فى الناس : الصلاة جامعة ! فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، لا مؤخر لِمَا قدم الله ، ولا مقدِّم لِمَا أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابقِ علمه وما كتب على أنبيائه وحملة عرشه   ٢٠ من الموت ، موتُ وَلِىِّ هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، للذى كان عليه من الشدة على المريب ، واللين على أهل الفضل والدين ، مع ماأقام

من مَنار الإسلام وأعلامه ، وحجّ هذا البيت ، وغزو هذه الثغور ، وشنّ الغارات على أعداء الله ؛ فلم يكن فيها عاجزا ، ولا وانيا ، ولا مفرطا ؛ فعليكم أيها الناس بالطاعة ولزوم الجماعة ؛ فإن الشيطان مع الفذ ، وهو من الجماعة أبعد واعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات

٥ بدائه . ثم نزل

وخطب سليمان بن عبد الملك

فقال : الحمد لله ، ألا إنّ الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحِك باكيا ، وتُبكي ضاحكا ، وتُخيف آمنا ، وتُؤمّن خائفا ، وتُفقر مثريا ، وتثرى مقترا ميّالة ، غرارة ، لعّابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إماما ، وارتضُوا به

١٠ حَكَماً . واجعلوه لكم قائدا . فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب [بعده] واعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام الليل إذا عَسْعَسْ .

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه

قال العتبي : أول خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله قوله : أيها الناس

١٥ أصلحوا سرائركم تَصْلُح لكم علانيتكم ، وأصلحوا آخرتكم تَصلح دنياكم ، وإن امرأً ليس بينه وبين آدم أبٌ حي لَمُعْرِقٌ في الموت .

وخطبة له رحمه الله

وإن لكل سفر زادا لا محالة . فتزودوا [لسفركم] من دنياكم لآخرتكم التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثوابه وعقابه ، فرهبوا ورغبوا .

٢٠ ولا يطولن عليكم الأمد ، فتقسوَ قلوبكم وتنقادوا لعدوّكم . فإنه ما بُسط أمل مَن لا يدرى لعله لا يصبح بعد إمسائه أو يمسى بعد إصباحه . وربما كانت بين ذلك خطرات المنايا ، وإنما يطمئن إلى الدنيا من أَمِنَ عواقبها . فإنّ من

يُداوِى من الدنيا كلّما أصابته جراحة من ناحية أخرى ، فكيف يطمئن إليها ؟ أعوذ بالله أن آمركم بما أنهَى عنه نفسى ؛ فتخسر صفقتى ، وتظهر عَيْلتى ، وتبدو مسكنتى ، فى يوم لا ينفع فيه إلا الحق والصدق .

ثم بكى وبكى الناس معه .

خطبة لعمر بن عبد العزيز أيضا

شبيب بن شيبة عن أبى عبد الملك قال كنت من حرس الخلفاء قبل عمر ، فكنا نقوم لهم ونبدؤهم بالسلام ؛ فخرج علينا عمر رضى الله عنه فى يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة ، فمثلنا بين يديه وسلمنا عليه ، فقال : مَهْ ! أنتم جماعة وأنا واحد ؛ السلام علىَّ والردُّ عليكم ، وسلَّم ، فرددنا ، وقربت له دابته ، فأعرض عنها ، ومشى ومشينا حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وددت أنّ أغنياء الناس اجتمعوا فردّوا على فقرائهم ، حتى نستوى نحن بهم ، وأكون أنا أولهم . ثم قال : مالى وللدنيا ؟ أم مالى ولها وتكلم فأرقّ حتى بكى الناسُ جميعاً يميناً وشمالا ، ثم قطع كلامه ونزل ؛ فدنا منه رجاء بن حيوة فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلمت الناس بما أرقّ قلوبَهم وأبكاهم ، ثم قطعته أحوجَ ما كانوا إليه ؛ فقال : يا رجاء ، إنى أكره المباهاة .

خطبة عبد الله بن الأهتم بين يدى عمر بن عبد العزيز

ودخل عبد الله بن الأهتم على عمر بن عبد العزيز مع العامة ، فلم يفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلم : فحمد الله وأثنى عليه وقال :

أما بعد ، فإن الله خلق الخلق غنيًّا عن طاعتهم ، آمِناً من معصيتهم ؛ والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشرّ تلك المنازل ؛ أهل الوبر وأهل المدر ، تُحتازُ دونهم طيباتُ الدنيا ورفاهة عيشها ؛ ميّتهم فى النار وحيهم أعمى ، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه ؛ فلما أراد الله أن ينشر فيهم

رحمته ، بعث إليهم رسولا منهم عزيزاً عليه ما عَنِتُوا حَريصا عليهم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ؛ فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه فى جسمه ، ولقبوه فى اسمه ، ومعه كتاب من الله ناطق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه ، واضطروه إلى بطن غار ؛ فلما أُمر بالعزيمة أسفر لأمر الله لونُه ، فأفلج اللهُ حجتَه ، وأعلى ٥ كلمتَه ، وأظهر دعوتَه . وفارق الدنيا تقيا صلى الله عليه وسلم .

ثم قام من بعده أبو بكر رضى الله عنه ، فسلك سُنَّتَه وأخذ سبيله ؛ وارتدّت العرب فلم يقبل منهم إلا الذى كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛ فانتضى السيوف من أغمادها ، وأوقد النيران فى شُعلها ، ثم ركب بأهلِ الحق أهلَ الباطل ، فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقى الأرض دماءهم ، حتى أدخلهم فى الباب الذى ١٠ خرجوا منه ، وقررهم بالأمر الذى نفروا منه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه ، وحبشية ترضع ولدا له ؛ فرأى ذلك غُصَّة فى حلقه عند موته ، وثقلا على كاهله ، فأداه إلى الخليفة من بعده وبرئ إليهم منه ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه .

ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ فمصّر الأمصار ، وخلط ١٥ الشدة باللين ، وحسر عن ذراعيه ، وشمر عن ساقيه ، وأعد للأمور أقرانها وللحرب آلتها ، فلما أصابه قِنُّ المغيرة بن شعبة ، أمر ابن العباس أن يسأل الناس هل يُثبتون قاتله ؟ فلما قيل له قِنّ المغيرة استهل بحمد الله أن لا يكون أصابه من له حق فى الفىء ، فيستحل دمه بما استحل من حقه ؛ وقد كان أصاب من مال الله بضعة وثمانين ألفا فكسر بها رِباعه ، وكره بها كفالة أهله وولده ، فأدى ذلك ٢٠ إلى الخليفة من بعده ، وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه .

ثم إنّا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج ، ثم إنك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها ، وألقمتك ثديها ، فلما وليتَها ألقيتها وأحببتَ لقاء الله وما عنده : فالحمد لله الذى جلا بك حوبتَنا ، وكشف بك كُرْبتنا . امض ولا تلتفت ، فإنه لا يُغنى عن الحق شىء ، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات .

ولما قال : ثم إنا والله ما اجتمعنا بعدهما إلا على ضلع أعوج . سكت الناس كلهم غير هشام ، فإنه قال : كذبت !

وخطبة أيضا لعمر بن عبد العزيز

قال أبو الحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخُناصِرَة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات ، رحمه الله : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : ٥

أيها الناس ، إنكم لم تُخْلقوا عبثا ، ولم تُتْرَكوا سدى ؛ وإن لكم معادا يحكم الله بينكم فيه ، فخاب وخَسِرَ من خرج من رحمة الله التى وسِعَتْ كل شىء ، وحُرِم جنةً عرضُها السموات والأرض ؛ واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف اليوم وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ؛ ألا تَرَوْن أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلُفها من بعدكم الباقون [كذلك] حتى تُردوا إلى خير الوارثين ؛ ثم إنكم فى كل يوم ١٠ تُشَيِّعون غاديا ورائحا إلى الله ، قد قضى نحبَه ، وبلغ أجله ، ثم تغيِّبونه فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير مُوَسَّد ولا مُمَهَّد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب وواجه الحساب ، [مرتهناً بعمله] ، غنيا عما ترك ، فقيراً إلى ما قدّم ؛ وآيم الله إنى لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنوب] أكثر بما عندى ، فأستغفر الله لى ولكم ، وما تَبلغنا [عن أحد منكم] حاجة يتسع لها ١٥ ما عندنا إلا سدَدْناها ، ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى ولُحمتى الذين يلوننى ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ؛ وآيم الله إنى لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقا ذلولا ، عالما بأسبابه ؛ ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسُنة عادلة ، دل فيهما على طاعته ، ونهى عن معصيته . ٢٠

ثم بكى ، فتلقى دموعَ عينيه بردائه ، ونزل ؛ فلم يُرَ بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد

حين قَتل الوليدَ بن يزيد

بقِيّ بن مخلد قال : حدثنى خليفة بن خياط ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثنى إبراهيم بن إسحق أن يزيد بن الوليد لما قتَلَ الوليد بن يزيد قام خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، إنى ما خرجت أشراً ولا بطراً . ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة فى الملك ؛ وما بى إطراء نفسى ولا تزكية عملى ، وإنى لظلوم لنفسى إن لم يرحمنى ربى ، ولكنى خرجت غضبا لله ودينِه ، وداعيا إلى كتابه وسنة نبيه ، حين دَرست معالم الهدى ، وطَفِئَ نور أهل التقوى ، وظهر الجبّار العنيد المستحل الحرمة ، والراكب البدعة والمغيّر السنة ؛ فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقتلع ، على كثير من ذنوبكم وقسوة من قلوبكم . وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه ، فيجيبه من أجابه منكم ؛ فاستخرت الله فى أمرى ، وسألته أن لا يكلنى إلى نفسى ؛ وهو ابن عمى فى نسبى ، وكفئى فى حسبى ؛ فأراح الله منه العباد ، وطهر منه البلاد ، ولايةً من الله وعَوناً بلا حول منا ولا قوة ، ولكن بحول الله وقوته وولايته وعونه .

أيها الناس ، إن لكم علىّ إن وليتُ أموركم أن لا أضع لبِنة على لَبِنة ولا حجراً على حجر ، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد فقره [وخَصاصة أهله] ، وأقيم مصالحه ، بما يحتاجون إليه ويقوون به ؛ فإن فضَل شىء رددْته إلى البلد الذى يليه وهو من أحوج البلدان إليه ، حتى تستقيمَ المعيشةُ بين المسلمين وتكونوا فيه سواء ، ولا أُجَمِّركم فى بعوثكم فتفتتنوا وتفتتن أهاليكم ؛ فإن أردتم بيعتى على الذى بذلت لكم فأنا لكم به ، وإن مِلْتُ فلا بيعة لى عليكم ؛ وإن رأيتم أحداً أقوى عليها منى فأردتم بيعته ، فأنا أول من يبايعه ويدخل فى طاعته : أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

خطب بني العباس

العتبي قال : قيل لمسلمة بن هلال العبدى : خطبنا جعفر بن سليمان الهاشمى خطبة لم يُسمَعْ أحسنُ منها ، وما دَرَيْنا أوَجْهُه كان أحسن أم كلامه ! قال : أولئك قوم بنور الخلافة يشرقون ، وبلسان النُّبوّة ينطقون .

خطبة أبي العباس السفاح بالشام

٥

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد بن على ، لما قُتل مروان بن محمد قال :

﴿ألم تر إلى الذين بَدَّلوا نعمة الله كفراً وأحلُّوا قومَهم دار البوار ، جهنمَ يصلونها وبئس القرار﴾ نَكص بكم يا أهل الشام آلُ حرب وآلُ مروان ، يتسكعون بكم الظلم ، ويتهوّرون بكم مداحِض الزلق ، يطئون بكم حَرَمَ اللهِ وحرمَ رسوله . ماذا يقول زعماؤكم غدا ؟ يقولون ربَّنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضِعفاً من النار ! إذاً يقول الله عز وجل ﴿لكلٍّ ضِعفٌ ولكنْ لا تعلَمونَ﴾ أما أمير المؤمنين فقد ائتنفَ بكم التوبة ، واغتفر لكم الزَّلة ، وبسط لكم الإقامة ، وعاد بفضله على نقصكم وبحلمه على جهلكم ، فلتفرخ روعكم ولتطمئن به داركم ، وليُقطع مصارع أوائلكم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

١٠

خطب المنصور

١٥

خطب أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن محمد بن على . لما قَتل الأمويين ، فقال :

أحرز لسان رأسه . انتبه امرؤ لحظه . نظر امرؤ فى يومه لغده ؛ فمشى القصد وقال الفصل ، وجانب الهُجر .

ثم أخذ بقائم سيفه ، فقال : أيها الناس ، إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفائه ؛ فليعتبر عبدٌ قبل أن يُعتبر به ؛ فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .

٢٠

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام

شِنْشِنَةٌ أعرِفها من أخزَمِ * من يَلْقَ أبطالَ الرجالِ يُكْلَمِ

مهلا مهلا زوايا الإرجاف وكهوف النفاق عن الخوض فيما كُفيتم ، والتخطى إلى ما حُذِّرتم ، قبل أن تتلف نفوس ، ويقلّ عدد ، ويدول عز ؛ وما أنتم وذاك ؟ ألم تجدوا ماوعد ربُّكم من إيراث المستضعفين من مشارق الأرض ٥ ومغاربها حقا ؟ والجَحْدَ الجَحد ، ولكن خِبٌ كامن ، وحسد مُكْمِد ، فبُعداً للقوم الظالمين .

وخطب أيضا

قال يعقوب بن السكيت : خطب أبو جعفر المنصور يوم جمعة ، فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس اتقوا الله ... ١٠

فقام إليه رجل فقال : أُذَكِّرُك من ذكرتنا به ياأمير المؤمنين .

قال أبو جعفر : سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذُكِّر به ، وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه فتأخذنى العزة بالإثم ؛ لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . وأما أنت ـ والتفت إلى الرجل فقال ـ واللهِ ما اللهَ أردتَ بها ، ولكن ليقال : قام فقال فعوقب فصبر ! وأهوِنْ بها ! [وَيْلكَ] لو كانت العقوبة [فاهْتبلْها إذ غَفَرْتُ] ؛ ١٥ وأنا أنذركم أيها الناس أختَها ؛ فإن الموعظة علينا نزلت ، وفينا انبثت .

ثم رجع إلى موضعه من الخطبة .

وخطبة أيضا للمنصور بمكة

وخطب بمكة فقال أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده وتأييده ؛ وحارسُه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ؛ ٢٠ فقد جعلنى الله عليه قفلا ، إن شاء أن يفتحنى فتحَنى لإعطائكم وقسْم أرزاقكم ؛ فإن شاء أن يُقفلنى عليها أقفلنى ؛ فارغبوا إلى الله وسلوه فى هذا اليوم الشريف

الذى وهب لكم من فضله ما أعلمكم به فى كتابه إذ يقول : ﴿ اليَومَ أكملْتُ لكمْ دِينَكم وأتممتُ علَيْكُمْ نعمتى ورَضيتُ لكم الإِسْلامَ دينا ﴾ أن يوفقنى للرشاد وللصواب ، وأن يلهمنى الرأفة بكم والإحسان إليكم ؛ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

وخطبة لسليمان بن على

٥

﴿ولقد كتَبْنا فى الزَّبورِ من بَعدِ الذِّكْرِ أنَّ الأرضَ يرِثُها عِبادىَ الصَّالحونَ . إنّ فى هـذا لبَلاغاً لقَوْمٍ عابِدينَ ﴾ قضاءٌ مبرم ، وقولٌ فصل ، ماهو بالهزل ؛ الحمد لله الذى صدَق عبده ، وأنجز وعده ، وبُعداً للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضا ، والفىء إرثا ، والدين هزوا ، وجعلوا القرآن عِضِين ، لقد حاق بهم ماكانوا به يستهزئون ، فكائنْ ترى من بئرٍ مُعطَّلة وقصْرٍ مَشيد ؛ ذلك بما قدمتْ أيديهم وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد ؛ أمهلوا والله حتى نبذوا الكتاب ، واضطهدوا العِترة ، ونبذوا السُّنة ، [وعَنَدوا] واعتدوا ، واستكبروا ، وخاب كل جبار عنيد ثم أخذهم ، فهل تحِسُّ منهم من أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم ركزاً ؟

١٠

خطبة عبد الملك بن صالح بن على

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ﴿أفلا يَتَدبرونَ القرآنَ أم على قُلوبٍ أقفالُها ﴾ يأهل الشام ، إن الله وصف إخوانكم فى الدين وأشباهَكم فى الأجسام ، فحذرهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال : ﴿ وإذا رأَيْتَهُمْ تُعجِبكَ أجسامُهم وإن يَقولوا تسْمَعْ لِقَولهم كأنهم خُشُبٌ مُسنَّدةٌ يَحْسَبونَ كلَّ صَيْحةٍ عليهم، هُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهمْ ، قاتَلَهُم الله أنى يُؤْفَكُون ﴾ . فقاتلكم الله أنى تُصرفون ! جثث ماثلة ، وقلوب طائرة ، تشبُّون الفتن وتولون الدُّبر إلا عن حرم الله فإنه دريئتكم ، وحرمِ رسوله فإنه مغزاكم ؛ أما وحرمة النبوة والخلافة ، لتنفِرنَّ خفافا وثقالا ، أو لأُوسِعنَّكم إرغاما ونكالا .

١٥

٢٠

وخطب صالح بن علي

يا أعضاد النفاق وعبُد الضلالة ، أغرّكم لين إبساسى وطولُ إيناسى ؛ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفُلول حدّ ، وفتور جدّ ، وخور قناة ! كذبت الظنون : إنها العِترة بعضها من بعض ، فإذا قد استوليتم العافية فعندى فصال وفطام وسيف يقدّ الهام ، وإنى أقول :

أغرّكمُ أنّى بأكرم شيمةٍ ° رفيقٌ وأنّى بالفواحِشِ أخرقُ
ومثْلى إذا لم يُجزَ أحسنَ سعيِه ° تكلَّمُ نُعمَاه بِفيها فتنطِق
لعمْرِى ! لقد فاحشْتَنى فغلَبتنى ° هنيئاً مريئاً أنتَ بالفُحْشِ أرْفق

وخطب داود بن على بالمدينة

فقال : أيها الناس . حتّام يهتف بكم صريخُكم ؟ أما آن لراقدكم أن يهب من نومه ؟ ﴿ كلا بلْ رانَ على قلوبِهم ما كانُوا يَكْسِبُون ﴾ ! أغرّكم الإمهالُ حتى حسبتموه الإهمال ؟ هيهات منكم وكيف بكم والسوط فى كفى والسيف مُشهر :

حتى يُبيد قبيــلة فقبيلةً ° ويَعضّ كلَّ مُثقَّفٍ بالهامِ
ويُقِمْنَ رباتِ الخدُورِ حواسِراً ° يَمسحْنَ عُرْضَ ذَوائبِ الأيْتام

خطبة داود بن على بمكة

وخطب داود بن على بمكة : شكراً شكراً ! والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهراً ولا لنبتنى فيكم قصراً ، أظنّ عدوّ الله أن لن يُظفَر به ، إذ مُدّ له فى عنانه ، حتى عثر فى فضل زمامه ! فالآن عاد الأمر فى نصابه ، وطلَعت الشمس من مَشْرقها ، والآن تولّى القوس باريها ، وعادت النبل إلى النّزعة ، ورجع الأمر إلى مُستقرّه ، فى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة ، فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا ، ولا تجعلوا النِّعم التى أنعم الله عليكم سبباً إلى أن تُتيح هلكتكم ، وتزيل النّعم عنكم .

خطبة المهدى

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضىَ به من خلقه ، أحمدُه على آلائه ، وأمجّده لبلائه ، وأستعينه وأومن به ، وأتوكل عليه توكُّل راضٍ بقضائه ، وصابر لبلائه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المجتبي ، ورسولُه إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ؛ أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطموس العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمّة جاهلية ، مختلفة أمية ، أهل عداوة وتضاغن ، وفُرقة وتَباين ، قد استهوتهم شياطينهم ، وغلب عليهم قرَناؤهم ، فاستشعروا الرَّدى ، وسلكوا العمَى ، يبشّر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، ويُنذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ﴿ ليَهلِكَ مَن هَلكَ عن بيِّنة ويَحيَى من حىّ عن بيِّنة وأنّ الله لَسميع عليم ﴾ .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ؛ وأحُثُّكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانتهاء إلى ما يقرِّب من رحمته ويُنجى من سخطه ، ويُنال به ما لديه من كريم الثواب ؛ وجزيل المآب ؛ فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ؛ يوم توَقفون بين يدى الجبار ، وتعرَضون فيه على النار ﴿ يومَ لا تَكلَّم نفْسٌ إلا بإذنِه . فنهم شقىٌّ وسعيد ﴾ ؛ ﴿ يومَ يفرُّ المرء من أخيه ، وأمّه وأبيه ، وصاحبته وبنيه . لكلِّ آمرئ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغنيه ﴾ ؛ ﴿ يومَ لا تَجزى نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يُقبل منها عدلٌ ولا تنفعُها شفاعة ولا هم يُنصَرون ﴾ ؛ ﴿ يومَ لا يَجزى والدٌ عن ولدهِ ولا مولودٌ هو جازٍ عَن والدهِ شيئاً ؛ إنَّ وعْد الله حقٌّ فلا تغُرَّنّكمُ الحياة الدنيا ولا يغرّنّكم بالله الغَرورُ ﴾ ؛ فإن الدنيا دارَ غُرور ، وبلاء وشُرور ، واضمحلالٍ وزوال ، وتقلُّبٍ وآنتقال ؛ قد أفنت من كان قبلكم ، وهى عائدة عليكم وعلى من بعدكم ؛ من ركَن إليها صَرَعَته ، ومن وثِق بها خانته ؛ ومن أمَلَها كذَبته ، ومن رجاها خذلته ؛ عزُّها ذُل ، وغِناها فقر ؛ والسعيدُ من تركها ، والشقىّ

فيها من آثرها ، والمغبون فيها مَن باع حَظَّهُ من دارِ آخرته بها ؛ فالله الله عبادَ الله والتوبةُ مقبولة ، والرحمة مبسوطة ؛ وبادِروا بالأعمال الزكية فى هذه الأيام الخالية قبل أن يؤخذ بالكَظم ، وتندموا فلا تُقالون بالندم ، فى يوم حسرةٍ وتأسُّف وكآبة وتلهُّف ؛ يومٌ ليس كالأيام ، وموقف ضنك المُقام ، إن أحسن الحديث

٥ وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وإذا قرِئَ القرآن فٱستمعوا له وأنصِتوا لعلّكم تُرحمون ﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم ! بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ أَلْهاكُمُ التَّكاثر حتى زُرتمُ المقابِر . كلاَّ سوف تعْلمون . ثم كلاَّ سوف تعلمون . كلاَّ لو تعلمون عِلم اليقين لتَرَوُنَّ الجحيم . ثم لَترَوُنَّها عيْنَ اليقين . ثم لَتُسأَلُنَّ يومئذٍ عن النَّعيمِ ﴾ .

١٠ أوصيكم عباد الله بما أوصاكم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأرضى لكم طاعة الله ، وأستغفر اللهَ لى ولكم .

خطبة هارون الرشيد

الحمد لله ؛ نَحمَده على نِعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقا ، ونتوكل عليه مفوِّضين إليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله

١٥ وحده لا شريك له ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بعثه الله على فَترةٍ من الرسل ، ودروسٍ من العلم ، وإدبارٍ من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ؛ بشيراً بالنعيم المقيم ؛ ونذيراً بين يَدىْ عذابٍ أليم ، فبلّغ الرسالة ، ونَصح الأمة ، وجاهد فى الله ، فأدّى عن الله وعدَه ووعيدَه حتى أتاه اليقين ؛ فعلى النبىِّ من الله صلاةٌ ورحمة وسلام .

٢٠ أوصيكم عباد الله بتقوى الله ؛ فإن فى التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاة من النار ؛ وأحذركم يوما تَشخص فيه الأبصار ، وتُبلى فيه الأسرار ، يومَ البعث ويومَ التغابن ، ويوم التلاقى ويوم التنادى ، يوم لا يُستعتَب من سيئة ولا يُزداد من حسنة ؛ ﴿ يومَ الآزفة ، إذ القلوبُ

لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع ، يعلمُ خائنةَ الأعين وما تُخفى الصُّدور ؛ واتقوا يوما تُرجَعون فيه إلى الله ، ثم تُوفَّى كلُّ نفسٍ ما كسَبَتْ وهم لا يُظلمون﴾ .

عباد الله : إنكم لم تُخلقوا عبثا ، ولن تُتركوا سُدًى : حصّنوا إيمانكم بالأمانة ، ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ؛ فقد جاء فى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا إيمانَ لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا زكاةَ له . إنكم سَفْرٌ مجتازون وأنتم عن قريبٍ تنتقلون من دار فناء إلى دار بقاء ؛ فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ؛ فإن الله تعالى ذِكره أوجب رحمتَه للمتقين ، ومغفرتَه للتائبين ، وهُداه للمنيبين ؛ قال الله عز وجل وقوله الحق ﴿ورحمتى وسعتْ كلَّ شىء ، فسأكتُبها للذين يتَّقون ويُؤتون الزكاةَ﴾ . وقال ﴿وإنى لغفّارٌ لمن تاب وآمن وعمِل صالحاً ثم اهتدى﴾ . وإياكم والأمانىَّ ، فقد غرّت وأوردتْ وأوبقت كثيراً حتى أكذبتْهم مناياهم ، فتناوَشوا التوبةَ من مكان بعيد ، وحيلَ بينهم وبين ما يشتهون ؛ فأخبرَكم ربُّكم عن المَثلات فيهم ، وصَرَّف الآيات ، وضرب الأمثال ، فرغَّب بالوعد وقدّم إليكم الوعيد ، وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالى جِيلا لجيلا ، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحُولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ، وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتْهم إلى أعمالهم عند الموقف والحساب والعقاب ﴿ليَجزىَ الذين أساءوا بما عملوا ويَجزىَ الذين أحسنوا بالحُسنى﴾ .

إنَّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتابُ الله ؛ يقول الله عز وجل ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمِعوا له وأنصِتوا لعلَّكم تُرحمون﴾ . أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قل هو الله أحدٌ ، اللهُ الصَّمدُ ، لم يَلِدْ ولم يُولدْ ولم يكن له كُفُواً أحدٌ﴾ . آمرُكم بما أمركم الله به ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ، وأستغفر اللهَ لى ولكم .

خطبة المأمون فى يوم الجمعة

الحمد لله مستخلِص الحمدِ لنفسه ، ومستوجبه على خلقه : أحمدُه وأستعينُه ؛ وأومن به وأتوكل عليه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله ؛ أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أُوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله وحده ، والعمل لما عنده ، والتنجُّز لوعده ، والخوف لوعيده ؛ فإنه لا يسلَم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه . فاتقوا الله عباد الله وبادروا آجالكم بأعمالكم ؛ وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ويفنى ، وترحلوا عن الدنيا ، فقد جُدّ بكم ، واستعدّوا للموت فقد أظلّكم ، وكونوا كقوم صِيح بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدارٍ فاستبدلوا ؛ فإن الله عز وجل لم يخلقكم عبثا ، ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة الواحدة لجديرة بقصر المدة . وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار لجدير بسرعة الأوْبة ، وإن قادما يحل بالفوز أو الشقوة لَمستحِقٌّ لأفضل العدة ، فاتقى عبدٌ ربه ونصح نفسه وقدّم توبته وغلب شهوته ، فإن أجلَه مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكّل به يزيّن له المعصية ليركبها ، ويُمنّيه التوبةَ ليسوِّفها ، حتى تهجم عليه منيّته أغفلَ ما يكون عنها ، فيالها حسرةً على كل ذى غفلة أن يكون عمرُه عليه حُجة ، أو تؤدّيه أيامه إلى شِقْوة ؛ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن لا تُبطره نعمة ، ولا تُقصِّر به عن طاعة ربه غفلة ، ولا يَحِل به بعد الموت فَزْعة ، إنه سميع الدعاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، فعّال لما يريد .

خطبة المأمون يوم الأضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يومٌ أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظّم حُرمته ، ووفّق له من خلقه صفوتَه ، وابْتلى فيه خليله ، وفدَى

فيه من الذبح العظيم نبيّه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومُقدّم الأيام المعدودات من النفْر ، يومٌ حرامٌ من أيام عظام فى شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يومٌ دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن العظيم بتعظيمه ، قال الله عز وجل : ﴿ وأذّنْ فى النّاس بالحجّ يأتُوكَ رِجالاً وعلى كلّ ضامِرٍ يأتينَ من كل فجّ عميقٍ ﴾ فتقربوا إلى الله فى هذا اليوم بذبائحكم ، وعظّموا شعائر الله ، واجعلوها من طيّب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : ﴿ لنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها ولادِماؤُها ولكنْ ينالُهُ التّقوى منكم ﴾ . ٥

ثم التكبير والتحميد ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والوصية بالتقوى ثم ذكر الموت ، ثم قال :

وما من بعده إلا الجنة أو النار ، عظُم قدر الدارين ، وارتفع جزاء العَملين وطالت مدة الفريقين ؛ الله الله ، فوالله إنه الجِدُّ لا اللّعِب ، والحقُّ لا الكِذب . وما هو إلا الموتُ والبعثُ والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب . فمن نجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوَى يومئذ فقد خاب ، الخير كلُّه فى الجنة ، والشرُّ كله فى النار . ١٠

وخطبة المأمون فى الفطر ١٥

قال بعد التكبير والتحميد : ألا وإن يومَكم هذا يومُ عيدٍ وسُنّة ، وابتهال ورغْبة ، يومٌ ختَم الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حج بيتِه الحرام ، فجعله [خاتمة الشهر ، و] أول أيام شهور الحج ، وجعله مُعقبًا لمفروض صيامكم ، ومُتنفَّل قيامكم ، أحلّ الله لكم فيه الطعام ، وحرّم عليكم فيه الصيام ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه بتفريطكم . فإنه يقال : لا كبير مع ندم واستغفار ، ولا صغير مع تمادٍ وإصرار . ٢٠

ثم كبّر وحمد وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوصى بالبر والتقوى ، ثم قال :

اتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذى اعتدل فيه يقينُكم ولم يحضر الشك فيه أحداً منكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لا تُستقال بعده عَثْرة ، ولا تُحظَر قبله توبة : واعلموا أنه لا شىء [قبله إلا دونه ، ولا شىء] بعده إلا فوقه : ولا يعين على جزعه وعَلَزه وكُرَبه ، وعلى القبر وظلمته ووحشته وضيقه
٥ وهول مطلعه ومسألة ملَكيه — إلا العمل الصالح الذى أمر الله به ، فمن زلّت عند الموت قدمُه ، فقد ظهرت ندامتُه ، وفاتته استقالتُه ، ودعا من الرجعة إلى ما لا يجاب إليه ، وبذل من الفدية ما لا يقبل منه ؛ فالله الله عباد الله ، كونوا قوماً سألوا الرجعة فأُعطوها إذ مُنِعَها الذين طلبوها ، فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم ، إلا هذا الأجل المبسوط لكم : فاحذروا ما حذركم الله فيه ، واتقوا اليوم
١٠ الذى يجمعكم الله فيه لوضع موازينكم ، ونشر صحفكم الحافظة لأعمالكم ، فلينظر عبد ما يضع فى ميزانه مما يثقل به وما يملى فى صحيفته الحافظة لما عليه وله ؛ فقد حكى الله لكم ما قال المفرّطون عند ما طال إعراضهم عنها ؛ قال جل ذكره : ﴿ ووُضِعَ الكِتابُ فترَى المُجْرمين مُشْفِقين مِمَّا فيه ويقولونَ : ياوَيْلتَنا ما لهذا الكِتابِ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلّا أحصاها ؟ ووَجدُوا ما عَمِلوا حاضِراً
١٥ ولا يَظْلِمُ ربُّك أحداً ﴾ . وقال : ﴿ ونضعُ الموازينَ القِسْطَ ليوْمِ القيامةِ فلا تُظْلَمُ نفسٌ شيئاً ، وإن كان مِثْقالَ حبّةٍ من خرْدل أتينا بها وكفى بنا حاسِبين ﴾ ؛ ولست أنهاكم عن الدنيا بأكْثر مما نهتكم به الدنيا عن نفسها ، فإن كل ما بها يحذّر منها وينهى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم مما رأته أعينكم من فجائعها وزوالها ، ذمُّ كتاب الله لها والنهى عنها ؛ فإنه يقول تبارك
٢٠ وتعالى : ﴿ فلا يغُرَّنّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يَغُرَّنّكُمْ باللهِ الغَرورُ ﴾ . وقال : ﴿ إنما الحياة الدنيا لعِبٌ ولهْوٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ بينكُمْ وتكاثُرٌ فى الأمْوال والأوْلادِ ﴾ . فانتفعوا بمعرفتكم بها وبإخبار الله عنها ، واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فحذِروا مصارعها وجانبوا خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها وأدركوا الجنة بما يتركون منها

خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح أفريقية

قدم عبد الله بن الزبير على عثمان بن عفان بفتح إفريقية ، فأخبره مشافهة وقص عليه كيف كانت الوقعة ، فأعجب عثمان ما سمع منه ، فقال له : يا بنىّ ، أتقوم بمثل هذا الكلام على الناس ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أَهْيَبُ لك منى لهم ! فقام عثمان فى الناس خطيبا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ٥ إن الله قد فتح عليكم إفريقية ، وهذا عبد الله بن الزبير يخبركم خبرها إن شاء الله ، وكان عبد الله بن الزبير إلى جانب المنبر ، فقام خطيبا ، وكان أول من خطب إلى جانب المنبر ، فقال :

الحمد لله الذى ألَّف بين قلوبنا وجعلنا متحابِّين بعد البِغضة ، الذى لا تُجْحَد نعماؤه ، ولا يزول مُلكه ؛ له الحمد كما حَمِد نفسَه ، وكما هو أهله ، انتخب محمدا صلى ١٠ الله عليه وسلم فاختاره بعلمه ، وائتمنه على وحيه ، واختار له من الناس أعوانا قَذَف فى قلوبهم تصديقه ومحبّته ، فآمنوا به وعزّروه ووقّروه وجاهدوا فى الله حق جهاده ، فاستشهد الله منهم من استشهد على المنهاج الواضح ، والبيع الرابح ، وبقى منهم من بقى ، لا تأخذهم فى الله لومةُ لائم .

أيها الناس ، رحمكم الله ! إنا خرجنا للوجه الذى علمتم ، فكنا مع والٍ ١٥ حافظ ، حَفِظَ وصية أمير المؤمنين ، كان يسير بنا الأَبْرَدَيْن ، ويخفض بنا فى الظهائر ، ويتخذ الليل جملا ، يعجل الرِّحلة من المنزل الجدب ، ويطيل اللبث فى المنزل الخصب ، فلم نزل على أحسن حالة نعرفُها من ربنا ، حتى انتهينا إلى إفريقية ، فنزلنا منها حيث يسمعون صهيل الخيل ، ورغاء الإبل ، وقعقعة السلاحْ فأقمنا أياما نُجِمُّ كُرَاعنا ! ونُصلح سلاحنا ؛ ثم دعوناهم إلى الإسلام والدخول ٢٠ فيه ، فأبعَدوا منه ، فسألناهم الجزية عن صَغار أو الصلح ، فكانت هذه أبعد ؛ فأقمنا عليهم ثلاث عشرة ليلة ، نتأنّاهم وتختلف رسلنا إليهم ، فلما يئس منهم ، قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر فضل الجهاد وما لصاحبه إذا صبر واحتسب ، ثم نهضنا إلى عدونا وقاتلناهم أشد القتال يومنا ذلك ، وصبر فيه الفريقان ، فكانت

بيننا وبينهم قتلى كثيرة ، واستشهد الله فيهم رجالا من المسلمين ، فبتنا وباتوا وللمسلمين دَوِىٌّ بالقرآن كدوىِّ النحل ، وبات المشركون فى خمورهم وملاعبهم ؛ فلما أصبحنا أخذنا مصافنا التى كنا عليها بالأمس ، فزحف بعضنا على بعض ، فأفرغ الله علينا صبره وأنزل علينا نصره ، ففتحناها من آخر النهار ، فأصبنا غنائم كثيرة ، وفَيْئاً واسعا ، بلغ فيه الخُمُسُ خمسمائة ألف : فصَفَق عليها مروان ابن الحكم ، فتركت المسلمين قد قرت أعينهم وأغناهم النفَلُ ، وأنا رسولهم إلى أمير المؤمنين أبشّره وإياكم بما فتح الله من البلاد ، وأذلّ من الشِّرك ؛ فاحمدوا الله عباد الله على آلائه وما أحل بأعدائه من بأسه الذى يُردُّ عن القوم المجرمين.

ثم سكت فنهض إليه أبوه الزبير فقبل بين عينيه وقال : ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليمٌ . يا بُنَىَّ : مازلت تنطق بلسان أبى بكر حتى صَمَتَّ .

خطبة عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل المصعب

صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم سكت ؛ فجعل لونه يحمرّ مرة ويصفر مرة ؛ فقال رجل من قريش لرجل إلى جانبه : ماله لا يتكلم ؟ فوالله إنه للبيب الخطباء ! قال : لعله يريد أن يذكر مقتل سيد العرب ، فيشتد ذلك عليه ، وغير ملوم ! ثم تكلم فقال :

الحمد لله ، له الخلق والأمر والدنيا والآخرة ؛ يُؤتى المُلْكَ من يشاء ، وينزعُ المُلك ممّنْ يشاء ، ويُعِز من يشاء ، ويُذلُّ من يشاء . أما بعد : فإنه لم يُعِزَّ الله من كان الباطلُ معه ، وإن كان معه الأنامُ طُرًّا ؛ ولم يُذِل من كان الحقّ معه ، وإن كان فرداً . ألا وإن خبَراً من العراق أتانا فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذى أحزننا فإن لفراق الحميم لوعة يجدها حميمه ، ثم يرعوى ذوو الألباب إلى الصبر وكريم العزاء ؛ وأما الذى أفرحنا فإن قتل المصعب له شهادة ولنا ذخيرة . أسلمه النعام المصلَّم الآذان ؛ ألَا وإنّ أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذى كانوا يأخذون منه ؛ فإن يُقتل فقد قُتِل أخوه وأبوه وابن عمه ، وكانوا الخيارَ الصالحين . وإنا والله لا نموت حتفا ، ولكن قَعْصاً بالرماح ،

وموتا تحت ظلال السيوف ؛ ليس كما يموت بنو مروان ! ألا إنما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذى لا يبيد ذكره . ولا يزول سلطانه ؛ فإن تُقبل الدنيا على لم آخذها أخذَ الأشِر البطر ؛ وإن تُدبر عنى لم أبكِ عليها بكاء الخرِق المهين ثم نزل .

خطبة زياد البتراء ٥

قال أبو الحسن المدائنى عن مسلمة بن محارب عن أبى بكر الهذلى قال : قدم زياد البصرة والياً لمعاوية بن أبى سفيان وضم إليه خراسان وسجستان ؛ والفِسق بالبصرة ظاهر فاشٍ . فخطب خطبة بتراء ، لم يحمد الله فيها ؛ وقال غيره بل قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه . اللهم كما زدتَنا نعماً فألهمنا شكراً . ١٠

أما بعد ، فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والعَمَى الموفى بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم من الأمور العظام ، ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير ؛ كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ، ولم تسمعوا بما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا ، وسدت مسامعه ١٥ الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تُسبقوا إليه ، من ترككم . هذه المواخير المنصوبة ، والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر ، والعددُ غير قليل . ألم يكن منكم نُهاة تمنع الغواة عن دلَج الليل وغارة النهار ؟ قربتم القرابة ، وباعدتم الدِّين ؛ تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على المختلس ؛ كلُّ أمرئ منكم يذبُّ عن سفيهه ، صنيعُ من لا يخاف ٢٠ عاقبة ولا يرجو معادا ؛ ما أنتم بالحلماء ، ولقد اتبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرمَ الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم ،

كنوساً فى مكانس الرِّيب ؛ حرامٌ علىَّ الطعام والشراب حتى أُسَوِّيها بالأرض هَدْما وإحراقا .

إنى رأيت آخرَ هذا الأمر لا يصْلُح إلا بما صَلَح به أوله ، : لينٌ فى غير ضَعْف ، وشدة فى غير عُنْف ، وإنى أُقْسِمُ بالله لآخُذَنَّ الولِيَّ بالمولى ، والمقيم بالظاعن ، والمقْبِلَ بالمدبر ، والصحيح بالسقيم ؛ حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انجُ سعْد فقد هلكَ سُعَيد ! أو تستقيمَ لى قناتُكم . إنّ كذْبةَ الأمير بلْقاء مشهورة فإذا تعلقتم علىَّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتى . مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب له ؛ فإياى ودلَجَ الليل ، فإنى لا أُوتَى بمدْلِج إلا سفكتُ دمه ، وقد أجَّلتكم فى ذلك بقدر ما يأتى الخبر الكوفةَ ويرجع إليكم ؛ وإياى ودعْوى الجاهلية ، فإنى لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعتُ لسانه . وقد أحدثتم أحداثا لم تكن وقد أحدثنا لكل ذَنْبٍ عقوبة ، فمن غرّقَ قوما غرَّقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقَب بيتا نقَبْنا عن قلبه ، ومن نبش قبرا دفنّاه فيه حيا ؛ فكُفوا عنى ألسنتكم وأيديكم ، أكفَّ عنكم يدى ولسانى ؛ ولا يظْهرنَّ من أحدٍ منكم ريبةٌ بخلاف ماعليه عامّتُكم إلا ضربت عُنُقه . وقد كانت بينى وبين قوم إحَنٌ فجعلت ذلك دَبرَ أُذنى وتحت قدمى ؛ فمن كان محسنا فليزدَدْ فى إحسانه ، ومن كان مسيئا فلينزع عن إساءته ؛ إنى لو علمت أن أحدَكم قد قتله السلُّ من بُغْضِى لم أكشف له قناعا ولم أهتِك له سِتراً حتى يُبْدِيَ لى صفحته . فإن فعل ذلك لم أنظره ؛ فاستأنفوا أموركم ، واستعينوا على أنفسكم ؛ فرب مبتئس بقدومنا سيُسَرّ ؛ ومسرورٍ بقدومنا سيَبتئس .

أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ؛ نسوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خوّلنا ؛ فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحببنا ؛ ولكم علينا العدل فيما ولِينا ؛ فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا ؛ واعلموا أنى مهما أُقصِّرُ عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبا عن طالب حاجة ولو أتانى طارقا بليل ، ولا حابساً عطاءً ولا رزقا عن إبّانه ، ولا مُجمِّراً لكم بعثا ؛

فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذى إليه تأوون؛ ومتى يصلحوا تصلحوا؛ ولا تُشربوا قلوبكم بغضَهم؛ فيشتد لذلك أسفُكم، ويطول له حزنكم، ولا تدركوا له حاجتكم؛ مع أنه لو آستجيب لكم فيهم لكان شرا لكم. أسأل الله أن يُعين كلا على كل. وإذا رأيتمونى أنفذ فيكم أمراً فأنفذوه على أذلاله، وآيم الله إن لى فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاى. ثم نزل.

فقام إليه عبد الله بن الأهتم، فقال: أشهد أيها الأمير، لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب! قال له: كذبت! ذاك داود صلى الله عليه وسلم.

فقام الأحنف بن قيس فقال: إنما الثناء بعد البلاء، والحمد بعد العطاء، وإنا لن نُثنىَ حتى نبتلى. قال له زياد: صدقت!

فقام أبو بلال [مِرداس بن أُدَيَّة] وهو يهمس ويقول: أنبأنا الله تعالى بخلاف ماقلت؛ قال الله تعالى: ﴿وإبراهيمَ الذى وفَّى، أنْ لا تَزِرُ وازرَةٌ وِزْرَ أُخرَى، وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ماسَعى﴾. فسمعها زياد، فقال: إنا لانبلغ من أصحابك ماتريد حتى نخوض إليهم الباطلَ خوضا.

وخطبة لزياد

استوصوا بثلاثٍ منكم خيراً: الشريفِ، والعالم، والشيخ، فوالله لايأتينى شيخٌ بحدَثٍ آستخفّ به إلا أوجعتُه، ولا يأتينى عالم بجاهل استخفّ به إلا أنكلتُ به ولا يأتينى شريفٌ بوضيع استخفّ به إلا ضربته.

وخطبة لزياد

خطب زياد على المنبر فقال:

أيها الناس لايمنعْكم سوء ماتعلمون منا أن تنتفعوا بأحسن ماتسمعون منا، فإن الشاعر يقول:

اَعمَلْ بِقولى وإنْ قصَّرتُ فى عملى * يَنفعْكَ قولى ولا يضْرركَ تقصيرى

وخطبة لزياد

العتبى قال : لما شهدت الشهود لزياد قام فى أعقابهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

هذا أمر لم أشهدْ أوله ، ولا علِمَ لى بآخره ، وقد قال أمير المؤمنين مابلغكم ،
٥ وشهدَتِ الشهودُ بما سمعتم ، فالحمدُ لله الذى رفع منا ما وضع الناس ، وحفظ منا ماضيّعوا ، فأما عُبَيْدٌ فإنما هو والد مبرور ، أو كافل مشكور .

خطبة لجامع المحاربى

وكان شيخا صالحا خطيبا لَسِناً ، وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط : بنيتَّها فى غير بلدك ، وأورثتَّها غير ولدك !

١٠ وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق ونقَم مذهبَهم وتسخّط طريقتهم ، فقال له جامع : أما إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك ، على أنهم ماشنئوك لنسبك ، ولا لبلدك ولا لذات نفسك ، فدع عنك ما يُبْعِدهُم منك إلى مايقرّبهم إليك ، والتمس العافية ممن دونك ، تمطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

قال الحجاج : إنى والله ما أرى أن أرد بنى اللكيعة إلى طاعتى إلا بالسيف !

١٥ قال له : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار قال الحجاج : الخيار يومئذ لله . قال : أجل ، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله . وغضب الحجاج فقال : يا هَناه ، إنك من محارب . فقال جامع :

وللحرْبِ سُمِّينا وكنَّا مُحاربا ً * إذا ما القَنا أمسى من الطّعْنِ أحْمَرا

والبيت للخضرى . قال الحجاج : والله لقد هممت أن أقطع لسانك فأضرب
٢٠ به وجهك !

قال جامع : إن صَدَقناك أغضبناك ، وإن غَشَشناك أغضبْنا الله ، فغضبُ الأمير أهون علينا من غضبِ الله ! قال : أجل .

وشُغِل الحجاج ببعض الأمر ، فانسل جامع ، فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز إلى خيل أهل العراق — وكان الحجاج لا يخلطهم — فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق ، وقيس العراق ، وتميم العراق ، وأزد العراق ؛ فلما رأوه اشرأبوا إليه وبلغهم خروجه ، فقالوا له : ما عندك ؟ دافع الله لنا عن نفسك ! فقال : ويحكم ! عُمّوه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ، ودعوا التعادِيَ ما عاداكم ، فإذا ظفرتم [به] تراجعتم وتعافيتم . أيها التميمى ، هو أعدى لك من الأزدى ؛ وأيها القيسى ، هو أعدى لك من التغلبىّ ؛ وليس يظفر بمن ناوأه منكم إلا بمن بقى معه .

وهرب جامع من فوره ذلك إلى الشام ، فاستجار بزفر بن الحارث .

خطبة للحجاج بن يوسف

خطب الحجاج فقال : اللهم أرنى الغىّ غيًا فأجتنبه ، وأرنى الهدى هُدًى فأتبعَه ، ولا تَكلْنى إلى نفسى فأضِلَّ ضلالا بعيداً ! والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا لى بعمامتى هذه ، ولما بقى منها أشبهُ بما مضى من الماء بالماء .

وخطبة للحجاج

قال الهيثم بن عدى : خرج الحجاج بن يوسف يوما من القصر بالكوفة ، فسمع تكبيرا فى السوق ، فراعه ذلك ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يأهل العراق ، يأهلَ الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق ، وبنى اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأولاد الإماء ، والفَقع بالقرقر ؛ إنى سمعت تكبيرا لا يُراد به الله وإنما يراد به الشيطان ؛ وإنما مثلى ومثلكم ما قال ابن براقة الهمدانى :

وكنتُ إذا قومٌ غزَوْنى غزوتُهم ٭ فهل أنا فى ذا يالَهَمْدانَ ظالمُ ؟
متى تجمعِ القلبَ الذكىَّ وصارِمًا ٭ وأنفاً حمِيًّا تجتنبْكَ المظالمُ !

أما والله لا تقرع عصًا بعصا إلا جعلتها كأمس الدابر .

خطبة الحجاج بعد دير الجماجم

خطب أهلَ العراق فقال :

يأهل العراق ، إن الشيطان استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشغاف : ثم أفضى إلى المِخاخ والصماخ ، ثم ارتفع فعشش ؛ ثم باض وفرخ ، فحشاكم شقاقا ونفاقا ، أشعركم خلافا اتخذتموه دليلا تتبعونه ، وقائدا تطيعونه ، ومؤامرا تستشيرونه ، فكيف تنفعكم تجربة ، أو تعظكم وقعة ، أو يحجزكم إسلام ، أو يردكم إيمان ؟ ألستم أصحابى بالأهواز حيث رمتم المكر : وسعيتم بالغدر ، واستجمعتم للكفر ، وظننتم أنّ الله تعالى يخذل دينه وخلافته ، وأنا أرميكم بطرْفى وأنتم تتسللون لِواذا ؛ وتنهزمون سراعا ؛ ثم يوم الزاوية : وما يوم الزاوية ؟ بها كان فشلُكم وتنازُعكم وتخاذُلكم وبراءةُ الله منكم ونكوصُ وليِّكم عنكم ؛ إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها : لا يسأل المرء منكم عن أخيه ، ولا يلوى الشيخ على بنيه ، حتى عضكم السلاح ، وقصمتكم الرماح ، ثم يوم دير الجماجم : وما دير الجماجم ؟ بها كانت المعارك والملاحم ، بضربٍ يُزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله .

يأهل العراق والكفرات بعد الفجرات ؛ والغدرات بعد الخترات ، والنّزوة بعد النّزوات ، إن بعثْتكم إلى ثغوركم غُللتم وخُنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ؛ لا تذكرون حسنة ، ولا تشكرون نعمة !

يأهل العراق : هل استخفّكم ناكث ، أو استغواكم غاوٍ ، أو استفزكم عاص أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم خالع — إلا وثقتموه وآويتموه وعزّرتموه ونصرتموه ورضيتموه .

يأهل العراق ؛ هل شغَب شاغب ، أو نعَب ناعب ، أو نعق ناعق ، أو زفر زافر ، إلا كنتم أتباعه وأنصاره . يأهل العراق ، ألم تنهكم المواعظ ؟ ألم تزجركم الوقائع ؟

ثم التفت إلى أهل الشام فقال : يأهل الشام ، إنما أنا لكم كالظليم الذابّ عن فراخه : ينفى عنها المدر ، ويباعد عنها الحجر ويكنّها من المطر ، ويحميها من الضباب : ويحرُسها من الذئاب ؛ يا أهل الشام ، أنتم الجُنّةُ والرداء ، وأنتم العدة والحذاء .

وخطبة للحجاج ٥

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة ، فجلست قريبا من المنبر ، فصعد الحجاج ثم قال :

امرؤٌ حاسَبَ نفسه ؛ امرؤٌ راقب ربه ؛ امرؤٌ زوَّرَ عمله امرؤ فكر فيما يقرؤه غدا فى صحيفته ويراه فى ميزانه : امرؤ كان عند همه آمرا ، وعند هواه زاجرا ؛ امرؤ أخذ بعنان قلبه كما يأخذ الرجل بخطام جمله ، فإن قاده إلى حق تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفّه . إننا والله ما خُلقنا للفناء ، وإنما خُلقنا للبقاء ، وإنما ننتقل من دار إلى دار . ١٠

خطابة الحجاج بالبصرة

اتقوا الله ما استطعتم . فهذه لله وفيها مثوبة . ثم قال : «واسمعوا وأطيعوا» . فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيبِ الله عبدِ الملك بن مروان ، والله لو أمرتُ الناسَ أن يأخذوا فى باب واحد وأخذُوا فى بابٍ غيره ، لكانت دماؤهم لى حلالا من الله ، ولو قتل ربيعة ومضر لكان لى حلالا . عذيرى من هذه الحمراء ، يَرْ أحدُهم بالحجر إلى السماء ويقول : يكون إلى أن يقع هذا خيرٌ . والله لأجعلَنّهم كأمس الدابر ؛ عذيرى من عبْدِ هُذيل ، إنه زعم أنه آمن عند الله ، يقرأ القرآنَ كأنه رَجَزُ الأعراب ؛ والله لو أدركتُه لقتلتُه . ١٥ ٢٠

خطابة للحجاج بالبصرة

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله كفانا مئُونَةَ الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة فليتَه كفانا مئونةَ الآخرة وأمرنا بطلب الدنيا . مالى أرى علماءكم يذهبون ، وجُهّالكم

لا يتعلمون ، وشِرارَكم لا يتوبون ؟ مالى أراكم تحرِصون على ما كُفيتم ، وتُضَيِّعُون مابه أُمِرتم ، إن العلمَ يوشِك أن يُرفع ، ورفْعُه ذهابُ العلماء . ألا وإنى أعلم بشراركم من البيطار بالفرس : الذين لا يقرؤن القرآنَ إلا هُجْرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُراً ؛ ألا وإن الدنيا عرَض حاضر يأكل منها البَرُّ والفاجر ؛ ألا وإن الآخرة أجلٌ مستأخر يحكم فيه مَلِكٌ قادر ؛ ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم ملاقوه ﴿ لِيَجْزِىَ الذين أساءوا بما عَمِلُوا ويَجزىَ الذينَ أحسَنوا بالحُسنَى ﴾ ألا وإن الخيرَ كلَّه بحذافيره فى الجنة ؛ ألا وإن الشرَّ كلَّه بحذافيره فى النار ؛ ألا وإنَّ من يعمل مثقالَ ذرّة خيرا يَرَه ، ومن يعمل مثقال ذرّةٍ شرا يره وأستغفر الله لى ولكم .

وخطبة للحجاج

خطب الحجاجُ أهل العراق فقال : ياأهل العراق إنى لم أجد لكم دواء أدوَى لدائكم من هذه المغازى والبعوث ، لولا طيب ليلة الإياب وفرحة القفَل ، فإنها تعقب راحة وإنى لا أريد أن أرَى الفرحَ عندكم ولا الرَّاحةَ بكم ؛ وما أراكم إلا كارهين لمقالتى ، أنا والله لِرؤيتكم أكرَهُ ، ولولا ما أريد من تنفيذ طاعة أمير المؤمنين فيكم ما حَمَّلْتُ نفسى مُقاساتكم والصبرَ على النظر إليكم ؛ والله أسأل حُسْنَ العون عليكم ! ثم نزل .

خطبة الحجاج حين أراد الحج

ياأهل العراق ، إنى أردتُ الحج ، وقد استخلفتُ عليكم ابنى محمدا ، وما كنتم له بأهل ؛ وأوصيتُه فيكم بخلاف ما أوصى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الأنصار ؛ فإنه أوصى أن يُقبل من محسنهم ويُتجاوز عن مسيئهم ، وأنا أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ! ألا وإنكم قائلون بعدى مقالة لا يمنعكم من إظهارها إلا خوفى ، تقولون : لا أحسن الله له الصحابة ! وإنى أعجِّل لكم الجواب : فلا أحسن الله عليكم الخلافة ! ثم نزل .

خطبة للحجاج

خرج الحجاج يريد العراق والياً عليها فى اثنى عشر راكباً على النجائب ، حتى دخل الكوفة [فجأةً] حين انتشر النهار ، وقد كان بشر بن مروان بعث المهلب إلى الحرورية ، فبدأ الحجاج بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر وهو ملثّم بعمامة خزّ ، فقال : علىّ بالناس ، فحسبوه وأصحابه خوارج ، فهمّوا به ، حتى إذا اجتمع الناس فى المسجد ، قام ، ثم كشف عن وجهه ، ثم قال :

أنا ٱبنُ جَلا وطلّاعُ الثّنايا ٭ متى أضعِ العِمامةَ تعرفونِى
صَليبُ العودِ من سَلَفَى رباحٍ ٭ كنصلِ السيفِ وضّاح الجبين
وماذا يبتغى الشُّعراءُ منى ٭ وقد جاوزتُ حدّ الأربعين
أخو خمسينَ مجتمِعٌ أشُدّى ٭ ونجّذنى مُداوَرة الشُّئون
وإنى لا يعودُ إلىّ قِرْنى ٭ غداةَ العبْء إلا فى قَرين

أما والله إنى لأحمل الشر بحمله ، وأحذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ؛ وإنى لأرى رءوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنى لصاحبُها ؛ وإنى لأنظر الدّماء بين العمائم واللّحى تترقرق :

٭ قد شمّرتْ عن ساقها فشمّر ٭

ثم قال :

هذا أوان الشدّ فاشتدّى زِيَمْ ٭ قد لفّها الليل بسوّاق حُطَمْ
ليس براعِى إبلٍ ولا غنمْ ٭ ولا بجزّارٍ على ظهرِ وضَم

ثم قال :

قد لَفها الليل بعَصْلَبِىّ ٭ أروعَ خرّاجٍ من الدوىّ
مهاجرٍ ليس بأعرابىّ

ثم قال :

قد شمّرت عن ساقها فشُدّوا ٭ ما علّتى وأنا شـــيخٌ إدّ
والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدٌ ٭ مثل ذراعِ البِكر أو أشدّ

إنى والله يأهل العراق ، ومعدنَ الشقاق والنفاق ، ومساوىَ الأخلاق ، لا يُغمز جانبي كتَغْماز التّين ، ولا يُقعقَع لى بالشنان ؛ ولقد فُررتُ عن ذكاء . وفتّشتُ عن تجربة ، وأجريت إلى الغاية القصوى ؛ وإنّ أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه ثم عجم عيدانَها ، فوجدنى أمرَّها عوداً وأشدّها مكسرا ، فوجهنى إليكم ، ورماكم بى ؛ فإنكم قد طالما أوضعتم فى الفتن وسننتم سنن الغىّ ؛ وايم الله لألحوَنّكم لحوَ العصا ، ولأقرعنكم قرع المرْوة ، ولأعصبنكم عصب السَّلمة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل ؛ أما والله لا أعِد إلا وفيت ؛ ولا أخلُق إلا فَريت ؛ فإياى وهذه الشفعاء ، والزرافات والجماعات ، وقالاً وقيلاً ، وما يقولون ؛ وفيم أنتم وذاك ؟ والله لتستقيمُنّ على طريق الحق ، أو لأَدَعن لكلّ رجل منكم شُغلا فى جسده ! من وجدته بعد ثالثة من بعث المهلب سفكت دمه ، وانتهبت ماله وهدمت منزله .

فشمّر الناس بالخروج إلى المهلب ؛ فلما رأى المهلب ذلك قال : لقد ولىَ العراقَ خيرُ ذكر .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك

قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى نعَى نبيَّكم صلى الله عليه وسلم إلى نفسه فقال ﴿ إنك ميِّت وإنهم ميِّتون ﴾ ؛ وقال ﴿ وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبله الرسلُ أفإن مات أو قتِل انقلبتمْ على أعقابِكم ﴾ ؟ فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومات الخلفاء الراشدون المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ، ثم تبعهم معاوية ؛ ثم وليكم البازل الذكر الذى

جرّبته الأمور ، وأحكمته التجارب مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللين لأهل الحق ، والوطء لأهل الزيغ ؛ فكان رابعاً من الولاة المهديين الراشدين ؛ فاختار الله له ماعنده ، وألحقه بهم ، وعهد إلى شِبْهه فى العقل والمروءة والحزم والجلد والقيام بأمر الله وخلافته ؛ فاسمعوا له وأطيعوه .

٥ أيها الناس ؛ إياكم والزَّيْغ ؛ فإن الزيغ لا يَحيق إلا بأهله ؛ ورأيتم سيرتى فيكم ، وعرفت خلافكم ، وقَبلتكم على معرفتى بكم ؛ ولو علمتُ أنّ أحداً أقوى عليكم منى ، أو أعرف بكم ، ماولِيتُكم ؛ فإياى وإياكم ؛ من تكلم قتلناه ؛ ومن سكت مات بدائه غما ! ثم نزل .

خطبة الحجاج

١٠ لما أصيب بولده محمد وأخيه محمد

أيها الناس ، محمّدان فى يوم واحد ! أما والله لقد كنتُ أحبّ أنهما معى فى الدنيا مع ما أرجو لهما من ثواب الله فى الآخرة ؛ وايم الله ليوشكن الباقى منى ومنكم أن يفنى ، والجديد منى ومنكم أن يبلى ، والحىّ منى ومنكم أن يموت ؛ وأن تُدال الأرض منا كما أُدِلنا منها ؛ فتأكل من لحومنا ؛ وتشرب ١٥ من دمائنا ؛ كما مشينا على ظهرها ، وأكلنا من ثمارها ، وشربنا من مائها ؛ ثم يكون كما قال الله ﴿ونُفخ فى الصُّور فإذا هم من الأجداث إلى ربِّهم ينْسِلونَ﴾ .
ثم تمثل بهذين البيتين :

عَزائى نبىُّ اللهِ من كلِّ ميِّتٍ * وحسْبى ثوابُ الله من كلِّ هالكِ
إذا ما لَقيتُ اللهَ عنى راضياً * فإنّ سُرورَ النفسِ فيما هُنالك

٢٠ خطب الحجاج فى يوم جمعة فأطال الخطبة ؛ فقام إليه رجل فقال : إن الوقت لا ينتظرك ، والرب لا يعذِرك ! فأمر به إلى الحبس ؛ فأتاه آل الرجل وقالوا : إنه مجنون ! فقال : إن أقرّ على نفسه بما ذكرتم خليتُ سبيله . فقال الرجل : لا والله لا أزعم أنه ابتلانى وقد عافانى .

خطبة للحجاج

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق ؛ وقالوا : مات الحجاج ! فلما بلغه تحامل حتى صعد المنبر فقال :

يا أهل الشقاق والنفاق ! نفخ إبليس فى مناخركم فقلتم : مات الحجاج ، ومات الحجاج فمَهْ ؟ والله ما أحب أن لا أموت ! وما أرجو الخيرَ كلَّه إلا بعد الموت ، وما رأيت الله عز وجل رضى الخلودَ لأحدٍ من خلقه ، إلا لأهونهم عليه : إبليس ؛ ولقد رأيتُ العبد الصالح سأل ربَّه فقال ﴿ربِّ اغفرْ لى وهَبْ لى مُلْكا لا ينبغى لأحدٍ من بَعدى إنكَ أنت الوهَّابُ﴾ . ففعل ؛ ثم اضمحل كأن لم يكن .

خطبة للحجاج

خطب فقال فى خطبته :

سوْطى سيفى ، ونِجادُه فى عنُقى ، وقائمه فى يدى ؛ وذبابُه قلادة لمن اغترّنى ! فقال الحسن : بؤساً لهذا ! ما أغرّه بالله .

وحلف رجل بالطلاق أن الحجاج فى النار ؛ ثم أتى زوجته ، فمنعتْه نفسَها فأتى ابنَ شُبرمة يستفتيه ؛ فقال : يابن أخى امض فكن مع أهلك ، فإن الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرُّك أن تزنى .

هذا ما ذكرناه فى كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بقى منها فهى مستقصاة فى كتاب اليتيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبنا فى كتابنا هذا أن نأخذ من كل شىء أحسنه ونحذف الكثير الذى يُجتزأ منه بالقليل .

خطبة طاهر بن الحسين

لما افتتح مدينة السلام صعد المنبر وأحضر جماعة من بنى هاشم والقواد وغيرهم فقال :

الحمد لله مالك الملك ، يُؤتى الملك من يشاء ، وينزعُ الملك عن يشاء ، ويُعِز من يشاء ، ويُذِلُّ من يشاء ؛ ولا يُصْلح عمل المفسدين ، ولا يَهدِى كَيْد الخائنين ؛ إنّ ظهور غَلَبَتِنا لم يكن من أيدنا ولا كيدنا ، بل اختار الله لخلافته — إذ جعلها عمودا لدينه ، وقِوَاما لعباده — من يستقل بأعبائها ، ويضطلع بحملها .

خطبة عبد الله بن طاهر

خطب الناس وقد تيسر لقتال الخوارج ؛ فقال : إنكم فئة الله المجاهدون عن حقه ، الذابُّون عن دينه ، الذائدون عن محارمه ، الداعون إلى ما أمر به من الاعتصام بحبله ، والطاعة لِوُلاةِ أمره ، الذين جعلهم رعاةَ الدين ، ونظام المسلمين فاستنْجزوا موعود الله ونصره بمجاهدة عدوّه وأهل معصيته ، الذين أشِرُوا وتمردوا وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، ومَرَقوا من الدين ، وسعَوْا فى الأرض فسادا ، فإنه يقول تبارك وتعالى : ﴿ إن تنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكم ويُثَبِّتْ أقدامكم ﴾ فليكن الصبر معقِلكم الذى إليه تلجئون ، وعُدتكم التى تستظهرون ؛ فإنه الوَزَر المنيع الذى دلكم الله عليه ، والجُنة الحصينة التى أمركم الله بلباسها ؛ غضوا أبصاركم ، وأخفِتوا أصواتكم فى مصافّكم ، وامضوا قُدُماً على بصائركم ، فارغين إلى ذكر الله والاستعانة به كما أمركم الله ؛ فإنه يقول : ﴿ إذا لقِيتُمْ فئةً فاثْبُتوا واذكُروا الله كثيراً لعلَّكُمْ تُفْلِحون ﴾ . أيدكم الله بعز الصبر ، وولِيكم بالحياطة والنصر .

خطبة قتيبة بن مسلم

قام بخراسان حين خلع سليمان بن عبد الملك ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أتدرون من تبايعون ؟ إنما تبايعون يزيد بن ثَرْوان — يعنى هَبَنَّقة القيسى — كأنى بأميرٍ مِزْجاءٍ وحَكَمٍ قد أتاكم يحكم فى أموالكم ودمائكم وفروجكم وأبشاركم .

ثم قال : الأعراب ! وما الأعراب ؟ لعن الله الأعراب ! جمعتُهم كما يُجمع فَرْخُ الخَرْبَق من منابت الشيح والقَيصوم ومنابت الفلفل ، يركبون البقر ، ويأكلون الهَبيد ، فحملتهم على الخيل ، وألبستهم السلاح حتى منع الله بهم البلاد ، وجبى بهم الفىء . قالوا : مُرْنا بأمرك . قال : غُرُّوا غيرى .

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يأهل العراق ، ألستُ أعلم الناس بكم ؟ أما هذا الحى من أهل العالية فنَعَمُ الصدقة ، وأما هذا الحى من بكر بن وائل فعِلْجة بَظْراء لا تمنع رجليها ، وأما هذا الحىّ من عبد القيس فما ضرب العير بذنبه ، وأما هذا الحى من الأزد فعلوجُ خلق الله وأنباطه ؛ وأيم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم ، وأما هذا الحى من تميم فإنهم كانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسان .

وقال الشاعر :

إذا كنتَ مِن سعدٍ وخالُكَ منهم ٭ بعيداً فلا يَغْرُرْك خالكَ من سعدِ
إذا ما دُعوا كَيْسانَ كانت كُهولُهُمْ ٭ إلى الغدْر أدنى مِن شبابهم المُرْدِ

وخطبة لقتيبة بن مسلم

يأهل خراسان ، قد جربتم الولاة قبلى ؛ أتاكم أُمية فكان كاسمه أمية الرأى ، وأمية الدين فكتب إلى خليفته : إن خراج خراسان لو كان فى مطبخه لم يكفه ؛ ثم أتاكم بعده أبو سعيد ثلاثا ، لا تدرون أفى طاعة الله أنتم أم فى معصيته ؟ ثم لم يجب فَيْئاً ، ولم يَنِلْ عدوًّا ؛ ثم أتاكم بنوه بعده مثل أطباء الكلبة ؛ منهم ابن رَحْمة ، حِصان يضرب فى عانة ؛ لقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ! ثم أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد [وأمّن لكم السُّبل] حتى إنّ الظعينة لتخرج من مرو إلى سمرقند فى غير جوار .

قوله أبو سعيد ، يريد المهلب بن أبي صفرة . وقوله : ابن رحمة : يريد يزيد ابن المهلب .

خطبة ليزيد بن المهلب

حمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أيها الناس ، إنى أسمع قول الرعاع ، قد جاء العباس ، قد جاء مسلمة ، قد جاء أهل الشام . وما أهل الشام إلا تسعة أسياف : منها سبعة معى ، واثنان علىّ ، وما مسلمة إلا جرادةٌ صفراء وأما العباس فبسطوس بن بسطوس ، أتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وأقباط وأنباط وأخلاط ؛ أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء اللحم ، والله ما لقوا قط حدًّا كحدكم ، ولا حديدا كحديدكم ، أعيرونى سواعدكم ساعة تصفقوا بها خراطيمهم ؛ فإنما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

خطبة قس بن ساعدة الإيادى

ابن عباس قال : قدم وفدُ إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيكم يعرف قسَّ بن ساعدة الإيادى ؟ قالوا : كلنا يعرفه قال : فما فعل ؟ قالوا : هلك ! قال : ما أنساه بسوق عكاظ فى الشهر الحرام على جمل له أحمر وهو يخطب الناس ويقول :

اسمعوا وعُوا : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ ؛ إنّ فى السماء لخبَرا ، وإنّ فى الأرض لعِبَرا ، سحائبُ تمور ، ونجومٌ تغور ، فى فلكٍ يدور . يُقسِم قسٌ قَسَما : إن لله دينا هو أرضى من دينكم هذا .

ثم قال : مالى أرى الناس يذهبون ولا يَرجعون ؟ أرَضوا بالإقامة فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا .

أيكم يروى من شعره ؟ فأنشد بعضهم :

فى الذّاهبين الأولــين منَ القرون لنا بصائرْ

لمّا رأيت مواردا ∗ للموتِ ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومى نحوها ∗ تمضى: الأكابر والأصاغرُ
لا يرجعُ الماضى ولا ∗ يبقى من الباقين غابِرُ
أيقنتُ أنى لا محا ∗ لة حيثُ صار القومُ صائرْ

٥ ## خطبة عائشة أم المؤمنين

رحمها الله يوم الجمل .

قالت : أيها الناس صَه صَه ؛ إنّ لى عليكم حق الأمومة ، وحقّ الموعظة ؛ لايتهمنى إلا من عصى ربَّه ؛ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحْرى ونَحْرى ؛ فأنا إحدى نسائه فى الجنة ، له ادخرنى ربى وخلّصنى من كلّ بُضع ؛ ١٠ وبى مَيَّز مُؤمنكم من منافقكم ، وبى أرْخصَ اللهُ لكم فى صعيد الأبواء ؛ ثم أبى ثانِى اثنينِ اللهُ ثالثهما ؛ وأول من سُمّى صِدّيقاً ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم راضياً عنه ؛ وطوّقه أعباء الإمامة ، ثم اضطرب حبل الدين بعده ؛ فمسك أبى بطرفيه ، ورتق لكم فتق النفاق ، وأغاض نبع الردة ، وأطفأ ماحشّت يهود ؛ وأنتم يومئذ جُحُظ العيون ، تنظرون العدْوَة ، وتسمعون الصيحة ؛ فرأب ١٥ الثأى ، وأوّد من الغِلظة ، وامتاح من المُوَة ؛ حتى اجْتَحى دفين الداء ؛ وحتى أعطن الوارد ، وأورد الصادر ، وعل الناهل ؛ فقبضه الله إليه واطئا على هامات النفاق ، مذكيا نار الحرب للمشركين ؛ فانتظمت طاعتكم بحبله ؛ فولى أمركم رجلا مُرْعِياً إذا رُكِن إليه ، بعيداً ما بين اللابتين إذا ضُلّ ، عُرَكة للأذاة بجنبه صفوحا عن أذاة الجاهلين ، يقظان الليل فى نُصرة الإسلام ؛ فسلك مسلك ٢٠ السابقيه ؛ ففرق شمل الفِتنة ، وجمّع أعضاد ماجمّع القرآن ، وأنا نُصْب المسألة عن مسيرى هذا ؛ لم ألتمس إثما ، ولم أوَرّث فتنة أوطِئكُموها : أقول قولى هذا صدقا وعدلا ، وإعذاراً وإنذارا ؛ وأسأل اللهَ أن يصلى على محمد ، وأن يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين .

خطبة عبد الله بن مسعود

أصدق الحديث كتابُ الله . وأوثقُ العُرى كلمةُ التقوى ، خير زاد ؛ وأكرم الملل ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وخير السنن سُنَّةُ محمد صلى الله عليه وسلم ، وشرُّ الأمور محدثاتُها ، وخير الأمور أوساطها ، وما قل وكفى خيرٌ مما كثُرَ وألهى ، لَنَفسٌ تحييها خير من إمارة لا تُحْصيها . خير الغنى غنى النفس . خيرُ ماأُلقي في القلب اليقين . الخمر جماع الآثام . النساء حبائل الشيطان . الشبابُ شعبة من الجنون . حبُّ الكفاية مفتاحُ المَعْجَزَة . شرُّ من الناس من لا يأتي الجماعة إلا دُبُراً ، ولا يذكر الله إلا هُجْرا . سِبابُ المؤمن فُسوق ، وقتالُه كُفر ، وأكلُ لحمه معصية من يتألَّ على الله يُكذبه ، ومن يغفِر يُغْفر له . مكتوب في ديوان المحسنين : من عفا عُفِيَ عنه . الشقيُّ شقي في بطن أمه . السعيدُ من وُعِظ بغيره . الأمورُ بعواقبها . مِلاكُ الأمر خواتيمُه . أحسنُ الهدْيِ هَدْيُ الأنبياء . أقبحُ الضلالةِ الضلالةَ بعد الهدى . أشرفُ الموت الشهادةُ . من يعرف البلاء يَصْبِر عليه ، ومن لا يَعرِفِ البلاء يُنكِرْه .

خطبة لعتبة بن مروان

بعد فتح الأبلة

حمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقال :

إن الدنيا قد تولَّتْ [حذَّاء مدبرة] ، وقد آذنتْ أهلَها منها بصرم ، وإنما بقي منها صُبابَةٌ كصُبابة الإناء يصْطَبُّها صاحبُها ؛ ألا وإنكم مفارقوها لا مَحالة ، ففارقوها بأحسنِ ما يحضُرُكم ؛ ألا إنّ من العجَب أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الحجَرَ الضخمَ يُرمَى به في شفير جهنم فيَهوِي في النار سبعين خريفاً ، ولِجَهنَّم سبعةُ أبواب ، بين كل بابين منها مسيرةُ خمسمائةِ عامٍ ، وليأتين عليها ساعةٌ وهي كظيظ بالزحام ؛ ولقد كنتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سابعَ سبعة ما لنا طعام إلا ورقَ البَشام ، حتى قَرِحت أشداقُنا ؛ فوجدت أنا وسعد

ابنُ مالك تمرة فشققتها بيني وبينه نصفين ، وما منا أحدٌ اليوم إلا وهو أميرٌ على مصرٍ وإنه لم يكن نبوةٌ قطُّ إلا تناسخت ؛ وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وفى أعين الناس صغيرا .

خطب عمرو بن سعيد الأشدق

٥ لما عقد معاوية ليزيد البيعة ، قام الناس يخطبون ؛ فقال [معاوية] لعمرو بن سعيد : قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد فإن يزيد بن معاوية أملٌ تأملونه ، وأجل تأمنونه؛ إن استضفتم إلى حلمه وَسِعكمْ ، وإن احتجتم إلى رأيه أرشدَكم ، وإن افتقرتم إلى ذات يده أغناكم ؛ جذَع قارح ، سوبِقَ فسبق ، ومُوجِدَ فجد ، وقورع فقرع؛ فهو خلف ١٠ أمير المؤمنين ولا خلف منه .

فقال له معاوية : أوسعت أبا أمية فاجلس .

وخطبة لعمرو بن سعيد بالمدينة

قال أبو العباس بن الفرج الرياشى : حدثنا ابن عائشة قال : قدم عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميراً ، فخرج إلى منبر رسول الله صلى الله عليه ١٥ وسلم ، فقعد عليه وغمض عينيه وعليه جبةُ خزٍّ قرمز، ومُطرف خز قرمز، وعمامة خز قرمز ؛ فجعل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجابا بها ، ففتح عينيه فإذا الناس ينظرون إليه ؛ فقال :

ما بالكم يا أهل المدينة ترفعون إلىّ أبصارَكم ، كأنكم تريدون أن تضربونا بسيوفكم ؟ أغرّكم أنكم فعلتم ما فعلتم فعفونا عنكم ؟ أما إنه لو أُثِبْتم بالأولى ٢٠ ما كانت الثانية ؛ أغرّكم أنكم قتلتم عثمان فوافقتم ثائرنا منا رفيقا ، قد فنى غضبُه وبقى حلمه ؟ اغتنموا أنفسكم ، فقد والله ملكناكم بالشباب المقتبل ، البعيد الأمل الطويل الأجل ، حين فرغ من الصغر ، ودخل فى الكبر ، حليم حديد ، ليّن شديد

رقيق كثيف ، رفيق عنيف ، حين اشتد عظمه ، واعتدل جسمه ، ورمى الدهر ببصره ، واستقبله بأشره ، فهو إن عض نهس ، وإن سطا فرس ، لا يُقَلْقِل له الحصى ، ولا تُقرع له العصا ، ولا يمشى السُّمَّهَى .

قال : فما بقى بعد ذلك إلا ثلاث سنين وثمانية أشهر ، حتى قصمه الله.

خطبة لعمرو بمكة

٥

العتبي قال : استعمل سعيدُ بن العاص وهو والٍ على المدينة ابنَه عمرو بن سعيد واليا على مكة ، فلما قدم لم يلقَهُ قرشي ولا أموى إلا أن يكون الحرث بن نوفل ، فلما لقيه قال له : يا حارِ ، ما الذى منع قومَك أن يلقَونى كما لقيتَنى ؟ قال : ما منعهم من ذلك إلا ما استقبلتنى به ؛ والله ما كنيتَنى ، ولا أتممتَ اسمى ، وإنما أنهاك عن التكبّر على أكفائك ، فإن ذلك لا يرفعك عليهم ولا يضعهم لك . ١٠ قال : والله ما أسأتَ الموعظة ، ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذى رأيت منى لخُلُق . فلما دخل مكة قام على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، معشرَ أهل مكة ، فإنا سكناها حِقْبة ، وخرجنا عنها رغبة ، ولذلك كنا إذا رُفعت لنا لُهوة بعد لُهوة أخذنا أسناها ، ونزلنا أعلاها ؛ ثم شَدَخ أمرٌ بين أمرين ، فقَتلنا وقُتلنا ؛ فوالله ما نزعنا ولا نُزع عنا ، حتى شرب الدمُ دما ، ١٥ وأكل اللحم لحما ، وقرع العظم عظما ؛ فولِىَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برسالة الله إياه ، واختياره له ؛ ثم ولى أبو بكر لسابقته وفضله ؛ ثم ولى عمر ؛ ثم أجيلت قِداحٌ نُزعن من شُعب حول نبعة ، ففاز بحظِّها أصلبُها وأعتقها ، فكنا بعض قِداحها ؛ ثم شدخ أمر بين أمرين ، فقَتلنا وقُتلنا ، فوالله ما نزعنا ولا نُزع عنا حتى شرب الدم دما ، وأكل اللحم لحما ، وقرع العظم عظما ، وعاد الحرام حلالا ، ٢٠ وأسكت كل ذى حس عن ضرب مهنّد ، عركا عركا ، وعسفا عسفا ، ووخزا ونهسا ، حتى طابوا عن حقنا نفساً ، والله ما أعطوه عن هوادة ، ولا رضوا فيه بالقضاء ؛ أصبحوا يقولون : حقُّنا غُلبنا عليه ، فجزيناه هذا بهذا ، وهذا فى هذا .

يا أهل مكة ، أنفسَكم أنفسَكم ! وسفهاءكم سفهاءكم ! فإن معى سوطا نكالا ، وسيفا وبالا ، وكلٌّ منصوبٌ على أهله . ثم نزل .

خطبة للأحنف بن قيس

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معشر الأزد وربيعة ، أنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصّهر ، وأشِقّاؤنا فى النسب ، وجيرانُنا فى الدار ، ويدُنا على العدو ؛ والله لأزدُ البصرة أحبُّ إلينا من تميم الكوفة ، ولأزدُ الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ؛ فإن استشرف شنَآنُكم وأبَى حسدُ صدورِكم ، ففى أحلامنا وأموالنا سَعة لنا ولكم .

خطبة ليوسف بن عمر

قام خطيبا فقال : اتقوا الله عباد الله : فكم مؤمِّلٍ أملاً لا يبلغه ، وجامع مالاً لا يأكُله ، ومانعٍ عما سوف يتركه ؛ ولعله من باطلٍ جَمَعَهُ ، ومن حقٍّ منَعَهُ أصابه حراما ، وأورثه عدوًّا حلالا ، فاحتمل إصْرَه ، وباء بوِزْرِهِ ، وورد على ربه أسِفاً لهِفا ، خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

خطبة لشداد بن أوس الطائى

حمد الله وأثنى عليه وقال : ألا إن الدنيا عرَضٌ حاضر ، يأكل منها البَرُّ والفاجر ؛ ألا إن الآخرة وعدٌ صادق ، يحكم فيها مَلِكٌ قادر ؛ ألا إن الخيرَ كلّه بحذافيره فى الجنة ؛ ألا إن الشرَّ كله بحذافيره فى النار ، فاعملوا ما عملتم وأنتم فى يقين من الله ، واعلموا أنكم معروضةً أعمالُكُمْ على الله ، ﴿ فَمَنْ يعمَلْ مِثقالَ ذرّةٍ خيْرًا يَره ، ومَنْ يعْمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ شرًّا يَره ﴾ وغفر الله لنا ولكم .

خطبة لخالد بن عبد الله القسرى

صَعِد المنبر يوم جمعة وهو والى مكة ، فذكر الحجاج فأحمد طاعته وأثنى عليه خيراً ؛ فلما كان فى الجمعة الثانية ورد عليه كتاب سليمان بن عبد الملك يأمره فيه بشتم

الحجاج وذِكرِ عيوبه وإظهارِ البراءةِ منه : فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

إن إبليس كان ملكا من الملائكة ، وكان يُظهر من طاعة الله ماكانت الملائكة ترى له به فضلا ، وكان قد علم الله من غِشه وخبثه ما خفى على ملائكته فلما أراد فضيحتَه ابتلاه بالسجود لآدم ، فظهر لهم ماكان يخفيه عنهم ، فلعنوه ؛ وإن الحجاج كان يُظهر منَّ طاعة أمير المؤمنين ماكنا نرى له به فضلا ، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين من غشه وخبثه على ماخفى عنا ؛ فلما أراد [الله] فضيحتَه أجرى ذلك على يد أمير المؤمنين ، [فلَعَنه] ، فالعنوه لعنه الله !

خطبة لمصعب بن الزبير

قدم العراق فصعد المنبر ثم قال :

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ طسم تِلكَ آياتُ الكِتَابِ المُبينِ ، نَتْلو عَلَيْكَ مِنْ نَبإ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بالحقّ لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فى الأَرْضِ وجَعلَ أَهْلَهَا شِيعًا يَسْتَضْعِفُ طَائفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ ويَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ ، إنَّه كانَ مِنَ المُفْسِدِينَ ﴾ وأشار بيده نحو الشام ﴿ ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الذينَ اسْتُضْعِفوا فى الأَرْضِ ونَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ونَجْعَلَهُمُ الوارثينَ ﴾ وأشار بيده نحو الحجاز ﴿ ونُمكّنَ لهُمْ فى الأرْضِ ونُرِيَ فِرْعَوْنَ وهامَانَ وجُنُودَهُما مِنْهُمْ ماكانوا يَحْذَرُونَ ﴾ وأشار بيده نحو العراق .

خطبة للنعمان بن بشير بالكوفة

قال : إنى والله ماوجدت مَثلى ومَثَلكم إلا الضبع والثعلب : أتيا الضبَّ فى جحره فقالا : أباحِسْل . قال : أجبتكما . قالا : جئناك نختصم . قال : فى بيته يُؤتَى الحكم . قالت الضبع : فتحتُ عيني . قال : فعلَ النساء فعلْتِ . قالت : فلقطتُ تمرةً . قال : حلواً اجتَنيتِ . قالت : فاختطفها ثُعالةُ ! قال : لنفسه

بَغى [الخير] . قالت : فلطمتُه لطمة ! قال : حقًّا قضيتِ . قالت : فلطمني أخرى قال : كان حُرًّا فانتصر . قالت : فاقض الآن بيننا . قال : حدث امْرَأَةٌ حديثين، فإنْ أَبتْ فاربَع ، أي : اسكت .

خطبة شبيب بن شيبة

قيل لبعض الخلفاء: إن شبيب بن شيبة يستعمل الكلام ويستعد له ، فلو أمرته أن يصعد المنبر لرجوتَ أن يفتضح ، قال : فأمر رسولا فأخذ بيده إلى المسجد ، فلم يفارقه حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم حق الصلاة عليه ؛ ثم قال : ألا إن لأمير المؤمنين أشباهاً أربعة : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر فأشبهَ منه صولتَه ومضاءه ، وأما البحر الزاخر فأشبه منه جودَه وعطاءه ، وأما القمر الباهر فأشبه منه نورَه وضياءه ، وأما الربيع الناضر فأشبه منه حُسْنَه وبهاءه . ثم نزل عن المنبر وأنشأ يقول :

وموْقِفٍ مِثلِ حدِّ السَّيف قُمْتُ بِهِ ۞ أحمِي الذِّمارَ وتَرميني بِهِ الحَدَقُ
فَما زَلِقتُ وما ألْقَيْتُ كاذبةً ۞ إذا الرِّجالُ على أمثاله زَلِقُوا

خطب لعتبة بن أبي سفيان

بلغه عن أهل مصر شيء فأغضبه ، فقام فيهم ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً ، فإن لله فيكم ذبيحا لعثمان أرجو أن يوليَني نسْكه ؛ إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفُرقة ، فأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقه وكان والله أذكركم إذا ذُكِّر بخطة ، وأصفحكم بعد المقدرة عن حقه ؛ نعمةً من الله فيكم ، ومنّة منه عليكم ؛ وقد بلغَنا عنكم نجْمُ قول ، أظهره تقدُّمُ عفو منا ، فلا تصيروا إلى وحْشة الباطل بعد أنس الحق ، بإحياء الفتنة وإماتة

السُّنن ؛ فأطأكم لله وطأة لا رمق معها ؛ حتى تنكروا منى ما كنتم تعرفون ، وتستخشنوا ما كنتم تستلينون ؛ وأنا أشهد عليكم الذى يعلم خائنةَ الأعين وما تخفى الصدور .

وخطبة لعتبة بن أبى سفيان

يا حاملى ألأمِ أنوف ، ركبت بين أعين ، إنما قلّمت أظفارى عنكم ليلين مَسّى إياكم ، وسألتكم صلاحَكم ؛ إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذ أبيتم إلا الطعن على الولاة ، والتنقُّص للسلف ، فوالله لأقطعن على ظهوركم بطونَ السِّياط ، فإن حسمت داءكم وإلا فالسيف من ورائكم ؛ ولست أبخل عليكم بالعقوبة إذا جُدتم لنا بالمعصية ، ولا أُويسكم من مراجعة الحسنى إن صرتم إلى التى هى أبرُّ وأتقى .

وخطبة لعتبة بن أبى سفيان

لما اشتكى شَكاته التى مات فيها ، تحامل إلى المنبر فقال :

يا أهل مصر ، لا غنًى عن الرب ، ولا مهربَ من ذنب ؛ إنه قد تقدّمت منى إليكم عقوباتٌ كنت ارجو يومئذ الأجر فيها ، وأنا أخاف اليوم الوِزْرَ منها ، فليتنى لا أكون آخترت دنياى على معادى ، فأصلحتكم بفسادى ؛ وأنا أستغفر الله منكم ، وأتوب إليه فيكم ؛ فقد خِفت ما كنتُ أرجو نفعا عليه ، ورجوتُ ما كنت أخاف آغتيالا به ، وقد شَقِى من هَلكَ بين رحمةِ الله وعفوِه ؛ والسلام عليكم ، سلامَ من لا ترونه عائداً إليكم . قال : فلم يَعدْ .

وخطبة لعتبة

العتبى قال : سعد القصر : احتبست عنا كتب معاوية ابن أبى سفيان حين أرجفَ أهل مصر بموته ، ثم قدم علينا كتابه بسلامته ؛ فصعد عتبة المنبر والكتاب فى يده ، لحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل مصر ، قد طالت معاتبتنا إياكم بأطراف الرماح وظُبات السيوف ،

حتى صرنا شجى فى لهواتكم ما تُسيغه حلوقكم ، وأقذاء فى أعينكم ما تطرف عليها جفونكم ، أفحين اشتدت عرى الحق عليكم عقْداً واسترخت عقَدُ الباطل منكم حَلا ، أرجفتم بالخليفة ، وأردتم تهوين الخلافة ، وخضتم الحق إلى الباطل ، وأقدمُ عهدِكم به حديث ، فاربعوا أنفسكم إذا خسرتم دينكم ؛ فهذا كتاب أمير المؤمنين ٥ بالخبر السارّ عنه والعهدِ القريب منه ؛ واعلموا أن سلطاننا على أبدانكم دون قلوبكم ؛ فأصلحوا لنا ماظهر ، نكلْكم إلى الله فيما بَطن ؛ ؛ وأظهروا خيرا وإن أضمرتم شرا ، فإنكم حاصدون ما أنتم زارعون ؛ وعلى الله أتوكل وبه أستعين . ثم نزل .

خطبة عتبة فى الموسم

١٠ سعد القصر قال : قال مولى عتبة بن أبى سفيان : دفع عتبة بن أبى سفيان بالموسم سنة إحدى وأربعين ، والناس حديثٌ عهدهم بالفتنة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

إنا قد ولينا هـذا المقام الذى يُضعف الله فيه للمحسنين الأجر ، وللمسيئين الوِزر ؛ ونحن على طريق ما قصدْنا له ، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا ، فإنها تنقطع ١٥ من دوننا ؛ ورب متمنّ حتفه فى أمنيته ، اقبلوا ما قبلنا العافية فيكم وقبلناها منكم ، وإياكم ولوًّا فإن لوًّا قد أتعبت مَن قبلكم ، ولن تُريحَ مَن بعدكم ؛ فأسأل الله أن يعين كلاًّ على كل .

فناداه أعرابى من ناحية المسجد : أيها الخليفة . قال : لست به ولم تُبْعِدْ فقال : يا أخاه ! فقال : أسْمَعْت فقُل .

٢٠ فقال : والله لأنْ تحسنوا وقد أسأنا خيرٌ لكم من أن تسيئوا وقد أحسنّا فإن كان الإحسان لكم فما أحقَّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا . رجل من بنى عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويختص إليكم بالخئولة ، وقد كثر

عياله ، ووطئه زمانه ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال عتبة : أستغفر اللهَ منكم ، وأسأله العون عليكم ، وقد أمرت لك بغناك ، فليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

خطبة لعتبة بن أبى سفيان

سعد القصر قال : ٥

وجّه عتبة بن أبى سفيان ابن أخى أبى الأعور السلمى إلى مصر فمنعوه الخراج ، فقدم عليهم عتبة فقام خطيباً فقال :

يأهل مصر ، قد كنتم تعتذرون لبعض المنع منكم ببعض الجور عليكم ؛ فقد وليكم من يقول ويفعل ، ويفعل ويقول ؛ فإن رددتم ردّكم بيده ، وإن استعصيتم ردّكم بسيفه ، ثم رجا فى الآخِر ما أمّل فى الأوّل ؛ إن البيعة مُشايَعة ، ١٠ فلنا عليكم السمع والطاعة ، ولكم علينا العدل ؛ فأيُّنا غدر فلا ذمّة له عند صاحبه ، والله ما انطلقتْ بها ألسنتنا حتى عُقدتْ عليها قلوبنا ، ولا طلبناها منكم حتى بذلناها لكم ، ناجزاً بناجز ، ومَن حذَّر كمن بشَّر . قال فنادوه : سمعا سمعا ، فناداهم : عدْلا عدْلا .

وخطبة لعتبة ١٥

قدم كتاب معاوية إلى عتبة بمصر : إنّ قِبَلك قوما يطعنون على الولاة ويعيبون السلف . فخطبهم فقال :

يأهل مصر ، خفَّ على ألسنتكم مَدْحُ الحق ولا تفعلونه ، وذمّ الباطل وأنتم تأتونه ، كالحمار يحمل أسفاراً أثقله حملها ولم ينفعه ثقلها ، وآيم الله لا أداويكم بالسيف ما صلحتم على السوط ، ولا أبلغ السوط ما كفتنى الدِّرة ، ٢٠ ولا أبطئ عن الأولى ما لم تسرعوا إلى الأخرى ؛ فالزموا ما أمركم الله به ، تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا ؛ وإياكم وقال ويقول ، قبل أن يقال

فعل ويفعل ؛ وكونوا خير قوس سهماً . فهذا اليوم الذى ليس قبله عقاب ، ولا بعده عتاب .

خطب الخوارج

خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا

٥ صعد قطرى بن الفجاءة منبر الأزارقة ـ وهو أحد بنى مازن بن عمرو ابن تميم ـ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، فإنى أحذركم الدنيا ، فإنها حُلوة خضِرة ، حُفَّت بالشهوات ، وراقت بالقليل ، وتحببت بالعاجلة ، وغمرت بالآمال ، وتحلَّت بالأمانى وزيّنت بالغرور ؛ لا تدوم حسرتها ، ولا تؤمن فجعتها ؛ غدّارة ضرارة ، وحائلة زائلة ، ١٠ ونافدة بائدة ؛ لا تعدو ـ إذا [هى] تناهت إلى أمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها ـ أن تكون كما قال الله عز وجل ﴿ كماءٍ أنزلْناه من السّماء فاختلَط به نباتُ الأرضِ فأصبَح هَشيمًا تَذرُوه الرِّياحُ وكان اللهُ على كلِّ شىءٍ مُقتدِرًا ﴾ . مع أن امرءا لم يكن منها فى حبْرة ، إلا أعقبتْه بعدها عَبرة ؛ ولم يَلْق من سرائها بطنا ، إلا منحته من ضرائها ظهرا ؛ ولم تطُلّه منها ديمةُ رخاء ، إلا هطلتْ عليه ١٥ مُزْنةُ بلاء ؛ وحرىٌّ إذا أصبحتْ له منتصرة أنْ تمسى له خاذلةً متنكرة ؛ وإنْ جانبٌ منها اعذوذب واحلولى ، أمَرّ عليه منها جانب فأوبا ؛ وإن لَبس امروٌ من غضارتها ورفاهيتها نعَما ، أرهقتْه من نوائبها غمًا ؛ ولم يُمْس امروٌ منها فى جَناح أمن ، إلا أصبح منها فى قوادم خوف ؛ غرّارة ، غرورٌ ما فيها ؛ باقية ، فانٍ ما عليها ؛ لا خير فى شىء من زادها إلا التقوى ، من أقلّ منها استكثر مما ٢٠ يؤمّنه ، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه ، وزال عما قليل عنه ، واستكثر مما يوبقه ؛ كم واثق بها قد فجعتْه ، وذى طمأنينة إليها قد صرعتْه ، وكم من ذى اختيالٍ فيها قد خدعته ؛ وكم من ذى أُبّهة فيها قد صيّرته حقيرا وذى نخوة فيها قد ردّته ذليلا ، وذى تاج قد كبّته لليدين والفم ؛ سلطانها دوَل ، وعيشها

رنق ، وعذبها أجاج ، وحُلوها مرّ ، وغذاؤها سِمام ، وأسبابها رِمام ، وقطافها سَلَع ؛ حيها بعَرَض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرَض اهتضام ؛ مليكها مسلوب ، وعزيزها مغلوب ، وصحيحها وسليمها منكوب ؛ وحائزها وجامعها محروب ؛ مع أنّ من وراء ذلك سكرات الموت وزفراته ، وهولَ المُطّلع ، والوقوف بين يدى الحَكَمِ العدل؛ ليجزىَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزىَ الذين أحسنوا بالحسنى .

ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا ، وأوضح آثارا ، وأعدّ عديدا ، وأكثف جنودا ، وأعْنَدَ عَتادا ، وأطول عمادا ؟ تعبّدوا للدنيا أىّ تعَبد ، وآثروها أى إيثار ، وظعنوا عنها بالكُرْه والصّغار ؛ فهل بلغكم أنّ الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية ، وأغنت عنهم فيما قد أمّلتهم به بخطب ! بل أثقلتهم بالفوادح ، وضعضعتهم بالنوائب ، وعفّرتهم للمناخر ، وأعانت عليهم ريبَ المَنون ، وعَقَرتهم بالمصائب ؛ وقد رأيتم تنكُّرَها لمن دان لها وآثرها وأخلد إليها ، حتى ظعنوا عنها لفراق الأبد إلى آخر الأمد . هل زودتْهم إلا الشقاء ، وأحلّتهم إلا الضنك ، أو نوّرت لهم إلا الظلمة ، وأعقبتهم إلا الندامة ؟ أفهذه تُؤثِرون ، أم عليها تَحرصون ، أم إليها تطمئنون ؟ يقول الله تبارك وتعالى ﴿مَن كان يُريد الحياةَ الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يبخَسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرةِ إلا النارُ وحَبِط ما صنعوا فيها وباطلٌ ما كانوا يعْملونَ﴾ ؛ فبئست الدار لمن لم يتّهمها ، ولم يكن فيها على وجل منها ؛ اَعلَموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لا بدّ ؛ فإنما هى كما نعت الله عز وجل ﴿ لَعِب ولهوٌ وزينة وتفاخُرٌ بينكم وتكاثُر فى الأموال والأولاد﴾ . فاتّعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية يعبثون ، ويتخذون مصانع لعلهم يخلدون ، وبالّذين قالوا ﴿مَن أشدُّ منّا قوّةً﴾ ؛ واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم كيف حُملوا إلى قبورهم فلا يُدْعون ركبانا ، وأنزلوا [الأجداث] فلا يدعَون ضِيفانا ، وجُعل لهم من الضريح أكنان ، ومن التراب أكفان ، ومن الرُّفات جيران ؛ فهم جيرة

لا يُجيبون داعيا ، ولا يمنعون ضيْما ، إن أخصبوا لم يفرحوا ، وإن قحطوا لم يقنطوا ، جمعٌ وهم آحاد ، جيرة وهم أبعاد ، متناءون وهم يُزاورون ولا يزورون ، حلماء قد ذهبتْ أضغانهم ، وجهلاء قد ماتت أحقادهم ، لا يخشى فجْعُهم ، ولا يُرجى دفْعهم ، وهم كمن لم يكن ، قال الله تعالى ﴿ فتِلك مساكنُهم لم تُسْكن ٥ مِن بعدِهم إلا قليلاً وكنّا نحن الوارثِينَ ﴾ استبْدلوا بظهر الأرض بطنا ، وبالسعة ضيقا ، وبالآل غربة ، وبالنور ظلمة ، فجاءوها حفاةً عُراةً فرادى ، غير أنْ ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد يقول الله تبارك وتعالى ﴿ كما بَدأْنا أوّلَ خلق نُعِيدُه ، وعْداً علينا إنّا كنّا فاعلِينَ ﴾ ، فاحذروا ما حذركم الله ، وانتفعوا بمواعظه ، واعتصموا بحبله ، عصَمَنا الله وإياكم بطاعته ، ورزقنا وإياكم ١٠ أداء حقه . ثم نزل .

خطاب لأبي حمزة بمكة

خطبهم أبو حمزة الشارى بمكة ، فصعد المنبر متوكئاً على قوس عربية ، فخطب خطبة طويلة ، ثم قال :

يأهل مكة ، تعيّروننى بأصحابى ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا ؟ نعم الشباب مكتهلين ، عَمِيَةٌ عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، قد نظرَ الله إليهم فى آناء الليل مُنثنِيّةً أصلابُهم بمثانى القرآن ، إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، وإذا مر بآية فيها ذكرُ النار شهق شهقة كأن زفير جهنم فى أذنيه ، قد وصلوا كلالَ ليلهم بكلال نهارهم ، أنضاء عِبادة ، قد أكلت الأرض جباهَهم وأيديَهم ورُكَبَهم ، ٢٠ مصفرة ألوانهم ، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام ، مستقلون لذلك فى جنب الله ، موفون بعهد الله ، منجزون لوعد الله ، [حتى] إذا رأوا سهام العدو قد فوّقت ، ورماحهم قد أُشرعَت ، وسيوفهم قد انتضِيت ، وبرقت الكتيبة ورعدت بصواعق الموت ـ استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، فمضى

الشاب منهم قدُما حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه ، قد رُمّلت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وأسرع إليه سباع الأرض ، وانحطت عليه طير السماء ؛ فكم من مُقْلة فى منقار طائر، طالما بكى صاحبها من خشية الله ، وكم من كفٍّ بانت عن مِعْصمها طالما اعتمد عليها صاحبها فى سجوده ، وكم من خدٍّ عتيق وجبين رقيق ، قد فُلق بعمَد الحديد ! رحمة الله على تلك الأبدان ، وأدخل أرواحها ٥ فى الجنان .

ثم قال : الناس منا ونحن منهم ، الا عابدَ وثن ، أو كفَرَة أهل الكتاب ، أو إماما جائرا ، أو شاذًّا على عضده .

وخطبة أبى حمزة بالمدينة

قال مالك بن أنس رحمه الله : خطَبنا أبو حمزة خطبة شك فيها المستبصر ١٠ وردّت المرتاب ، قال :

أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وصِلة الرحم ، وتعظيم ما صَغرَت الجبابرة من حق الله ، وتصغير ما عَظّمَت من الباطل ، وإماتة ما أحيَوا من الجور ، وإحياء ما أماتوا من الحقوق ، وأن يطاع الله ويعصى العباد فى طاعته ؛ فالطاعة لله ولأهل طاعة الله ، ولا طاعة لمخلوق فى ١٥ معصية الخالق ؛ ندعو إلى كتاب الله وسنة نبيه ، والقَسْم بالسوية ، والعدل فى الرعية ، ووضع الأخماس فى مواضعها التى أمر الله بها ؛ إنا والله ما خرجْنا أشَراً ولا بَطَرا ولا لهوا ولا لعِبا ؛ ولا لدولة مُلكٍ نريد أن نخوض فيها ولا لثأرٍ قد نيل ، منّا ؛ ولكننا لمّا رأينا الأرض قد أظلمت ، ومعالم الجوْر قد ظهَرَت ، وكثر الادّعاء فى الدين ، وعُمِل بالهوى ، وعُطّلت الأحكام ، وقُتِل القائم بالقسط ، وعُنّف القائل ٢٠ بالحق — سمعْنا مناديا ينادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، فأجبنا داعىَ الله ، فأقبلنا من قبائل شتى ، قليلين مستضعفين فى الأرض ؛ فآوانا الله وأيدنا بنصره ، فأصبحنا بنعمته إخوانا ، وعلى الدين أعوانا

يأهل المدينة ، أوّلكم خير أول ، وآخركم شرُّ آخر ؛ إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فاختانوكم عن كتاب غير ذى عوج ، بتأويل الجاهلين ، وانتحال المبطلين ؛ فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتا غير أحياء وما تشعرون .

يأهل المدينة ، ياأبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، ماأصح أصلكم ، وأسقَمَ فرعَكم ! كان آباؤكم أهلَ اليقين ، وأهل المعرفة بالدين ، والبصائر النافذة ، والقلوب الواعية ؛ وأنتم أهل الضلالة والجهالة ؛ استعبدتكم الدنيا فأذلتكم والأمانىُّ فأضلتكم ؛ فتح الله لكم باب الدِّين فسددتموه ، وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحتموه ؛ سراعٌ إلى الفتنة ، بطاءٌ عن السُّنة ؛ عُمْى عن البرهان ، صُمٌّ عن العِرفان ؛ عبيد الطمع ، حلفاء الجزع ؛ نِعْم ماورّثكم آباؤكم لو حفظتموه ، وبئس ما تورّثون أبناءكم إن تمسكوا به ! نصر الله آباءكم على الحق ، وخذلكم على الباطل ؛ كان عدد آبائكم قليلا طيّبا وعددكم كثير خبيث ؛ اتبعتم الهوى فأرْداكم واللهو فأسهاكم ؛ ومواعظ القرآن تزجركم فلا تزدَجرون ، وتعبِّركم فلا تعتبرون ، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء فقلتم : والله ما فيهم الذى يعدل ؛ أخذوا المال من غير حله ، فوضعوه فى غير حقه ؛ وجاروا فى الحكم ، فحكموا بغير ما أنزل الله ؛ واستأثروا بفيئنا ؛ فجعلوه دولة بين الأغنياء منهم ، وجعلوا مقاسمنا وحقوقنا فى مهور النساء وفروج الإماء . وقلنا لكم : تعالوْا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم ، وجاروا فى الحكم فحكموا بغير ما أنزل الله . فقلتم : لا نَقْوَى على ذلك ، ووددْنا أنا أصبنا من يكفينا ، فقلنا : نحن نكفيكم . ثم الله راعٍ علينا وعليكم ، إن ظفرنا لنُعطيَنَّ كلَّ ذى حق حقه ؛ فجئنا فاتقينا الرماح بصدورنا ، والسيوف بوجوهنا ، فعرضتم لنا دونهم ، فقاتلتمونا ، فأبعدكم الله : فوالله لو قلتم لا نعرف الذى تقول ولا نعلمه لكان أعذر ؛ مع أنه لا عُذْر للجاهل ، ولكن أبى الله إلا أن يَنطق بالحق على ألسنتكم ويأخذكم به فى الآخرة .

ثم قال الناس منا ونحن منهم ، إلا ثلاثة : حاكما جاء بغير ما أنزل الله ، أو متبعا له ، أو راضياً بعمله .

أسقطنا فى هذه الخطبة ماكان من طعنه على الخلفاء، فإنه طعن فيها على عثمان وعلى بن أبى طالب رضوان الله عليهما ، وعمر بن عبد العزيز ، ولم يترك من جميع الخلفاء إلا أبا بكر وعمر ، وكفَّر مَن بعدهما ، فلعنة الله عليه ؛ إلا أنه ذكر من الخلفاء رجلا أصغى إلى الملاهى والمعازف وأضاع أمر الرعية فقال : كان فلان ابن فلان من عدد الخلفاء عندكم ، وهو مضيِّع للدين والدنيا ، اشتُرِى له بردان ٥ بألف دينار ائتزر بأحدهما والتحف بالآخر ، وأقعد حبَّابة عن يمينه ، وسلّامة عن يساره ، فقال : ياحبابة غنينى ، وياسلامة اسقينى ؛ فإذا امتلأ سكراً وازدهى طربا شق ثوبيه وقال : ألا أطير ؟ فَطِرْ إلى النار وبئس المصير ! فهذه صفة خلفاء الله تعالى .

وخطبة لأبى حمزة

١٠ أما بعد ، فإنك فى ناشئ فتنة ، وقائم ضلالة قد طال جثومها ، واشتد عليك غمومُها ، وتلوّتْ مصايد عدو الله ، وما نصب من الشرك لأهل الغفلة عما فى عواقبها ، فلن يَهُدّ عمودَها ، ولن يَنزع أوتادَها ، إلا الذى بيده مُلْك الأشياء وهو الله الرحمن الرحيم : ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمها ، ولم يشايعوا أهلها على شبهها ؛ مصابيح النور فى أفواههم تزهو ، وألسنتُهم بحجج ١٥ الكتاب تَنْطِق ؛ ركبوا مَنْهج السبيل ، وقاموا على العلَم الأعظم ، هم خصماء الشيطان الرجيم ، بهم يُصلِح الله البلاد ، ويدفع عن العباد ؛ طوبى لهم وللمستصبحين بنورهم ، وأسأل الله أن يجعلنا منهم .

من أرتج عليه فى خطبته

عثمان بن عفان

أول خطبة خطبها عثمان بن عفان أرتج عليه ؛ فقال : أيها الناس ، إن أول ٢٠ كلِّ مركب صعب ؛ وإن أعِش تأتكم الخطب على وجهها ؛ وسيجعل الله بعد عسر يُسراً إن شاء الله .

يزيد بن أبى سفيان

ولما قدم يزيد بن أبى سفيان الشام والياً عليها لأبى بكر ، خطب الناس فأرتج عليه ؛ فعاد إلى الحمد لله ، ثم أرتج عليه فعاد إلى الحمد ثم أرتج عليه فقال : يأهل الشام

عسى الله أن يجعل بعد عُسر يسراً ، وبعد عيٍّ بيانا ؛ وأنتم إلى إمام فاعل أحوج منكم إلى إمام قائل . ثم نزل ، فبلغ ذلك عمرو بن العاص فاستحسنه .

صعد ثابت قطنة منبر سجستان ، فقال : الحمد لله . ثم أرتج عليه ؛ فنزل وهو يقول :

٥ فإن لا أكنْ فيهم خطيباً فإنني * بسيْفى إذا جَدّ الوغَى لخطيب

فقيل له : لو قلتها فوق المنبر لكنت أخطب الناس .

معاوية — وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولى ، فحَصِر ، فقال : أيها الناس ، إني كنت أعددت مقالا أقوم به فيكم فحُجِبْت عنه ؛ فإن الله يحول بين المرء وقلبه ؛ كما قال فى كتابه ؛ وأنتم إلى إمام عدلٍ ، أحوج منكم إلى إمام خطيب ؛ وإنى آمركم بما ١٠ أمر الله به ورسوله ، وأنهاكم عما نهاكم الله عنه ورسوله ؛ وأستغفر الله لى ولكم .

خالد القسرى — وصعد خالد بن عبد الله القسرى المنبر فأرتج عليه ، فمكث مليا لا يتكلم ؛ ثم تهيأ له الكلام فتكلم ، فقال : أما بعد ، فإن هذا الكلام يجيء أحيانا ويعزب أحيانا ، فيسمح عند مجيئه سَيْبه ، ويعزّ عند عزوبه طلبه ؛ ولربما كوبِر فأبى ، وعولج فنأى ؛ فالتأنى لمجيئه ، خير من التعاطى لآبيه ؛ وتركُهُ عند تنكره ، أفضل من ١٥ طلبه عند تعذره ؛ وقد يُرْتَج على البليغ لسانه ، ويُختلَج من الجرىّ جنانه ؛ وسأعود فأقول إن شاء الله .

أبو العنبس — وصعد أبو العنبس منبراً من منابر الطائف ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ... فأُرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : لا . قال : فما ينفعنى ما أريد أن أقول لكم ؟ ثم نزل .

٢٠ فلما كان فى الجمعة الثانية صعد المنبر وقال : أما بعد ؛ فأُرتج عليه ، فقال : أتدرون ما أريد أن أقول لكم ؟ قالوا : نعم . قال : فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما علمتم ؟ ثم نزل .

فلما كانت الجمعة الثالثة قال : أما بعد ؛ فأرتج عليه ، قال : أتدرون ما أريد أن

أن أقول لكم ؟ قالوا : بعضنا يدرى ، وبعضنا لا يدرى . قال : فليخبر الذى يدرى منكم الذى لا يدرى ! ثم نزل .

هاشمى — وأتى رجل من بنى هاشم اليمامة ، فلما صعد المنبر أُرتج عليه : فقال : حيّا الله هذه الوجوه وجعلنى فِداءها : قد أمرتُ طائفى بالليل ألا يرى أحداً إلا أتانى به ؛ وإن كنت أنا هو ! ثم نزل . ٥

خالد بن عبد الله — وكان خالد بن عبد الله إذا تكلم يظنّ الناس أنه يصنع الكلام ، لعذوبة لفظه وبلاغة منطقه ؛ فبينا هو يخطب يوما إذ وقعت جرادة على ثوبه ، فقال : سبحان مَن الجرادة مِن خلقه ، أدمج قوائمها وطرفها وجناحيها ، وسلطها على ما هو أعظم منها .

عبد الله بن عامر — خطب عبد الله بن عامر بالبصرة فى يوم أضحى ، فأُرتج عليه ، فمكث ساعة ثم قال : والله لا أجمع عليكم عِيًّا ولؤما . من أخذ شاة من السوق فهى له وثمنُها علىّ . ١٠

عبد الملك — قيل لعبد الملك بن مروان : عَجِل عليك المشيب يا أمير المؤمنين . فقال : كيف لا يعجَل وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين .

خطب النكاح ١٥

عنبسة بن أبى سفيان — خطب عثمان بن عَنبسة بن أبى سفيان إلى عُتبة بن أبى سفيان ابنته ، فأقعده على فخذه ، وكان حدثا ، فقال :

أقرب قريب ، خَطب أحبَّ حبيب ، لا أستطيع له ردّا ، ولا أجد من إسعافه بُدّا ؛ وقد زوّجتكها وأنت أعز علىّ منها ، وهى ألصق بقلبى منك : فأكرِمْها يعذُب على لسانى ذكرك ، ولا تُهنْها فيصغُر عندى قدرك ؛ وقد قرّبتُك مع قرْبك . فلا تُبعدْ قلبى من قلبك . ٢٠

وخطبة نكاح

سوار القاضى

العتبي قال : زوّج شبيب بن شيبة ابنه بنتَ سوار القاضى ، فقلنا : اليوم يعبُّ عُبابه ! فلما اجتمعوا تكلم فقال :

الحمد لله ، وصلى الله على رسول الله ، أمّا بعد ، فإن المعرفة منا ومنكم بنا

٥ وبكم ، تمنعنا من الإكثار ، وإن فلانا ذَكر فلانة .

وخطبة نكاح

الحسن البصرى

العتبي قال : كان الحسن البصرى يقول فى خطبة النكاح ، بعد الحمد لله والثناء عليه :

أمّا بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة ، والأنساب المتفرقة ،

١٠ وجعل ذلك فى سُنَّة من دينه ومنهاج [واضحٍ] من أمره ؛ وقد خَطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبذل من الصداق كذا فاستخيروا الله وردّوا خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نكاح

ابن الفقير

العتبي قال : حضرتُ ابنَ الفُقيْر خَطب على نفسه امرأة من باهلة ، فقال :

١٥ وماحسَنٌ أن يَمدح المرء نفسه ٭ ولكنّ أخْلاقاً تُذمّ وتُمدحُ

وإن فلانة ذكرت لى .

وخطبة نكاح

عمر بن عبد العزيز

العتبي قال : يستحب للخاطب إطالة الكلام ، وللمخطوب إليه تقصيره : فخطب محمد بن الوليد [بن عتبة بن أبى سفيان] إلى عمر بن عبد العزيز أخته ،

٢٠ فتكلم محمد بكلام طويل ، فأجابه عمر :

الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أمّا بعد ، فإن الرغبة منك دعتْك إلينا ، والرغبة فيك أجابتك منا ، وقد أحسنَ بك ظنًّا مَن أودعك كريمته ، واختارك ولم يختر عليك ، وقد زوّجتكها على كتاب الله : إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .

وخطبة نكاح

٥

بلال

خطب بلال إلى قوم من خثعم لنفسه ولأخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أنا بلال وهذا أخى ، كنا ضالّيْن فهدانا الله ، عبدين فأعتقَنا الله ، فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن تردّونا فالمستعان الله .

عمر بن عبد العزيز

١٠

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :

قد زوّجك أمير المؤمنين ابنته فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا ، فقد أجزلتَ العطية ، وكفَيت المسألة .

نكاح العبد

خالد بن صفوان

الأصمعى قال : زوّج خالد بن صفوان عبدَه من أمته ، فقال له العبد : لو دعوتَ الناس وخطبتَ ! قال : آدعُهم أنت . فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا تكلم خالد بن صفوان فقال :

١٥

إن اللهَ أعظمُ وأجلُ من أن يُذكر فى نكاح هذين الكلبين ! وأنا أُشهدكم أنى زوّجتُ هذه الزانية ، من هذا ابنِ الزانية .

خطب الأعراب

لبعض الأعراب

٢٠

الأصمعى قال : خطب أعرابى فقال : أمّا بعد ، فإن الدنيا دار ممرّ ، والآخرةَ دار مقرّ ؛ فخذوا من ممرّكم لمقرّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى

عليه أسراركم ، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حَييتم ، ولغيرها خُلقتم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغداً حساب بلا عمل ، إنّ الرجل إذا هلك قال الناس : ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قدّم ؟ فقدّموا بعضاً يكون لكم قرضاً ، ولا تتركوا كُلا فيكون عليكم كَلاًّ ، أقول قولى هذا
٥ والمحمودُ الله والمصلَّى عليه محمد ، والمدعوُّ له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر . قوموا إلى صلاتكم .

وخطبة لأعرابى

الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد ، أمّا بعد ، فإنّ التعمق فى ارتجال الخطب لممكن ، والكلام لا يَنثنى حتى يُنثنَى عنه ، والله تبارك وتعالى
١٠ لا يُدرك واصف كُنْه صفته ، ولا يبلغ خطيب منتهَى مدْحته ، له الحمد كما مدح نفسه ، فانهضوا إلى صلاتكم . ثم نزل فصلى .

خطبة أعرابى لقومه

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى ، وعلى جميع الأنبياء ، ما أقبح بمثلى أن ينهى عن أمر ويرتكبه ، ويأمر بشىء ويجتنبه ، وقد قال الأوّل :

١٥ ودعْ ما لُمت صاحبَه عليه * فذمٌ أن يَلومك مَن تلومُ

ألهمنا الله وإياكم تقواه ، والعملَ برضاه .

* * *

[إلى هنا ينتهى كتاب الواسطة فى الخطب ، وقد أُلحِقتْ به فى بعض الأصول الخطبة الآتية للإمام علىّ كرّم الله وجهه ، وقد فات الناسخ أن يثبتها فى موضعها من الكتاب ، تلو خطبة المأمون فى الفطر ، فألْحَقْها بالكتاب فى هذا الموضع] .

* * *

٢٠ جاء رجل إلى علىّ كرّم الله وجهه فقال : يا أمير المؤمنين ، صف لنا ربنا ، لنزداد له محبة ، وبه معرفة . فغضب علىٌّ كرّم الله وجهه ، ثم نادى : الصلاة جامعة . (لعلى بن أبى طالب)

فاجتمع الناس إليه حتى غص المسجد بأهله ؛ ثم صعد المنبر وهو مُغْضَبٌ متغيرُ اللون ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم صلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

والحمد لله الذي لا يفِرُه المنع ، ولا يُكْديه الإعطاء ، بل كل مُعطٍ ينقص سواه ؛ هو المنان بفرائد النعم ، وعوائد المزيد ؛ وبجوده ضُمنت عياله الخلق ، ونهج سبيل الطلب للراغبين إليه ، وليس بما يُسأل أجود منه بما لا يُسأل ، وما اختلف عليه دهر فتختلف فيه حال ، ولو وَهب ما آنشقت عنه معادنُ الجبال ، وضحكت عنه أصدافُ البحار ، من فِلزّ اللجين ، وسبائك العقيان ، وشَذْر الدر ، وحصيد المرجان — لبعض عباده — ما أثّر ذلك فى ملكه ولا فى جوده ولا أنفد ذلك سَعَة ما عنده ، فعنده من الأفضال ما لا يُنفِده مطلبٌ وسؤال ، ولا يخطر لكم على بال ؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب ، ولا يُبرمه إلحاح الملحّين بالحوائج وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ! فما ظنُّكم بمن هو هكذا ولا هكذا غيره ، سبحانه وبحمده .

أيها السائل ، أعقل ما سألتنى عنه ، ولا تسأل أحداً بعدى ؛ فإنى أكفيك مئونة الطلب ، وشدة التعمق فى المذهب ؛ وكيف يوصف الذى سألتَنى عنه ، وهو الذى عجزت الملائكة على قربهم من كرسى كرامته ، وطولِ ولههم إليه ، وتعظيمِهم جلالَ عزته ، وقربهم من غيب ملكوته — أن يعلموا من علمه إلّا ما علمهم ، وهو من ملكوت العرش بحيث هم من معرفته على ما فطرهم عليه ، فقالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . فدح الله اعترافهم بالعجز عما لم يحيطوا به علما ، وسمّى تركَهم التعمق فيما لم يكلفهم البحثَ عنه رسوخا ؛ فاقتصِرْ على هذا ولا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين ؛ واعلم أن الله الذى لم يحدُث فيمكن فيه التغير والانتقال ، ولم يتغير فى ذاته بمرور الأحوال . ولم يختلف على تعاقب الأيام والليالى — هو الذى خلق الخلق على غير مثال آمتثلَه ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله : بل أرانا من ملكوت قدرته ، وعجائب

ربوبيته ممـا نطقت به آثار حكمته ، واضطرار الحاجة من الخلق إلى أن يُفهمهم مبلغ قوته — ما دلنا بقيام الحجة له بذلك علينا على معرفته .

ولم تحط به الصفات بإدراكها إياه بالحدود متناهيا ، وما زال إذ هو الله الذى ليس كمثله شيء عن صفة المخلوقين متعاليا ، انحسرت العيون عن أن تناله فيكون بالعيان موصوفا ، وبالذات التى لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفا ؛ وفات لعلوّه عن الأشياء مواقعَ وهم المتوهمين ؛ وليس له مِثل فيكون بالخلق مشبها ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه والأنداد منزّها ، وكيف يكون من لا يُقدر قدرُه مقدراً فى رويّات الأوهام ، وقد ضل فى إدراك كيفيته حواسُّ الأنام : لأنه أجَل من أن تحدّه ألبابُ البشر بنظير ، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين .

ألا وإن لله ملائكةً صلى الله عليهم وسلم . لو أن مَلَكا هبط منهم إلى الأرض لما وسعتْه لعظم خلقه وكثرة أجنحته ؛ ومن ملائكته مَن سد الآفاق بجناح من من أجنحته دون سائر بدنه ؛ ومن ملائكته مَن السموات إلى حُجزته وسائرُ بدنه فى جِرم الهواء الأسفل ، والأرَضون إلى ركبته ومن ملائكته مَنْ لو اجتمعت الإنسُ والجنُ على أن يصفوه ما وصفوه ، لبعد ما بين مفاصله ، ولحسن تركيب صورته ؛ وكيف يوصف مَن سبعُمائة عامٍ مقدارُ ما بين مَنكبيه إلى شحمة أذنيه ؟ ومن ملائكته مَن لو أُلقيَتِ السُّفُنُ فى دموع عينيه لجرتْ دهرَ الداهرين ؛ فأين أين بأحدكم ؟ وأين أين أن يُدرك ما لا يدرَك ؟

كتاب المجنبة الثانية

في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتبة

فرش الكتاب

لابن عبد ربه — قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا فى الخطَب وفضائلها وذكر طِوالها وقِصارها ، ومقامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى التوقيعات ، والفصول ، والصدور ، وأدوات الكتابة ، وأخبار الكتّاب ، وفضل الإيجاز ؛ إذ كان أشرفُ الكلام كلّه حُسنا وأرفعَه قدْرا . وأعظَمُه من القلوب مَوْقِعا ، وأقلّه على اللسان عَمَلا : ما دل بعضُه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهرُه على باطنه ، وذلك أن تقلّ حروفه وتكْثُرَ معانيه ؛ ومنه قولهم : رُبَّ إشارةٍ أبْلَغُ مِنْ لفْظٍ . أليس أن الإشارة تبين ما لا يبينه الكلام ، وتبلغ ما يقصر عنه اللسان ؟ ولكنها إذا قامت مقام اللفظ وسدت مسدّ الكلام ، كانت أبلغ ؛ لخفة مؤنتها ، وقلة محملها .

لأبرويز — قال أبرويز لكاتبه : اْجْمَع الكثيرَ مما تريد من المعنى ، فى القليل مما تقول . يحضُّه على الإيجاز . وينهاه عن الإكثار فى كتبه ، ألا تراهم كيف طعنوا على الإسهاب والإكثار ، حتى كان بعضُ الصحابة يقول : أعوذ بالله من الإسهاب ؛ قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المُسْهِب الذى يتخلل بلسانه تخلُّلَ الباقر ، ويشول به شولان الرَّوق .

للنبي صلى الله عليه وسلم — وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبغَضُكُمْ إلىَّ الثرثارُون المُتشَدِّقون » يريد : أهل الإكثار والتقعير فى الكلام .

العرب والإيجاز — ولم أجد أحداً من السلف يذمُّ الإيجاز ويقدح فيه ، ولا يعيبه ويطعن عليه

وتحب العرب التخفيف والحذف، وهربها من التثقيل والتطويل، كان قصرُ الممدود أحب إليها من مدّ المقصور. وتسكينُ المتحرك أخفّ عليها من تحريك الساكن لأن الحركةَ عمل والسكونَ راحة.

ومن كلام العرب الاختصار والإطناب، والاختصارُ عندهم أحمدُ فى الجملة، ٥ وإن كان للإطناب موضع لا يصلحُ إلا له، وقد تومئُ إلى الشيء فتستغنى عن التفسير بالإيماء، كما قالوا: لَمْحَةٌ دالّة.

جعفر وكتابه لابن مسعدة

كتب عمرو بن مسعدة إلى ضمرة الحرورى كتابا، فنظر فيه جعفر بن يحيى فوقع فى ظهره: إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيرا، وإذا كان الإيجاز كافيا كان الإكثار عِيًّا.

مروان وكتاب لقائد

١٠ وبعث إلى مروان بن محمد قائد من قواده بغلام أسود، فأمر عبد الحميد الكاتبَ أن يكتب إليه يلحاه ويعنفه، فكتب وأكثر، فاستثقل ذلك مروان، وأخذ الكتاب فوقع فى أسفله: أما إنك لو علمت عدداً أقل من واحد، ولوناً شرًّا من أسود، لبعثت به.

ربيعة الرأى وأعرابى

وتكلم ربيعة الرأى فأكثر، وأعجبه إكثاره، فالتفت إلى أعرابىّ إلى ١٥ جنبه فقال له: ما تعدون البلاغة عندكم يا أعرابى؟ قال له: حذف الكلام، وإيجاز الصواب. قال: فما تعدُّون العىّ؟ قال: ما كنت فيه منذُ اليوم! فكأنما ألقمه حجرا.

أول من وضع الكتابة

آدم عليه السلام

أول من وضع الخط العربى والسريانى وسائر الكتب، آدم صلى الله عليه ٢٠ وسلم، قبل موته بثلثمائة سنة: كتبه فى الطين ثم طبخه؛ فلما انقضى ما كان أصاب الأرضَ من الغرق، وجدَ كلُّ قوم كتابَهم فكتبوا به، فكان إسماعيلُ عليه الصلاة والسلام وجد كتابَ العرب.

وروى عن أبى ذَر عن النبى صلى الله عليه وسلم أن إدريس أول من خط

بالقلم بعد ادم صلى الله عليه وسلم .

إسماعيل عليه السلام

وعن ابن عباس أن أول من وضع الكتابة العربية إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام وكان أول من نطق بها ، فوضعت على لفظه ومنطقه .

قوم من القدماء

وعن عمرو بن شبة بأسانيده ، أن أول من وضع الخط العربى ، أبجدُ وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت ؛ وهم قوم من الجبلة الآخرة ، وكانوا نزولا مع عدنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس . ٥

وحكى أنهم وضعوا الكتب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفا فى الألفاظ ليست فى أسمائهم ألحقوها بهم وسموها الروادف ، وهى : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحن فى حروف الجُمَّل .

بنو إسماعيل

وعنه أن أول من وضع الخط : نفيس ، ونصر ، وأتيما ، وبنو إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض حتى فرقه نبت وهميسع وقيذر . ١٠

طيّ

وحكوا أيضا أن ثلاثة نفر من طيّ اجتمعوا ببقعة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سِدرة ، وعامر بن جَدَرة ؛ فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه قومٌ من الأنبار . ١٥

فى الإسلام

وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة عشر إنسانا ، وهم : على ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبان بن سعيد بن العاص ، وخالد بن سعيد أخوه ، وأبو حذيفة بن عتبة ، ويزيد بن أبى سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمى وأبو سلمة بن عبد الأسد ، وعبد الله بن سعد بن أبى سَرح ٢٠ وحُويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاويه ولده ، وجُهيم بن الصلت ابن مَخرمة

استفتاح الكتب

الشيباني — إبراهيم بن محمد الشيباني قال: لم تزل الكتب تستفتح: باسمك اللهم، حتى أنزلت سورة هود وفيها: ﴿بسمِ اللهِ مَجْراها ومُرْساها﴾ فكُتب بسم الله؛ ثم نزلت بسورة بني إسرائيل: ﴿قُلِ ادْعوا اللهَ أوِ ادْعوا الرَّحْمٰن﴾، فكُتِبَ بسم الله الرحمن؛ ثم نزلت بسورة النمل: ﴿إنَّه مِن سُليمانَ وإنَّه بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرحيم﴾ فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنَّة.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمراء جنوده: من محمد رسول الله إلى فلان.

وكذلك كانوا يكتبون إليه: يبدءون بأنفسهم؛ فممن كتب إليه وبدأ بنفسه أبو بكر، والعلاء بن الحضرمي، وغيرهما؛ وكذلك كُتب الصحابة والتابعين؛ ثم لم تزل حتى ولي الوليد بن عبد الملك، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكاتبه الناس بمثل ما يكاتب به بعضهم بعضا، فجرت به سنة الوليد إلى يومنا هذا، إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل، فإنهما عملا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم رجع الأمر إلى رأى الوليد، والقوم عليه إلى اليوم.

ختم الكتاب وعنوانه

سبب ذلك — وأما ختم الكتاب وعنوانه فإن الكتب لم تزل مشهورة غير مُعَنْوَنَة ولا مختومة حتى كتبت صحيفة المتلمس، فلما قرأها ختمت الكتب وعنونت؛ وكان يؤتى بالكتاب فيقال: مَن عُنيَ به؟ فسمى عنوانا.

لحسان في عثمان — وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان:

ضَحَّوْا بأَشْمَطَ عنوانُ السُّجُود به ... يُقطِّعُ الليلَ تَسْبيحاً وقُرْآنا

لبعض الشعراء — وقال آخر:

وحاجةٍ دون أُخرى قد سَمَحْتُ بها ... جَعَلْتُها للذي أحبَبْتُ عُنْوانا

لبعض المفسرين

وقال أهل التفسير فى قول الله تعالى : ﴿إِنِّى أُلْقِيَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ : أى مختوم ؛ إذ كانت كرامة الكتاب خَتْمُه .

تأريخ الكتاب

سبب ذلك

لابد من تأريخ الكتاب ؛ لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقربِ عهد الكتاب وبُعْدِه إلا بالتأريخ ، فإذا أردت أن تورِّخ كتابك فانظر إلى مامضى من الشهر ٥ وما بقى منه ، فإن كان ما بقى أكثر من نصف الشهر ، كتبت : لكذا وكذا ليلة مضتْ من شهر كذا ؛ وإن كان الباقى أقل من النصف جعلت مكان مضت : بَقِيَتْ .

وقد قال بعض الكتاب : لا تكتب إذا أرّخت إلا بما مضى من الشهر ؛ لأنه معروف وما بقى منه مجهول ؛ لأنك لا تدرى أيتم الشهر أم لا .

سحاءة الكتاب وطريقة لابن طاهر

١٠ ولا تجعل سِحاءة كتابك غليظةً ، إلا فى كتب العهود والسجلات التى يُحتاج إلى بقاء خواتمها وطوابعها ؛ فإن عبد الله بن طاهر كتب إليه بعض عمّاله على العراق كتابا ، وجعل سحاءته غليظة ، فأمر بإشخاص الكاتب إليه ، فلما ورد عليه قال له عبد الله بن طاهر : إن كانت معك فأس فاقطع ختم كتابك ثم ارجع إلى عملك ، وإن عدت إلى مثلها عدنا إلى إشخاصك لقطعها ؛ ولا تعظم الطينة جدا ، ١٥ وطِنْ كتبَك بعد كَتْبك عناوينَها ، فإن ذلك من أدب الكاتب ، فإن طِينَتْ قبل العنوان فأدب منتحل .

تفسير الأمى

فأما الأُمِّىُّ فمجازه على ثلاثة وجوه : قولهم أمى ؛ منسوب إلى أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال : رجل أُمِّى ؛ إذا كان من أم القرى ، قال الله تعالى : ٢٠ ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ، وأما قوله تعالى : ﴿النَّبِيِّ الأُمِّيِّ﴾ ، فإنما أراد به الذى لا يقرأ ولا يكتب ، والأمّيّة فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة : لأنها أدلُّ على صدق ماجاء به أنه من عند الله لا من عنده ، وكيف يكون من عنده وهو لا يكتب ولا يقرأ ولا يقول الشعر ولا ينشده ؟

المأمون والمنقرى

قال المأمون لأبى العلاء المنقرى : بلغنى أنك أُمّىّ ، وأنك لا تقيم الشعر ، وأنك تلحن فى كلامك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبقنى لسانى بالشىء منه ، وأما الأمّيّة وكسر الشعر فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم أُمّيًّا ، وكان لا يُنْشِدُ الشعر . فقال المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتنى ٥ رابعاً ، وهو الجهل ، أما علمت يا جاهل أن ذلك فى النبى صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفى أمثالك نقيصة .

شرف الكتاب وفضلهم

مما أثر فى فضلهم

فمن فضلهم قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ علم بالقَلَمِ ، علّم الإنسانَ مالم يَعْلمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كرامًا كاتبينَ ﴾ ، وقوله : ﴿ بِأيدى ١٠ سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ ﴾ .

وللكتّاب أحكام بينة كأحكام القضاة يُعرفون بها وينْسبون إليها ويتقلدون التدبير وسياسة الملك دون غيرهم ، وبهم يقام أَوَدُ الدين وأُمور العالمين .

كتاب النبى صلى الله عليه وسلم

فمن اهل هذه الصناعة : على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وكان مع شرفه ونبله وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الوحى ، ثم أفضت ١٥ عليه الخلافة بعد الكتابة ، وعثمان بن عفان ـ كانا يكتبان الوحى ، فإن غابا كتب أُبَىٌّ بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحد منهما ، كتب غيرهما .

وكان خالد بن سعيد بن العاص ، ومعاوية بن أبى سفيان ، يكتبان بين يديه فى حوائجه .

وكان المغيرةُ بن شعبة ، والحصين بن نمير ، يكتبان ما بين الناس ، وكانا ينوبان ٢٠ عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرا .

وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث ، والعلاء بن عقبة ، يكتبان بين القوم فى قبائلهم ومياههم ، وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء.

وكان ربمـا كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وكان حذيفة بن اليمـان يكتب خرص ثمـار الحجاز .

وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحى ؛ وقيل إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من خادمه عليه الصلاة والسلام .

وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام لحاجة ، فقال لى : ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للممل وأقضى للحاجة .

وكان معيقيب بن أبى فاطمة يكتب مغانم النبي صلى الله عليه وسلم .

وكان حنظلة بن الربيع بن المرقع بن صيفى ، ابن أخى أكثم بن صيفى الأسيِّدى ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا غاب عن عمله ؛ فغاب عليه أسلم ، وكان يضع عنده خاتمه ، فقال له : الزمنى وأذكرنى بكل شىء أنا فيه ؛ وكان لا يأتى على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ؛ فلا يبيت صلى الله عليه وسلم وعنده منه شىء .

ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بامرأة مقتولة يوم فتح مكة ، فقال لحنظلة : الحق خالداً وقل له : لا تقتلنّ ذرية ولا عَسيفا . ومات حنظلة بمدينة الرُّها ، فقالت فيه امرأة ؛ وحُكى أنه من قول الجن وهذا محال :

يا عجبَ الدهرِ لمحزونة * تبكى على ذى شَيْبةٍ شاحِب
إنْ تسألِنى اليومَ ماشفَّنى * أُخبرْكِ قِيلاً ليس بالكاذب
إنَّ سوادَ العيْن أوْدى به * وجْدى على حنظلةَ الكاتب

لما وجّه عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعدا إلى العراق وكتب إليه أن

يسبِّع القبائل أسباعا ، ويجعل على كل سُبُع رجلا ، فعل سعد ذلك ، وجعل السُّبُع الثالث تميما وأسداً وغطفان وهوازن ، وأميرهم حنظلة بن الربيع الكاتب . وكان أحد من سُيِّر إلى يزدجرد يدعوه إلى الإسلام .

وكان الحصين بن نمير من بنى عبد مناة شهد بيعة الرضوان ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحديبية فأبى ذلك سُهيل بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا رجل منا . فكتب على بن أبى طالب .

وروى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ، حين صالح قريشا ، كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكتب له ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ، وقال : إن محمداً يكتب بما شئت ! فسمع ذلك رجل من الأنصار ، فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنّه ضربا بالسيف ؛ فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان — وكان بينهما رَضَاع — فقال : يارسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا . فأعرض عنه ، والأنصارى مُطيف به ومعه سيفه ، فمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وبايعه ، وقال للأنصارى : لقد تلوَّمْتُك أن توفىَ بنذرك ! فقال : هلا أوْمَضْت إلىّ ! فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينبغى لى أن أومِض .

أيام أبى بكر رضى الله عنه

كان يكتب لأبى بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت .

وروى أن عبد الله بن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضا .

ولما تقلد الخلافة دعا بزيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا نتهمك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى : فتتَبع القرآن فاجمعه وفيه يقول حسان بن ثابت :

فَمَنْ للقوافِى بعد حَسّان وابنهِ ۞ ومَن للمثانى بعد زيدِ بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب لعمر بن الخطاب : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن أرقم ، وعبد الله بن خلف الخزاعى — أبو طلحة الطلحات — على ديوان البصرة .

وكتب له على ديوان الكوفة أبو جَبيرة بن الضحاك ، فلم يزل عليه إلى أن ولى عُبيد الله بن زياد ، فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى . ٥

أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم ، وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة ، وأبو حبترة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على بيت المال ، وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بنى همدان ، من قيس بن عيلان — يكتب له أيضا ، وكان يكتب له أهيب مولاه ، وحُمران مولاه . ١٠

أيام على بن أبى طالب كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمدانى ، ثم ولى قضاء الكوفة لابن الزبير ؛ وكان عبد الله بن جعفر يكتب له ؛ وروى أن عبد الله بن حسن كتب له ؛ وكان عبد الله بن أبى رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .

[أيام بنى أمية] ١٥

كتاب بنى أمية

وكان يكتب لمعاوية بن أبى سفيان : سعيد بن أنس الغسانى .

وكاتب يزيد بن معاوية : سرجون بن منصور .

وكاتب مروان بن الحكم : حميد بن عبد الرحمن بن عوف .

وكاتب عبد الملك بن مروان : سالم مولاه ، ثم كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . ٢٠

وكاتب الوليد بن عبد الملك : جناح مولاه .

وكاتب سليمان بن عبد الملك : عبد الحميد الأصغر .

وكاتب عمر بن عبد العزيز : الليث بن أبى رقية مولى أم الحكم ؛ وكتب له رجاء بن حيوة وخص به ؛ وإسماعيل بن أبى حكم مولى الزبير ؛ وسليمان بن سعد الحسنى على ديوان الخراج . وكان عمر يكتب كثيراً بيده .

٥ وكاتب يزيد بن عبد الملك : عبد الحميد أيضا ، ثم لم يزل كاتباً لبنى أمية إلى أيام مروان بن محمد وانقضاء دولة بنى أمية ؛ وكان عبد الحميد أول من فتق أكمام البلاغة ، وسهّل طرقها ، وفكّ رقاب الشعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

كتاب بنى العباس

فكان كاتب أبى العباس وأبى جعفر : أبا أيوب الموريانى الأهوازى .

١٠ وكاتب محمد المهدى بن المنصور : معاوية بن عبيد الله ، ثم يعقوب بن داود .

وكاتب موسى الهادى بن محمد المهدى : إبراهيم بن ذكوان الحرانى .

وكاتب هارون الرشيد محمد المهدى : يحيى بن خالد البرمكى ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم إبراهيم بن صبيح .

وكاتب محمد ـ بن زبيدة ـ الأمين : الفضل بن الربيع .

١٥ وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد : الفضل بن سهل ، ثم الحسن ابن سهل ، ثم عمرو بن مسعدة ، ثم أحمد بن يوسف .

وكاتب أبى إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة : الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات .

وكاتب الواثق هارون بن محمد المعتصم : محمد بن الملك الزيات أيضا .

٢٠ وكاتب المتوكل جعفر بن محمد المعتصم : إبراهيم بن العباس بن صول ، مولى لبنى العباس .

وكاتب المنتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، ابن المتوكل : أحمد بن الخصيب .

ثم كتب للمستعين : أحمد بن محمد المعتصم ، فظهر من عجزه وعيّه ما أسخطه عليه ،

ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط عليهما فقتلهما واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقلد وزارته محمد بن الفضل الُجرجانى ، ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارتَه جعفر بن محمود الجرجانى ، فلما استقام الأمر رد وزارته إلى أحمد ابن إسرائيل .

وكاتب المهتدى محمد بن الواثق : جعفر بن محمود الجرجانى، ثم استوزر بعده أبا أيوب سليمان بن وهب .

واستوزر المعتمد أحمد بن المتوكل : عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفى استوزر بعده الحسن بن مخلد ؛ وكان سبب موته أنه صدمه غلام له فى الميدان يقال له رشيق ، فحُمل إلى منزله فمات بعد ثلاث ساعات .

وتقلد الوزارة للمعتضد : أحمد بن طلحة .

وللموفق بن جعفر المتوكل : عبيد الله بن سليمان بن وهب .

وتقلد الوزارة للمكتفى بالله أبى محمد على بن المعتضد بالله : القاسم بن عبيد الله ابن سليمان .

وتقلد الوزارة لجعفر المقتدر بالله بن المعتضد بالله : على بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، ثم على بن عيسى ثم حامد بن العباس ، ثم محمد بن على بن مقلة ، الذى يوصف خطه بالجودة ؛ ثم سليمان بن الحسن بن مخلد ، ثم عبد الله بن أحمد الكلوذانى ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولقِّب بعميد الدولة ، وكان يكتب على كتبه : « من عميد الدولة أبى على بن ولى الدولة » وذُكر لقبُه على الدنانير والدراهم ؛ ثم الفضل بن جعفر ابن محمد بن الفرات .

وتقلد الوزارة للقاهر بالله أبى منصور محمد بن المعتضد : محمد بن على بن مقلة ثم محمد بن القاسم بن عبيد الله ، ثم القاسم بن عبيد الله الحصينى .

وتقلد الوزارة للراضى بالله أبى العباس محمد بن جعفر المقتدر : محمد بن

على بن مقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير على بن عيسى ، ثم محمد ابن القاسم الكرخى ؛ ثم الفضل بن جعفر بن الفرات ، ثم محمد بن يحيى ابن شيرزاد .

وتقلد الوزارة للمتّقى بالله إبراهيم بن جعفر بن المقتدر ؛ كاتبُه أحمد بن محمد ابن الأفطس ، ثم أبو إسحق القراربطى ، ثم على بن محمد بن مقلة .

وتقلد الوزارة للمستكفى بالله أبى القاسم عبد الله بن على المكتفى بالله : الحسين ابن محمد بن أبى سليمان ، ثم محمد بن على السامرى المكنى أبا الفرج ؛ ثم ولى للمطيع بالله الفضل بن المقتدر ، فوزر له الحسن بن هارون .

أسماء من كتب لغير الخليفة

كان المغيرة بن شعبة كاتباً لأبى موسى الأشعرى .

وكان سعيد بن جبير كاتباً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضياً بعد ذلك .

وكان الحسن بن أبى الحسن البصرى — مع نبله وفقهه وورعه وزهده — كاتباً للربيع بن زياد الحارثى بخراسان ، ثم ولى قضاء البصرة لعمر بن عبد العزيز فقيل له : مَن وليت القضاء بالبصرة ؟ فقال : وليت سيدَ التابعين الحسنَ بن أبى الحسن البصرى .

وكان محمد بن سيرين ـ مع علمه وورعه ـ كاتباً لأنس بن مالك بفارس .

وكان زياد بن أبيه ـ مع رأيه ودهائه ، وما كان من معاوية فى ادعائه ـ يكتب للمغيرة بن شعبة ، ثم لعبد الله بن عامر بن كُرَيز ، ثم لعبد الله بن عباس ، ثم لأبى موسى الأشعرى : فوجّهه أبو موسى من البصرة لعمر بن الخطاب ليرفع إليه حسابه ، فأمر له عمر بألف درهم ، لما رأى فيه من الذكاء ، وقال له : لا ترجع لأبى موسى . فقال : يا أمير المؤمنين ، أعَن خيانةٍ صرفتَنى أم عن تقصير ؟ قال : لا عن واحدة منهما ، ولكنى أكره أن أحمل فضلَ عقلِك على الرعية !

ثم ولِيَ بعد الكتابة العراقَ .

وكان عامر الشعبي — مع فقهه وعلمه ونبله — كاتبا لعبد الله بن مطيع ، ثم لعبد الله بن يزيد عامل عبد الله بن الزبير على الكوفة ، ثم ولى قضاء الكوفة بعد الكتابة .

وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم . ٥

وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث ، وهو عامل أبي بكر وعمر على مكة .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعى ، أبو طلحة الطلحات ، كاتبا على ديوان البصرة لعمرو بن عثمان ، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة رضى الله عنهما .

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . ١٠

وكان يزيد بن عبد الله بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى كاتباً على ديوان المدينة زمن يزيد بن معاوية ، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى .

أشراف الكتاب ١٥

كُتّاب النبي صلى الله عليه وسلم

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

كتب له عشرة كتّاب : على بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وأبان بن سعيد بن العاص ، ولَدَا سعيد ابن العاص ؛ وعمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ، والعلاء ابن الحضرمى ، ومعاوية بن أبي سفيان ، ولم يزل يكتب له حتى مات عليه الصلاة والسلام . ٢٠

* * *

من أشراف الكتاب

وكان عثمان بن عفان كاتباً لأبى بكر ، ثم صار خليفة .

وكان مروان بن الحكم كاتباً لعثمان بن عفان ، ثم صار خليفة .

وكان عمرو بن سعيد بن العاص كاتبا على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقُتل دونها .

٥ وكان المغيرة بن شعبة كاتبا لأبى موسى الأشعرى .

وكان الحسن بن أبى الحسن البصرى كاتبا للربيع بن زياد الحارثى بخراسان .

وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان فاضلا .

وكان زياد كاتبا للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبى موسى الأشعرى ، ثم لعبد الله بن

١٠ عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن عباس .

وكان عامر الشعبى كاتبا لعبد الله بن مطيع ، وهو والى الكوفة لعبد الله ابن الزبير .

وكان محمد بن سيرين كاتبا لأنس بن مالك بفارس .

وكان قبيصة بن ذؤيب كاتبا لعبد الملك على ديوان الخاتم .

١٥ وكان عبد الرحمن بن أبزى كاتِبَ نافع بن الحارث الخزاعى ، وهو عامل أبى بكر وعمر على مكة .

وكان عبيد الله بن أوس الغسانى سيدُ أهل الشام كاتِب معاوية .

وكان سعيد بن نِمران الهمدانى سيدُ همدان كاتبَ على بن أبى طالب ، ثم ولى بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير .

٢٠ وكان عبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة الطلحات كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة .

وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك .

وكان يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى

على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية ؛ وكان بعد حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا

لبعضهم

سرجون بن منصور الرومى : كتب لمعاوية ، ويزيد ابنه ، ومروان بن الحكم ، وعبد الملك بن مروان : إلى أن أمره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ، ورأى منه عبد الملك بعض التفريط ، فقال لسليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن سرجون يُدلُّ علينا بصناعته ، وأظنّ أنه رأى ضرورتنا إليه فى حسابه ، فما عندك فيه حيلة ؟ فقال : بلى ، لو شئت لحوّلتُ الحساب من الرومية إلى العربية . قال : افعل ، قال : أنظِرْنى أعالى ذلك . قال : لك نظِرةٌ ماشئت . فحوّل الديوان ، فولاه عبد الملك جميع ذلك .

وحسان النَّبطى كاتب الحجاج ، وسالم مولى هشام بن عبد الملك ، وعبد الحميد الأكبر ، وعبد الصمد ، وجبلة بن عبد الرحمن ، وقَحذم ، جدّ الوليد بن هشام القحذمى ؛ وهو الذى قلب الدواوين من الفارسية إلى العربية .

ومنهم الفراء ، كاتب خالد بن عبد الله القسرى .

ومنهم : الربيع ، والفضل بن الربيع ، ويعقوب بن داود ، ويحيى بن خالد ، وجعفر بن يحيى ، وأبو محمد عبد الله بن المقفع ، والفضل بن سهل ، والحسن بن سهل ، وجعفر بن محمد بن الأشعث ، وأحمد بن يوسف ، وأبو عبد السلام الجُنْدَيْسابورى ، وأبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيات ، والحسن بن وهب ، وإبراهيم بن العباس الصولى ، ونجاح بن سلمة ، وأحمد بن محمد بن المدبر ؛ فهؤلاء نَبُلوا بالكتابة واستحقوا اسمها .

من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها

صالح بن شيرزاد ، وجعفر بن سابور كاتب الأفشين ، والفضل بن مروان ،

وداود بن الجراح ، وأبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، وأحمد بن الخصيب ؛ فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتابة وما دانوها .

لبعض الشعراء في ابن شيرزاد

وقال بعض الشعراء فى صالح بن شيرزاد :

حمارٌ فى الكتابةِ يدعيها ٭ كدعْوى آل حرْبٍ فى زيادِ

٥ فدعْ عنك الكتابةَ لستَ منها ٭ ولو غرّقتَ ثوبك فى المِداد

لأبي أيوب في رثاء أم سليمان

ومنهم أبو أيوب بن أخت أبى الوزير . وهو القائل يرثى أمّ سليمان بن وهب الكاتب :

لأمّ سليمانٍ علينا مُصيبةٌ ٭ مُفاَّقةٌ مثْلُ الحسام البَواتِرِ

وكنتِ سراجَ البيت يا أمّ سالِمٍ ٭ فأضحى سراجُ البيت وسْط المقابِرِ

١٠ فقال سليمان بن وهب : ما نزل بأحد من خلق الله ما نزل بى : ماتت أمى فرثيت بمثل هذا الشعر ، ونُقل اسمى من سليمان إلى سالم .

صفة الكتاب

للشيباني

قال إبراهيم بن محمد الشّيبانى : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصِغر الهامة ، وخفّة اللهازم ، وكثافة اللحية ، وصدق الحسّ ، ولطف المذهب ، وحلاوة ١٥ الشمائل ، وحُسن الإشارة ، وملاحة الزّىّ ؛ حتى قال بعض المهالبة لولده : تزيّوا بزىّ الكتّاب ؛ فإنّ فيهم أدب الملوك وتواضع السُّوقة .

وقال إبراهيم بن محمد الكاتب : من كمال آل الكتابة ، أن يكون الكاتب نقىّ الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر المروءة ، عطِر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسَن البيان ، رقيق حواشى اللسان ، حلوَ الإشارة ، مليحَ ٢٠ الاستعارة ، لطيف المسالك ، مستقرّ التركيب ، ولا يكون مع ذلك فَضْفاض الجثّة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أنّ هذه الصورة لا يليق بصاحبها الذكاء والفطنة .

لابن حميد

وأنشد سعيد بن حميد فى إبراهيم بن العباس .

رأيتُ لَهازِمَ الكتّاب خفت ٭ ولِهْزِمَتاك شانَهُما القَدامَهْ
وكتّاب الملوك لهم بيانٌ ٭ كمِثْل الدُّرّ قد رَصفوا نِظامَهْ
وأنت إذا نطقتَ كأنّ عيْراً ٭ يَلوك بما يَفوه به لِجامه

لبعض الشعراء وقال آخر :

٥ عليكَ بكاتبٍ لبقٍ رشيق ٭ زكيٍّ فى شمائله جَدارهْ
تُناجيه بطرْفك من بعيدٍ ٭ فيَفهم رجْع لحظِك بالإشاره

لابن الخصيب ونظر أحمد بن الخَصيب إلى رجل من الكتاب قَدَّمَ المنظر ، مضطرب الخَلق ، طويل العُثنون ؛ فقال : لأن يكون هذا قطاس مركب ، أشبه من أن يكون كاتبا .

١٠ فإذا اجتمعت للكاتب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو الكاتب البليغ ، والأديب النِّحرير ؛ وإن قصرت به آلة من هذه الآلات ، وقعدت به أداة من هذه الأدوات ، فهو منقوص الجمال ، مُنكسف الحس ، منحوس النصيب .

ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه

١٥ للشيبانى قال إبراهيم الشيبانى : أول ذلك حسن الخط ، الذى هو لسان اليد ، وبهجة الضمير ، وسفير العقول ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعرفة ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الأمور .

ولست أجد لحسن الخط حدّا أقف عليه ، أكثر من قول على بن رَبَن النصرانى الكاتب فى الكاتب ، فإنى سألته واستوصفته الخط ، فقال . أعلمك الخط فى كلمة واحدة ؟ فقلت له : تفضل بذلك . فقال : لا تكتب حرفا حتى تستفرغ ٢٠ مجهودك فى كتابة الحرف ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه ثم تنتقل إلى ما بعده .

وإياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمرّ بالحرف المعضل الذى

تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجه ؛ فإنى سمعت سعيد بن حميد بن عبد الحميد الكاتب يقول : لأن يُشكِل الحرف على القارئ أحب إلىّ من أن يعاب الكتاب بالشكل .

وكان المأمون يقول : إياكم والشونيز فى كتبكم . يعنى النقط والإعجام .

٥ ومن ذلك : أن يُصلح الكاتب آلته التى لا بد منها ، وأداته التى لا تتم صناعته إلا بها ، مثل دواته ، فليُنْعِمْ ربّها وإصلاحها ، وليتخيّر من أنابيب القصب أقله عقدا ، وأكثفه لحا ، وأصلبه قشرا ، وأعدله استواء ؛ ويجعل لقرطاسه سكيناً حادًا ؛ لتكون عوناً له على برْي أقلامه ، ويبريها من ناحية نبات القصبة ؛ واعلم أنّ محل القلم من الكاتب كمحل الرمح من الفارس .

للأصمعى

١٠ قال العتابى : سألنى الأصمعى يوما فى دار الرشيد : أى الأنابيب للكتابة أصلح ، وعليها أصبر ؟ فقلت له : مانَشِف بالهجير ماؤه ، وستره عن تلويحه غشاؤه ، من التّبرية القشور ، الدُّرّية الظهور ؛ الفضيّة الكسور . قال : فأىُّ نوع من البرى أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطة ، التى عن يمين سنها قرنة تؤمَن معها الجة عند المدة والمطة ، للهواء فى شقها فتيق ، والريح فى ١٥ جوفها خَريق ، والمداد فى خرطومها رقيق . قال العتابى : فبقى الأصمعى باهتاً إلىّ ضاحكا لا يحير مسألة ولا جوابا .

من صفات الكاتب

ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره .

وأفضل الكتاب ما كان فى أول كتابه دليل على حاجته ، كما أن أفضل الأبيات ما دل أول البيت على قافيته ؛ فلا تُطيلنّ صدر كتابك إطالة تخرجه عن ٢٠ حدّه ، ولا تقصر به دون حدّه ؛ فإنهم قد كرهوا فى الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على سطرين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

الشعبى

وقيل للشعبى : أى شىء تعرف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .

لابن وهب

وقال الحسن بن وهب : الكاتب نفس واحدة ، تجزأت فى أبدان متفرقة .

فأما الكاتب المستحقُّ اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا

حاول صيغة كتاب ، سالت عن قلبه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت معادنها وندرت من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب .

بين العتابى وصديق له

بلغنى أن صديقا لكلثوم العتابى أتاه يوما فقال له : اصنع لى رسالة . فاستمد مَدة ثم علق القلم ؛ فقال له صاحبه : ما أرى بلاغتك إلا شاردة عنك . فقال له العتابى : إنى لما تناولت القلم تداعت علىّ المعانى من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ؛ ثم أجتنى لك أحسنها .

بين يزيد وكاتب له

قال أحمد بن محمد : كنت عند يزيد بن عبد الله أخى ذبيان ، وهو يملى على كاتب له ؛ فأعجل الكاتبَ وداركَ فى الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقييد إملائه ؛ فقال له : اكتب ياحمار ! فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما هطلت شآبيب الكلام ، وتدافعت سيوله على حرف القلم ، كلّ القلم عن إدراك ماوجب عليه تقييده . فكان حضورُ جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد مَط حرفا فى غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طغيان فى القلم .

مايحتاج إليه الكاتب

فإن كان لا بد لك من طلب أدوات الكتابة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ماتستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك ، ويطول به قلمك ؛ وانظر فى كتب المقامات والخطب ، ومجاوبة العرب ، ومعانى العجم ، وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ، ووقائعهم ، ومكايدهم فى حروبهم بعد أن تكون متوسطا علم النحو والغريب ، والوثائق والسور ، وكتب السجلات والأمانات ؛ لتكون ماهرا ، تنتزع آى القرآن فى مواضعها ؛ واختلاف الأمثال فى أماكنها ؛ وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ؛ فإن تضمين المثل السائر ، والبيت الغابر البارع ، مما يزين كتابك ، مالم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر

فإن اجتلاب الشعر فى كتب الخلفاء عيب، إلا أن يكون الكاتب هو القارضَ للشعر والصانع له، فإن ذلك يزيد فى أُبّهته.

خبر حائك الكلام

أبو جعفر البغدادى قال: حدثنا عثمان بن سعيد قال: لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة، قال لعمرو بن مسعدة: مازلتَ تسألنى فى الرُّخجِىّ حتى وليته الأهواز، فقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما، ولم يوجه إلينا بدرهم واحد؛ أخرج إليه من ساعتك. فقلت فى نفسى: أبَعْدَ الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج؟ ولكن لم أجد بدا من طاعة أمير المؤمنين، فقلت: أخرج إليه يا أمير المؤمنين. فقال: آحلف لى أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا. فحلفت له، ثم انحدرت إلى بغداد، فأمرت ففرش لى زورق بالطبرى وغُشّىَ بالسَّلخ، وطرح عليه الكز، ثم خرجت، فلما صرت بين دير هِزْقل ودير العاقول، إذا رجل يصيح: ياملاح، رجل منقطع! فقلت للملاح: قرب إلى الشط. فقال: ياسيدى، هذا شحاذ، فإن قعد معك آذاك. فلم ألتفت إلى قوله، وأمرت الغلمان فأدخلوه، فقعد فى كوثل الزورق، فلما حضر وقت الغداء عزمت أن أدعوه إلى طعامى، فدعوته، فجعل يأكل أكل جائع بنهامة، إلا أنه نظيف الأكل؛ فلما رفع الطعام، أردت أن يستعمل معى مايستعمل العوام مع الخواص: أن يقوم فيغسل يده فى ناحية؛ فلم يفعل، فغمزه الغلمان، فلم يقم فتشاغلت عنه ثم قلت: ياهذا ما صناعتك؟ قال: حائك! فقلت فى نفسى: هذه شر من الأولى. فقال لى: جُعِلْت فداك، قد سألتنى عن صناعتى فأخبرتك، فما صناعتُك أنت؟ قال: فقلت فى نفسى: هذه أعظم من الأولى، وكرهت أن أذكر له الوزارة فقلت: أقتصر له على الكتابة؛ فقلت: كاتبٌ.

قال: جُعِلْت فداك، الكُتّاب على خمسة أصناف: فكاتب رسائل يحتاج إلى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور والتهانى والتعازى والترغيب والترهيب

والمقصور والممدود وجملا من العربية ؛ وكاتب خراج ، يحتاج أن يعرف الزرع والمساحة والأشوال والطُّسوق والتقسيط والحساب ؛ وكاتب جند ، يحتاج أن يعرف مع الحساب الأطماع وشيات الدواب وحُلى الناس ؛ وكاتب قاض ، يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛ وكاتب شرطة ، يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديات ؛ فأيهم أنت أعزك الله ؟ ٥

قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرنى ، إذا كان لك صديق تكتب إليه فى المحبوب والمكروه وجميع الأسباب ، فتزوجت أُمُّه ، فكيف تكتب له : أتهنيه أم تعزيه ؟

قلت : والله ما أقف على ما تقول . ١٠

قال : فلست بكاتب رسائل ، فأيُّهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج .

قال : فما تقول ـ أصلحك الله ـ وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاءك قومٌ يتظلمون من بعض عمالك ؛ فأردت أن تنظر فى أمورهم وتنصفهم ؛ إذ كنت تحب العدل والبر ، وتُؤْثِرُ حسن الأحدوثة وطيب الذكر ، وكان لأحدهم قراح كيف كنت تمسحه ؟ قال : كنت أضرب العطوف فى العمود وأنظر كم مقدار ذلك . ١٥

قال : إذاً تظلِم الرجل . قلت : فأمسح العمود على حدة .

قال : إذاً تظلِم السلطان . قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب جند . قال : فما تقول فى رجلين ، اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف كنت تكتب حليتهما ؟ ٢٠

قال : كنت أكتب : أحمد الأعلم ، وأحمد الأعلم . قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق هذا ألف درهم ، فيقبض هذا على دعوة هذا ،

فتظلّم صاحب الألف . قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكاتب جند ؛ فأيهم أنت ؟

قلت : كاتب قاض . فقال : فما تقول ـ أصلحك الله ـ فى رجل توفى وخلف زوجة وسَرّيّة . وكان للزوجة بنت وللسرية ابن ، فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السّرية فادّعتْه وجعلت ابنتها مكانه ، فتنازعتا فيه ، فقالت هذه : هذا ابنى . وقالت هذه : هذا ابنى . كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضى ؟

قلت : والله لست أدرى ! قال : فلست بكاتب قاض ، فأيهم أنتَ ؟

قلت : كاتب شرطة . قال فما تقول ـ أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة مُوضحة ، فوثب عليه المشجوج فشجّه شجة مأمومة ؟ قلت ما أعلم . ثم قلت : أصلحك الله ، فسّر لى ما ذكرت . قال : أما الذى تزوجت أمه ، فتكتب إليه : أما بعد ، فإن أحكام الله تجرى بغير محابّ المخلوقين ، والله يختار للعباد ، فخار الله لك فى قبضها إليه ، فإن القبر أكرمُ لها ! والسلام .

وأما القَراح ، فتضرب واحدا فى مساحة العطوف ، فمِنْ ثمّ بابه .

وأما أحمد وأحمد ، فتكتب حلية المقطوع الشفة العليا : أحمد الأعلم ؛ والمقطوع الشفة السفلى : أحمد الأشرم .

وأما المرأتان ، فيوزن لبن هذه ولبن هذه ، فأيهما كان [لبنُها] أخفّ فهى صاحبة البنت .

وأما الشجة ، فإن فى الموضحة خمسا من الإبل ، وفى المأمومة ثلاثا وثلاثين وثلثا ، فيرد صاحب المأمومة ثمانية وعشرين وثلثا .

قلت : أصلحك الله ، فما نزع بك إلى هنا ؟ قال : ابن عم لى كان عاملا على ناحية ، فخرجت إليه فألفيته معزولا ، فقُطع بى ، فأنا خارج أضطرب فى المعاش .

قلت : ألست ذكرت أنك حائك ؟ قال : أنا أحوك الكلام ، ولست بحائك الثياب .

قال : فدعوت المزين فأخذ من شعره . وأدخل الحمام فطرحت عليه شيئا من

ثيابى ، فلما صرت إلى الأهواز ، كلمت الرُّخَّجِىَّ ، فأعطاه خمسة آلاف درهم .
ورجع معى ، فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ماكان من خبرك فى طريقك ؟
فأخبرته خبرى ، حتى حدثته حديث الرجل ، فقال لى : هذا لا يُستغنى عنه ، فلأى
شىء يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين
البناء والمرمَّة ؛ فكنت والله ألقاه فى الموكب النبيل ، فينحطّ عن دابته ، فأحلف ٥
عليه فيقول : سبحان الله ! إنما هذه نعمتك وبك أفدْتُها .

فضائل الكتابة

للجاحظ — قال أبو عثمان الجاحظ : مارأيت قوماً أنفذ طريقة فى الأدب من هؤلاء
الكتاب ؛ فإنهم التمسوا من الألفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا .

لبعض المهالبة — وقال بعض المهالبة لبنيه ، تزيَّوْا بزى الكتاب فإنهم جمعوا أدَبَ الملوك ١٠
وتواضُعَ السُّوقة .

المنصور وقوم من الكتاب — وعتب أبو جعفر المنصور على قوم من الكُتاب فأمر بحبسهم ؛ فرفعوا إليه
رقعة ليس فيها إلا هذا البيت :

ونحن الكاتبونَ وقد أسأْنا ✽ فهبْنا للكرام الكاتبِينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم . ١٥

للمؤيد — وقال المؤيد : كتّاب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم
الناطقة ؛ والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهى صناعة جليلة تحتاج
إلى آلات كثيرة .

لسهل بن هارون — وقال سهل بن هارون : الكتابة أول زينة الدنيا ، التى إليها يتناهى الفضل ،
وعندها تقف الرغبة . ٢٠

ما يجوز فى الكتابة ومالا يجوز فيها

للشيبانى — قال إبراهيم بن محمد الشيبانى : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك ، والوزراء ،
والعلماء ، والكتّاب . والخطباء ، والأدباء ، والشعراء ، وأوساط الناس وسُوقتهم ؛

فخاطب كلا على قدر أبّهته وجلالته ، وعلوّه وارتفاعه ، وفطنته ؛ واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام : منها الطبقات العلية أربع ، والطبقات الأُخَر وهى دونها أربع . ولكل طبقة منها درجة ، ولكلٍّ قسمة لا ينبغى للكاتب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها .

٥ فالحد الأول الطبقات العليا ، وغايتها القصوى الخلافة ، التى أجلّ الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا فى التعظيم والتوقير .

والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها ، الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتُقون الفتوق بآرائهم .

الطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقُواد جنودهم ؛ فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم

١٠ على قدره وموضعه وحظه ، وغنائه وجزائه ، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم ، وجلائل أعمالهم .

والرابعة القضاة ؛ فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء .

وأما الطبقات الأربع الأُخر ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمُهم تعظيمَهم فى

١٥ الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها .

والثانية وزراؤهم وكتّابهم وأتباعهم ، الذين تُقرع أبوابهم ، وبعناياتهم تستباح أموالهم .

والثالثة هم العلماء ، الذين يجب توقيرهم فى الكتب بشرف العلم ، وعلوّ درجة أهله .

٢٠ والطبقة الرابعة لأهل القدْر والجلالة ، والحلاوة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك فى مكاتبتهم .

واستغنينا عن الترتيب للسوقة والعوام والتجار ، باستغنائهم بمهناتهم عن هذه

الآلات ، واشتغالهم بمهنتهم عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها فى مراسلتك إياهم فى كتبك ، وتزن كلامك فى مخاطبتهم بميزانه ، وتعطيه قسمته ، وتوفيه نصيبه ؛ فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم غير مسلكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك فى غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك فى غير سلكه ؛ فلا تعتد بالمعنى الجزل مالم تلبسه لفظا لائقا بمن كاتبته ، وملامساً لمن راسلته ، فإن إلباسك المعنى — وإن صح وشرف — لفظا متخلفا عن قدر المكتوب إليه ، لم تجر به عادته ، تهجين للمعنى وإخلال بقدره . وظلم بحق المكتوب إليه ، ونقص مايجب له ؛ كما أن فى اتباع تعارفهم ، وما انتشرت به عاداتهم ، وجرت به سنتهم ، قطعا لعذرهم ، وخروجا من حقوقهم ، وبلوغا إلى غاية مرادهم ، وإسقاطا لحجة أدبهم .

فمن الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها فى كتب السادات والملوك والأمراء ، على اتفاق المعانى ، مثل : أبقاك الله طويلا ، وعمرك مليًّا . وإن كنا نعلم أنه لا فرق بين قولهم : أطال الله بقاك ، وبين قولهم : أبقاك الله طويلا ؛ ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزنا ، وأنبه قدراً فى المخاطبة ؛ كما أنهم جعلوا : أكرمك الله وأبقاك ، أحسن منزلا فى كتب الفضلاء والأدباء ، من : جعلت فداك ، على اشتراك معناه واحتمال أن يكون فداه من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداه من الشر ؛ ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبى وقاص : ارم فداك أبى وأمى ، لكرهنا أن يكتب بها أحد ؛ على أن كتاب العسكر وعوامهم قد ولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها فى جميع محاوراتهم ، وجعلوها هجيراهم فى مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير . ولذلك قال محمود الوراق :

كلُّ مَن حلَّ سُرَّ مَن رَّا مِن النا * س ومَن قد يُداخل الأملاكا

لو رأى الكلبَ ماثلاً بطريق * قال للكلب : يا جُعِلْتُ فداكا !

وكذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل : أبقاك الله ، وأمتع بك ؛ إلا فى الابن

والخادم المنقطع إليك ، وأما فى كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذموم مرغوب عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحُلْتَ عما عهِدْت من أدبِكْ * أم نلت مُلكا فتِهْت فى كتُبِكْ

أم قد تَرى أنَّ فى مُلاطفَة الإخـــوان نقصاً عليك فى أدبكْ

٥ أكان حقًّا كِتاب ذى مِقَةٍ * يكون فى صدرِه : وأمتَعَ بكْ !؟

أتعبْتَ كفَّيْك فى مُكاتبتى * حسبُك ممّا لقيت فى تعَبكْ

فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف أخُون الإخاء يا أمَلى * وكل شىء أنال من سَبَبكْ

أنكرْت شيئاً فلست فاعلهُ * ولن تَراه يُخَطّ فى كتُبكْ

١٠ إنْ يكُ جهلٌ أتاك من قِبَلى * فعُدْ بفضلٍ علىّ من حسَبِكْ

فاعفُ فدَتْك النُّفوسُ عن رجل * يعيش حتى المَمات فى أدبك

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزنٌ ، ينبغى للكاتب أن لا يجاوزه عنه ولا يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب العوام فى قوله :

١٥ وأراك تَفعل ما تقول وبعضهم * مَذِقُ الحديث يقول ما لا يَفعلُ

وهذا معنى صحيح فى المدح ، ولكنهم أجلُّوا قدر الملوك أن يُمدَحوا بما تُمدَح به العوام ؛ لأنّ صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح ، فهو واجبٌ على العامة ، والملوك لا يُمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحُهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تَزْنى بحليلة جارك ، وإنك لا تخون ٢٠ ما استودعت ، وإنك لتصدُق فى وعدك وتفى بعهدك ؛ فكأنه قد أثنى بما يجب ؛ ولو قصد بثنائه إلى مقصده كان أشبه فى الملوك .

ونحن نعلم أن كل أمير يتولى من أمير المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ؛ غير أنهم لم يطلقوا هذه اللفظة إلا فى الخلفاء خاصة .

ونحن نعلم أن الكَيْس هو العقل، ولكن لو وصفت رجلا فقلت: إنه لعاقل كنتَ مدحتَه عند الناس، وإن قلت: إنه لكيّس كنت قد قصّرت به عن وصفه، وصغَّرتَ من قدره، إلا عند أهل العلم باللغة؛ لأن العامة لاتلتفت إلى معنى الكلمة. ولكن إلى ماجرت به العادة من استعمالها فى الظاهر؛ إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الحداثة والغرة وخساسة القدر وصِغَرِ السن. ٥

وقد روينا عن على كرم الله وجهه أنه تسمى بالكيّس حين بنى سجن الكوفة، فقال فى ذلك:

أَمَا تَرانِى كَيِّسًا مُكَيَّسَا * بَنَيْتُ بعدَ نافعٍ مُخَيَّسَا

حِصْنًا حصِينًا وأميرًا كَيِّسَا

وقال الشاعر: ١٠

* ما يَصنَعُ الأحمقُ المرْزُوقُ بالكَيْسِ *

وكذلك تعلم أن الصلاة رحمة، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء.

كذلك روينا عن ابن عباس.

وسمع سعدُ بن أبى وقاص ابن أخ له يُلَبِّى ويقول فى تلبيته: لبَّيك ياذا المعارج. فقال: نحن نعلم أنه ذو المعارج، ولكن ليس كذا كنا نلبى على عهد ١٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما كنا نقول: لبَّيك اللهم لبيك.

وكان أبو إبراهيم المُزَنى يقول فى بعض ماخطب به داود بن خلف الأصبهانى: «فإن قال كذا فقد خرج عن الملة والحمد لله» فنقض ذلك عليه داود، وقال فيما ردّ عليه: نحمَدُ الله على أن نُخرِجَ آمْرَأً مُسْلِمًا من الإسلام؟ وهذا موضع استرجاع، وللحمد مكانٌ يليق به، وإنما يقال فى المصيبة: ﴿ إنَّا لله وإنَّا إليهِ ٢٠ راجِعون ﴾.

فامتثل هذه المذاهب، وآجرِ على هذه القواعد، وتحفَّظْ فى صدور كتبك وفصولها [وافتتاحها] وخواتمها وضَعْ كلَّ معنى فى موضع يليق به، وتخَيَّر لكل لفظة معنًى يشاكلها، وليكن ماتختم به فصولَك فى موضع ذكر البلوى بمثل:

نسأل الله دفع المحذور ، وصَرْف المكروه ؛ وأشباهِ هذا ؛ وفى موضع ذكر المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون وفى موضع ذكر النعمة : الحمدُ لله خالصاً ، والشكرُ لله واجبا ، [وما يُشاكل ذلك] ؛ فإن هذه المواضع يجب على الكاتب أن يتفقدها ويتحفَّظ فيها ؛ فإنّ الكاتب إنما يصير كاتبا بأن يضع كل معنى فى موضعه ، ويعلِّق كل لفظة على طبقتها من المعنى .

واعلم أنه لايجوز فى الرسائل استعمال ماأتت به آى القرآن من الاختصار والحذف ، ومخاطبةِ الخاص بالعام والعام بالخاص ؛ لأن الله جل ثناؤه [إنما] خاطب بالقرآن قوما فصحاء فهموا عنه ــ جل ثناؤه ــ أمرَه ونهيَه ومرادَه ؛ والرسائلُ إنما يخاطَب بها أقوامٌ دخلاء على اللغة ، لا علم لهم بلسان العرب .

وكذلك ينبغى للكاتب أن يجتنب اللفظ المشترك ، والمعنى الملتبس ؛ فإنه إن ذهب يكاتب على مثل معنى قول الله تعالى : ﴿ وآسألِ القَرْيَةَ التى كُنّا فيها والعِيرَ التى أقْبلنا فيها ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ بل مكْرُ اللَّيلِ والنهارِ ﴾ ، احتاج الكاتب أن يبيّن معناه : اسألْ أهل القرية وأهل العير ، وبل مكركم بالليل والنهار ، ومثل هذا كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لايجوز أيضا فى الرسائل والبلاغات المنثورة مايجوز فى الأشعار الموزونة ؛ لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور مقيَّد بالوزن والقوافى ؛ فلذلك أجازوا لهم صرْفَ ما لاينصرف من الأسماء ، وحذْفَ ما لايحذف منها ؛ واغتفروا فيه سوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار فى موضع الإظهار : وذلك كله غير سائغ فى الرسائل ، ولا جائز فى البلاغات ، فمّا أُجِيزَ فى الشعر من الحذف مثل قولُ الشاعر :

* قواطِنا مكَّةَ مِنَ ورْقِ الحَمـا *

يعنى الحمام ؛ وقول الآخر :

* صِفْر الوِشاحَيْنِ صَمُوت الخَلْخَلِ *

يريد الخلخال؛ وكقول الآخر :

* دارٌ لِسَلْمَى إذهِ مِنْ هواكا *

يريد إذهى ؛ وكقول الحطيئة :

فيها الرِّماحُ وفيها كلُّ سابغَةٍ * جَدلاء مسرُودةٍ من نَسْجِ سلَّام

يريد سليمان ؛ وقول الآخر : ٥

مِنْ نَسْجِ داوُدَ أبى سلَّامِ * والشَّيْخ عُثمانَ أبى عفانِ

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وسائلةٍ بثعلبَةَ بنِ سيْرٍ * وقد عَلِقَتْ بثعلبَةَ العَلُوقُ

وأراد ثعلبة بن سَيَّار ؛ وكما قال الآخر :

ولستُ بآتيهِ ولا أستطيعُهُ * ولاكِ آسْقِنِي إن كانَ ماؤكَ ذا فضلِ ١٠

أراد ولكن .

وكذلك لاينبغى فى الرسائل أن يُصَغر الاسمُ فى موضع التعظيم ، وإن كان ذلك جائزاً ، مثل قولهم : « دويهية » تصغير داهية ، « وجُذيل » تصغير جِذل ، « وعذيق » تصغير عَذق . وقال الشاعر ، وهو لبيد :

وكلُّ أُناسٍ سَوْفَ تدْخُلُ بينهُمْ * دُوَيْهِيَة تَصْفَرُّ منها الأناملُ ١٥

وقال الُحباب بن المنذر يوم سقيفة بنى ساعدة : أنا عُذَيْقُها المُرَجَّبُ، وجُذَيْلُها المُحَكَّكُ ، وقد شرحه أبو عبيد .

ومما لايجوز فى الرسائل وكرهوه فى الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كلمت إياك ، وأعنى إياك ، وهو جائز فى الشعر :

وأحسِنْ وأَجْمِل فى أسيرِكَ إنَّهُ * ضعيفٌ ولم يأسِرْ كإيَّاكَ آسِرُ ٢٠

وقال الراجز : * إيَّاكَ حتى بلَغتْ إيَّاك *

فتخيَّرْ من الألفاظ أرجحَها لفظا وأجزلها مَعنى ، وأشرفها جوهراً وأكرمَها حسبا ، وأليَقها فى مكانها ، وأشكَلها فى موضعها ؛ فإن حاولت صنعة رسالة

فزن اللفظة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرَضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنَحَت؛ فإنه ربما مر بك موضعٌ يكون مخرج الكلام إذا كتبتَ: أنا فاعل، أحسن من أن تكتب: أنا أفعل، وموضع آخر، يكون فيه: استفعلت، أحلى من: فعلت؛ فأدِرِ الكلام على أماكِنِه، وقلّبه على جميع وجوهه؛ فأىّ لفظة رأيتَها أخفَّ فى المكان الذى ندبتها إليه، وأنزعَ إلى الموضع الذى راودتَها ٥
عليه فأوقعها فيه؛ ولا تجعل اللفظة قَلِقَةً فى موضعها، نافرة عن مكانها؛ فإنك متى فعلت [ذلك] هجّنت الموضع الذى حاولت تحسينه، وأفسدت المكان الذى أردت إصلاحه؛ فإن وضع الألفاظ فى غير أماكنها، وقصْدَك بها إلى غير مُصابها، إنما هو كترقيع الثوب الذى لم تتشابهْ رقاعه، ولم تتقارب أجزاؤه،
١٠ خرج عن حد الجدّة وتغيّر حسنه، كما قال الشاعر:

إنّ الجديدَ إذا مازيدَ فى خَلَقٍ ٭ تبيَّن الناسُ أنّ الثّوْبَ مَرْقُوعُ

كذلك كلما احلولى الكلام وعذُب وراق وسهلت مخارجه، كان أسهلَ وُلوجاً فى الأسماع، وأشدّ اتصالا بالقلوب، وأخفَّ على الأفواه؛ لاسيما إن كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مُونق شريف ومُعاراً بكلام عذب لم يَسِمْه التكلف بمِيسَمِه
١٥ ولم يفسده التعقيد باستغلاقه.

ابن لهيعة وأخوه

وكتب عيسى بن لهيعة إلى أخيه أبى الحسن، وزوّر كلامه وجاوز المقدار فى التنطع؛ فوقّع فى أسفل كتابه:

أنّى يكون بليغا ٭ مَنِ اسمُه كان عِيّا
وثالث الحرف منه ٭ أذّ كُفِيتَ مُسِيّا

٢٠ قال: وبلغنى أن بعض الكتاب عاد بعض الملوك فوجده يئن من علة، فخرج عنه ومر بباب الطاق، فإذا بطير يدعى الشّفانين، فاشتراه وبعث به إليه، وكتب كتابا يتنطع فى بلاغته، وذكر: إنه يقال له شفانين، أرجو أن يكون شفاء من أنين! فوقّع فى أسفل الكتاب: والله لو عطستَ ضبًّا ما كنتَ عندنا إلا نبطيا، فأقصر عن تنطّعك وسهّل كلامك.

قوله : لو عطست ضبّا ، يريد : أن الضِّباب من طعام الأعراب وفى بلدهم يقال : لو عطست فنثرت ضبًّا من عُطاسك ، لم تُلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا .. وقد جاء فى بعض الحديث : أن القط من نَثْرة عَطْسَة الأسد ، وأن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ؛ فقال هذا : لو أن الضب من نثرتك لم تكن إلا نبطيا . ٥

لخالد يهجو حبيبا — وفى هذا المعنى قال مخلد الموصلى يهجو حبيبا :

أنت عنــــدى عربّى ه ليس فى ذاك كلامْ
شـــعرُ ساقيْكَ وفخْـ ه ـذيْك خُزامَى وثُمـام
وقَذَى عينيـك صَمغٌ ه ونَواصــيك ثغـام
وضلوعُ الصَّدر من شِيْـ ه ـحِك نبْع وبَشــام ١٠
لو تَحرّكتَ كذا لانْ ه جَفَلتْ منـك نَعام
وظِبــاءٌ راتِعـات ه ويَرابيــعٌ عِظــام
وحَمــام يتغــنَّى ه حبّـذا ذاك الحمام
أنا ما ذنْبِى لأنْ ه كذَبنِى فيك الأنام ؟
وفتًى يَحلف ما إنْ ه عرّقتْ فيه الكرام ١٥
ثم قالوا جاســمى ه من بنِى الأنباط حام
كذَبوا ما أنت إلا ه عربىٌّ والسّــلام !

وقد رأيتهم شبّهوا المعنى الخفىّ بالروح الخفى ، واللفظَ الظاهر بالجثمان الظاهر ؛ وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف الجزل لفظ شريف جزل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام متسقا ، وتضاءل المعنى الحسن تحت المعنى القبيح ، كتضاؤل الحسناء فى الأطمار الرثة . ٢٠

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعقد ، وخط ؛ وقد ذكر له أرسطاطاليس صنفاً خامساً فى كتاب المنطق ، وهو الذى يسمى

النِّصبة ، والنِّصبة الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهى الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة إليك بغير يد ؛ وذلك ظاهر فى خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعانى وسافرة عن وجوهها .

٥ وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف صنفان : هما القلم واللسان ، وكلاهما للقلب تَرْجُمان ؛ فأمّا اللسان فهو الآلة التى يخرج الإنسان بها عن حدّ الاستبهام ، إلى حدّ الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حدّ الإنسان ، الحىُّ الناطق .

لهشام — وقال هشام بن عبد الملك : إنّ الله رفع درجةَ اللسان فأنطقه بين الجوارح .

١٠ وقال على بن عبيدة : إنما يبين عن الإنسان ، اللسان وعن المودّة العينان .

لبعضهم — وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه .

وقالوا : المرء بأصغريه : قلبه ولسانه .

لبعض الشعراء — وقال الشاعر :

وما المرءُ إلا الأصغَران : لسانُه ٭ ومعقولُه ، والجسمُ خَلق مصوَّرُ

١٥ فإنْ طُرَّةٌ راقتْكَ يوما فربّما ٭ يَمرّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضر

وللخط صورة معروفة ، وحلية موصوفة ، وفضيلة بارعة . ليست لهذه الأصناف ؛ لأنه يقوم مقامه فى الإيضاح عند المشهد ويفضُله عند المغيب ؛ لأنّ الكتب تقرأ فى الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتدرس فى كل عصر وزمان ، وبكلِّ لسان ؛ واللسان وإن كان ذلقاً فصيحاً لا يعْدو سامعَه

٢٠ ولا يُجاوزه إلى غيره .

البلاغة

لسهل بن هارون — قال سهل بن هارون : سياسة البلاغة أشدُّ من البلاغة .

لجعفر — وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير .

لابن المقفع — وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلة الحَصَر ، والجراءة على البشر . قيل له : فما العِىّ ؟ قال : الإطراق من غير فكرة ، والتنحنح من غير علة .

لبعضهم — وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تطويل القصير ، وتقصير الطويل . ٥

لأعرابى — وقيل لأعرابى : ما البلاغة ؟ فقال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد .

لأرسطاطاليس — وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاستعارة .

لجالينوس — وقيل لجالينوس : ما البلاغة ؟ فقال : إيضاح المعضل ، وفك المشكل .

للخليل — وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة ؟ فقال : ما قَرُب طرفاه ، وبعُد منتهاه

لابن صفوان — وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد للحجة . ١٠

وقيل لآخر : ما البلاغة ؟ قال : تصوير الحق فى صورة الباطل ، وتصوير الباطل فى صورة الحق .

لإبراهيم — وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار فى الكتب

وأمّا تضمين الأسرار فى الكتب حتى لا يقرؤها غير المكتوب إليه ، ففيه أدب يجب معرفته ، وقد تعلقت العامة بكتاب القُمّىّ والأصبهانىّ . ١٥

الأصبهانى : وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لى منه أشياء جليلة من تبديل الحروف ، وذلك ممكن لكل إنسان ، غير أنّ اللطيف من ذلك أن تأخذ لبناً حليباً فتكتب به فى القِرْطاس ، فيذرّ المكتوب له عليه رماداً سخناً من رماد القراطيس ، فيظهر ما كتبت به إن شاء الله ؛ وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض ، فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمَرَّ عليه شيئاً من غبار الزاج . وإن أحببت أن لا يُقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل ، فاكتبه بمرارة السُّلحفاة . ٢٠

قولهم فى الأقلام

لبعضهم

قالوا : القلم أحدُ اللسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة ، من معان معقودة بحروف معلومة مؤلّفة ، متباينات الصور ، مختلفات الجهات ، لقاحها التفكر ، ونتاجها التدبر ، تَخْرَس منفردات ، وتَنطق مزدوجات ، بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسُنٍ محدودة ، ولا حركات ظاهرة ، خلا قلم حرّف باريه قَطَّتَه ليتعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليردّ ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه ليحتبس المدادُ عليه ، فهنالك استمدّ القلم بشقه ، ونثر فى القرطاس بخطه حروفا أحكمها التفكر ، وجرى على أسَلَتِه الكلام الذى سَدّاه العقل ، وألحمه اللسان ، ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء .

لأبى الحسن الهاشمى

وقال الشاعر وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى :

وأسْمَرَ طاوِى الكَشْحِ أخْرس ناطقٍ * له ذَمَلانٌ فى بطون المَهارقِ
إذا آستعجلتْه الكفُّ أمْطَر وبْله * بلا صوْت إرعادٍ ولا ضوء بارق
إذا ما حَدا غُرَّ القوافى رأيتَها * مُجَلِّلة تَمضى أمام السَّوابق
كأنّ عليه من دُجَى الليل حُلَّة * إذا ما استهلّت مُزْنُه بالصَّواعق
كأن اللآلى والزبَرْجد نُطقَه * ونَوم الُخزامى فى عيون الحدائق

للعلوى

وقال العلوى فى صفة القلم :

وعُريانَ من خِلْعَةٍ مُكْتَسٍ * يَميس من الوشْيِ فى يَلْمَقِ
تَحدَّرُ من رأسه رِيقة * تَسيل على ذِرْوة المَفرق
فكم من أسيرٍ له مُطْلَقٍ * وكم من طَليق له مُوثَق
يُقيمُ ويُوطِن غرْبَ البلادِ * ويَنهى ويأمر بالمَشرق
قليل كثير ضروبِ الخطو * ط وأخرس مُستَمَعُ المنْطق

يسير بركْبٍ تلالٍ عجــال * إذا ما حدا الفكر فى مهرقِ

بعضهم فى القلم

وقال آخر فى القلم :

لك القلمُ المطيعُكَ غير أنّا * وجدنا وسمهُ غــير المطاع

له ذَوقان منْ أرْيٍ هنِيٍّ * ومن شرْى وبىٍّ ذى آمتناع

أحدُّ اللفظِ ينطق عن سِواه * فيسمع وهْو ليس بذى استماع ٥

إذا آستسقى بلاغتَكَ آستهلَّت * عليه سمــاءُ فكرِكَ باندفاع

وقال :

وبيتٍ بعليـــاء الفلاةِ بنيتُه * بأسمر مشقوقِ الخياشيم يُرْعف

كأنّ عليه مُلْبساً جِــلْدَ حيةٍ * مقيم فمــا يَمضى ولا يتخلَّفُ

جليلِ شُئونِ الخطْبِ، ماكان راكباً * يسير ، وإن أرْجلْتهُ فضعّف ١٠

لحبيب

وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لكَ القلمُ الأعلى الذى بِشباتِه * يُصابُ من الأمرِ الكلى والمفاصِلُ

لعابُ الأفاعى القاتلاتِ لعابَه * وأرْىُ الجنى آشتارته أيدٍ عواسِل

له ريقةٌ طلٌ ولكنّ وقْعها * بآثارهِ فى الشرق والغربِ وابل

فصيحٌ إذا اسْتَنطَقْتَه وهو راكبٌ * وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجل ١٥

إذا ما آمتطى الخمس اللِّطافَ وأفرغت * عليه شعابُ الفكر وهْى حوافل

أطاعتْه أطرافُ القَنا وتقوضت * لِنجواه تقْويضَ الخيامِ الجحافِل

إذا آستغزَر الذّهْنَ الجلىَّ وأقبلت * أعاليه فى القِرطاس وهْى أسافل

وقد رفدَته الخنصرانِ وسدّدت * ثلاثَ نواحيهِ الثلاث الأنامل

رأيت جليلا شأنُه وهو مرهَفٌ * ضَنًى ، وسميناً خطبه وهو ناحل ٢٠

ولمـا قال حبيب هذا الشعر حسده الخثعمى ، فقال لابن الزيات :

ما خُطبَةُ القلم التى أُنبيتُها * وردت عليك لشاعر مجدود

البحترى فى قلم

وأنشد البحترى لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :

وإذا تألق فى النَّدِىِّ كلامه الـ ... مصقول خِلْت لسانَه من عضْبِهِ
وإذا دجت أقلامُه ثم آنتحت ... برقت مصابيحُ الدُّجى فى كتبه
باللفظِ يقرُبُ فهمه فى بُعْدِه ... منَّا ، ويبعُدُ نيـــله فى قربه
٥ حِكم فسائحها خـــلالَ بنانِه ... متدفِّقٌ وقليبُهــا فى قلبـــه
وكأنهــا والسمْع معقودٌ بها ... شخصُ الحبيبِ بدا لعيْنِ مُحِبِّـــه

لأبن أبى طاهر

وأنشد أحمد بن أبى طاهر فى بعض الكُتَّاب ويصف القلم :

قلمُ الكتابةِ فى يمينِكَ آمنٌ ... ممَّا يعود عليه فيما يكتُبُ
قَــلم به ظُفْر العدو مقلَّمٌ ... وهو الأمانُ لما يُخاف ويُرهَب
١٠ يُبدى السرائرَ وهو عنها محجبٌ ... ولسانُ حُجَّتِه بصمتٍ يعرِب

لابن عبد ربه

ومن قولنا فى القلم :

بكفِّه ساحر البيان إذا ... أداره فى صحيفةٍ سحـــرا
ينطِقُ فى عجمةٍ بلفظته ... نصَمُّ عنه ويُسمِع البصرا
نوادر تُقرع القلوب بهـا ... إن تستبِنْها وجدتها صورا
١٥ نظـــام دُرِّ الكلام ضمَّنه ... سِلكا لخطِّ الكتاب مُستطرا
إذا امتطى الخِنْصران أذكرمن ... سحبانَ فيما أطال واختصرا
يخاطِبُ الغائبَ البعيدَ بمـا ... يخاطب الشاهدَ الذى حضرا
ترى المقاديرَ تستدفُّ له ... وتنفِذُ الحـادثاتُ ما أمرا
شخبٌ ضئيلٌ لفعلِه خطرٌ ... أعظِم به فى مُلِمَّةٍ خطرا
٢٠ تمجُّ فكاهُ ريقةً صغرت ... وخطبها فى القلوبِ قد كبرا
يواقع النفسَ منه ماحذرتْ ... وربمـا جنَّبت به الحذرا
مهفهفٌ تزدهى به صُحفٌ ... كأنمـا حُلِّيت به دُرَرا

كأنها تُرفع العيونُ بها * خلالَ روْضٍ مكلِّلٍ زهرا
إن قُرِبت مزِّطت طوابعها * ما فُضَّ طينٌ لها ولا كسِرا
يكاد عنوانُهـــا لروعته * ينبيكَ عن سرِّها الذى آستترا

لذى الرمة — ومن أحسن ما شبهت به الأقلام وشبه بها، قول ذى الرُّمّة:

كأنّ أنوفَ الطير فى عرَصاتِها * خراطيمُ أقلامٍ تخط وتعجم ٥

لابن الرقاع — ومثله قول عدى بن الرقاع:

يخرُجن من فُرُجاتِ النقع دامية * كأنّ آذانهـــا أطرافُ أقلام

ومن قوله فى ولد البقرة:

تزجى أغَنّ كأنّ إبرة روقه * قلمٌ أصاب من الدواةِ مِدادها

للمأمون — ومنه قول المأمون: ١٠

كأنمـا قابل القِرطاس إذ مشقت * منها ثلاثةُ أقلامٍ على قـــلم

لابن عبد ربه — ومثله قولنا فيه:

إذا أدارت بنانُه قلماً * لم تدر للشّبه أيُّها القلمُ

ومن قولنا فى الأقلام:

ومعشرٍ تنطق أقلامُهم * بحكمةٍ تلقنها الأعيُنُ ١٥
تلفظها فى الصكِّ أقلامُهم * كأنمـا أقلامهم ألسُن

ومن قولنا فى الأقلام:

ياكاتباً نقشَت أنامل كفّه * سحرَ البيان بلا لسانٍ ينطقُ
إلا صقيل المتنِ ملموم القوى * حُزّت لهازمه وشق المفْرق
فإذا تكلم رغبةً أو رهبةً * فى مغربٍ أصغى إليه المشرق ٢٠
يدلِى بِريقةِ أريِه أو شريِه * يبكى ويضحكُ من نَداه المهرق

ولعبد الله بن المعتز كلام يصف القلم. القلمُ يخدُم الإرادة؛ ولا يمل

الاستزادة ؛ يسكت واقفاً ، وينطق ساكنا ؛ على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء .

لابن وهب
وقال سليمان بن وهب وزير المهدى : كل قلم تطيل جِلفته ؛ فإن الخط يخرج به أوقص .

٥ وكتب جعفر بن يحيى إلى محمد بن الليث يستوصفه الخط ، فكتب إليه :

أما بعد ، فليكن قلمك بحريا لا سمينا ولا رقيقا ، ما بين الرقة والغلظ ، ضيق النقب ، فأبره بريا مستويا كمنقار الحمامة : أعطف قطته ، ورقق شَفرته ؛ وليكن مدادك صافيا خفيفا ، إذا استمددت منه ليلة ثم صفه فى الدواة ؛ وليكن قرطاسُك رقيقا مستوىَ النسج ، تخرج السحاة مستوية من أحد الطرفين إلى آخره ؛ فليست ١٠ تستقيم السطور إلا فيما كان كذلك ، وليكن أكثر تمطيطك فى طرف القرطاس الذى فى يسارك ، وأقله فى الوسط ولا تمطّ فى الطرف الآخر ، ولا تمط كلمة ثلاثة أحرف ولا أربعة . ولا تترك الأخرى بغير مط ، فإنك إذا فرقت القليل كان قبيحا ، وإذا جمعت الكثير كان سمجا ؛ ثم ابتدئ الألف برأس القلم كله ، واخططه بعرضه ، واختمه بأسفله ؛ واكتب الباء والتاء والسين والشين ، والمطة ١٥ العليا من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، ورأس كل مرسل برأس القلم ؛ واكتب الجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء ، والمطة السفلى من الصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والعين والغين ، بالسن السفلى من القلم وامطط بعرض القلم ، والمط نصف الخط ، ولا يقوى عليه إلا العاقل ، ولا أحسب العاقل يقوى عليه أيضا إلا بالنظر إلى اليد فى استعمالها الحركة . والسلام .

لابن طاهر
٢٠ وقال ابن طاهر لكاتبه : ألق دواتك ، وأطِل سنّ قلمك ، وفرّج بين السطور ، وقرمط بين الحروف .

لابن جبلة
وقال إبراهيم بن جبلة : مر بى عبد الحميد وأنا أخط خطًّا رديئا ، فقال لى : أ [لا] تحب أن يجود خطُّك ؟ قلت : بلى . قال : أطلْ جلفة القلم وأسمنها ؛ وحرّف قطّتك وأيمنها . ففعلت فجاد خطى .

العتابى — وقال العتابى : ببكاء القلم تبتسم الكتب .

لبعض الحكماء — وقال بعض الحكماء : أمر الدين والدنيا تحت سنان السيف والقلم .

لحبيب — وقال حبيب الطائى :

لولا مُناشـــدةُ القُربى لغادرَكم * حصائدَ المُرهَفَيْنَ : السيفِ والقلمِ

لأرسطاطاليس — وقال أرسطاطاليس : عقول الرجال تحت سِنّ أقلامهم . ٥

لأبى حكيمة — وقال أبو حكيمة : كنت أكتب المصاحف ، فمر بى علىُّ بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فقال : أجلِلْ قلمك . فقصمت من قلبى قصمة ، فقال : هكذا نوره كما نوره الله .

لابن سيرين — وكان ابن سيرين يكره أن يُكتب القرآن مشقا ، وقال : أجود الخط أبيَنُه .

لابن وهب — وقال سليمان بن وهب : زيِّنوا خطوطكم بإسبال ذوائبها . ١٠

لابن مسعدة — وقال عمرو بن مسعدة : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، وربما ضاق عن العيون ، وقد ملأ أقطار الظنون .

لابن عبيدة — وذكر على بن عُبيدة القلم فقال : أصمُّ يسمع النَّجوى ؛ أعْيا من باقل ، وأبلغ من سحبان وائل ؛ يجهل الشاهد ، ويخبر الغائب ؛ ويجعل الكتب بين الإخوان ألسُناً ناطقة ، وأعينا لاحِظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسن ١٥ عند المشاهدة .

لابن يوسف — وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغوانى فى خدودهن بأحسن من عبرات الأقلام فى خدود الكتب .

العتابى — وقال العتابى : الأقلام مطايا الفِطَن .

لغلامين — وتخاير غلامان فى بعض الدواوين ، فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه ٢٠ خطوطهما ، فكره أن يفضّل أحدهما على الآخر ؛ فقال لأحدهما : أما خطُّك أنت فوَشْىٌ مُحوك . وقال للآخر : وأما خطك أنت فذهبٌ مسْبوك ؛ تكافأتما فى غاية ، وتوافيتما فى نهاية .

لبعضهم

وقال آخر : دخلت الديوان ، فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عِقيان ، وعليه مكتوب :

وا بأبى ! وا بأبى * مِن كفّ من يكتب بى

لأبى هفان

وقال أبو هِفان يصف القلم :

٥ وإذا أمَرّ على المهارِق كفّه * بأناملٍ يحمِلن شختاً مُرْهَفا
ومُقصِّراً ومُطوّلا ومُقطِّعاً * ومُوَصِّلا ومُشتِّتاً ومُؤلِّفا
كالحية الرَّقشاء إلا أنه * يَستنزِلُ الأروى إليه تلطُّفا
يهفو به قلم يَمُجّ لُعابَه * فيعود سيفاً صارماً ومثقَّفا

لبعض الشعراء

وقال آخر فى وصف الدواة :

١٠ ومُسْوَدّة الأرجاء قد خُضتُ جالها * ورويت مِن قعرٍ لها غير مُنْبَط
خَمِيصَ الحشا يَرْوَى على كلّ مَشْرب * أمينا على سِرّ الأمين المسلَّط

لبعض الكتّاب

وقال بعض الكتّاب :

وما روْضُ الربيع وقد زهاهُ * ندى الأسحارِ يَأْرَجُ بالغَداةِ
بأضْوعَ أو بأسطَعَ من نسيمٍ * تُوَدّيه الألاقةُ مِن دَواة

١٥ وقال آخر فى وصف محبرة :

ولُجّة بحرٍ أجمّ العُبـــا * بِ بادٍ وأمواجُهُ تَزخرُ
إذا غاص فيه أخو غَوْصةٍ * سريعُ السّباحةِ ما يَفتُرُ
فأنفِسْ بذلك مِن غائصٍ * بديع الكلام له جوْهرُ
وأكرِمْ ببحرٍ له لُجّةٌ * جواهرُها حِـــكَمُ

لابن أشرس

٢٠ وقال ثمامة بن أشرس : ما أثرته الأقلام ، لم تطمع فى درسِهِ الأيام .
ونظر المأمون إلى جارية من جواريه تخُطّ خطًّا حسنا ، فقال فيها :

وزادت لدينا حُظوةً حين أطرقت * وفى إصبعَيْها أسمرُ اللون أهْيَف
أصمُّ سميع ، ساكنٌ مُتحرِّكٌ * ينال جَسيماتِ المنى وهو أعجف

لبعض الكتاب وقال بعض الكتاب :

إذا ما التقَيْنا وانتضَيْنا صوارماً * يكاد يُصِم السامعين صريرُها

تساقَط فى القِرْطاس منها بدائعٌ * كمثْلِ اللآلى نظمُها ونثيرُها

لابن المعتمر قال بشر بن المعتمر : القلب معدِن ، والحلم جوهر ، واللسان مستنبط ، والقلم صائغ ، والخط صيغة . ٥

لابن هارون وقال سهل بن هارون : القلم لسان الضمير ، إذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره .

وقالوا : حُسْن الخط يناضل عن صاحبه ، ويوضح الحجة ، ويمكّن له درْك البغية .

لبعضهم وقال آخر : الخط الردىء زمانة الأديب .

لابن وهب وقال الحسن بن وهب : يحتاج الكاتب إلى خلال : منها جُودة بَرْيِ القلم ، وإطالة جِلْفَتِه ، وتحريف قَطِّه ، وحُسْن التأنى لامتطاء الانامل ، وإرسال المدّة بقدر اتساع الحروف ، والتحرز عند فراغها من الكسوف ، وترك الشكل على الخطأ والإعجام على التصحيف ، واستواء الرسوم ، وحلاوة المقاطع . ١٠

لابن حميد وقال سعيد بن حميد : من أدب الكاتب أن يأخذ قلمه فى أحسن أجزائه ، وأبعد ما يتمكن المداد فيه ، ويعطيه من القرطاس حقه .

لابن عباس وقال عبد الله بن عباس : كلُّ كتاب غير مختوم فهو غُفل . ١٥

وفى تفسير قول الله تعالى : ﴿ إنى أُلقِىَ إلىَّ كتابٌ كريمٌ ﴾ قال : مختوم .

لابن طاهر ورفع إلى عبد الله بن طاهر قصة قد أكثر صاحبها إعجامها ، فقال : ما أحسن ما كتبت إلا أنك أكثرت شُونيزَها .

لأبى عبيدة وقال أبو عبيدة : لا يقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهى زجاجة ، ولا مائدة إلا إذا كان عليها طعام ، وإلا فهى خِوَان ؛ ولا قلم إلا إذا بُرى ، وإلا فهى قصبة . ٢٠

لبعضهم وقال آخر : جلوس الأدباء عند الوراقين ، وجلوس المخمّنين عند النخاسين ، وجلوس الطفيليين عند الطباخين .

وكتب على بن الأزهر إلى صديق له يسأله أقلاماً يبعث بها إليه : — لابن الأزهر

أما بعد ، فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التى غلبت على الاسم ، ولزمت لزوم الوسم ؛ فحلت محل الأنساب ، وجرت مجرى الألقاب ، وجدنا الأقلام الصُّخرِيَّة أسرع فى الكواغد ، وأمَرّ فى الجلود ، كما أن البحرية منها أسلَس فى القراطيس ، وألين فى المعاطف ، وأشدُّ لتصريف الخط فيها ؛ ونحن فى بلد قليل القصب رديئه ، وقد أحببت أن تتقدم فى اختيار أقلام بَحْرية ، وتتأنق فى انتقائها قِبَلك ، وتطلبها فى مظانّها ومنابتها ، من شطوط الأنهار ، وأرجاء الكروم ، وأن تتيمم فى اختيارك منها الشديد المُحص ، الصلبة المقصّ ، النقية الجلود ، القليلة الشحوم ، المكتنزة اللحوم ، الضيقة الأجواف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الحفاء ، وأن تقصد بانتقائك الرِّقاق القُضْبان ، المقومات المُتون ، المُلْس المعاقد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، الكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكمة يبسا وهى قائمة على أصولها ، لم تُعجل عن إبّان ينعها ، ولم يؤخَّرْ إلى الأوقات المخوفة عليها من خصَر الشتاء ؛ وعفن الأنداء ؛ فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا ، قطعا رقيقا ؛ ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها مع من يؤدى الأمانة فى حراستها وحفظها وإيصالها ، وكتبت معه رقعة بعدّتها وأصنافها بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم فى الحبر

قال بعض الكُتّاب : عَطِّرُوا دفاتر آدابكم بجيِّد الحبر ، فإن الأَدب غوانى والحبر غوالى . — لبعض الكتاب

ونظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره ، فقال له : — لجعفر بن محمد

لا تجزعَنّ منَ المداد فإنه ... عِطْرُ الرجال وحِلْيةُ الكُتّاب

وأتى وكيع بن الجراح رجلٌ يمت إليه بحرمة ، فقال له : وما حُرمَتُك ؟ قال له : — وكيع وقريب له

كنتَ تكتب من محبرتى عند الأعمش . فوثب وكيع ودخل منزله ، ثم أخرج له بضعة دنانير ، وقال له : اعذُرْ فما أملك غيرها .

وفى الأقلام

لابن الحرون أهدى ابنُ الحرون إلى رجل من إخوانه من الكتّاب أقلاما ؛ فكتب إليه:

إنه لما كانت الكتابة — أبقاك الله — أعظمَ الأمور ، وقِوامَ الخلافة ، وعمودَ المملكة ؛ خصصتُك من آلتها بما يخِفُّ محمله ، وتثقل قيمته ، ويعظُم نفعُه ويجلّ خطرُه ؛ وهى أقلام من القَصب النابت فى الصُّخر الذى نَشِف فى حر الهجير ماؤه ، وستَرَهُ من تلويحه غِشاؤه ؛ فهى كاللآلئ المكنونة فى الصَّدَف ، والأنوار المحجوبة فى السَّدف ؛ تبرية القشور دريّة الظهور ، فضية الكسور ؛ قد كسَتْها الطبيعة جوهراً كالوشى المحبر ، وفرند الديباج المنيَّر .

قولهم فى الصحف

لبعض الشعراء

نِعمَ الأنيسُ إذا خلَوْتَ كِتابُ * تلهو به إنْ ملّكَ الأحبابُ

لا مُفْشيًا سِرًّا إذا استوْدعْته * وتُفادُ منه حكمة وصوابُ

وقال آخر :

ولِكلّ صاحبِ لذّةٍ مُتنَزَّهٌ * أبداً ، ونُزهةُ عالِمٍ كُتُبُهْ

حبيب وقال حبيب :

مِدادٌ مثلُ خافِيةِ الغُرابِ * وقِرْطاسٌ كرَقراقِ السَّرابِ

وألفاظٌ كألفاظِ المثانِى * وخطٌّ مثلُ وشْمِ يَدِ الكَعابِ

كتبْتُ ولو قدرْتُ هوًى وشوقاً * إليك لكنتُ سطراً فى الكتابِ

وقال فى صحيفة جاءته من عند الحسن بن وهب :

لقد جَلّى كِتابُك كلَّ بَثٍّ * جوٍ وأصاب شاكِلَةَ الرَّمِىِّ

فضَضْتُ خِتامَه فتبلَّجَت لى * غرائبُه عنِ الخبَرِ الجلىِّ

وكان أغضّ فى عيْنِى وأنْدَى * على كبدِى مِنَ الزهرِ الجَنِىِّ

وأحسَنَ موقعاً عندي ومنّي * مِنَ البُشْرَى أتت بعدَ النَّعِيِّ
وضُمِّن صَدْرُه مالم تضَمَّنْ * صدورُ الغانِيات مِنَ الحُلِيِّ
فكائِنْ فيه من مَعنًى خطيرٍ * وكائِن فيه من لفظٍ بهيِّ
فيا ثلْجَ الفؤادِ وكان رضْفاً * ويا شِبَعِي بِرَوْنَقِهِ ورِيِّي
٥ فكم أفصحت عن بِرٍّ جليلٍ * به ووأيت من وأيٍ سنِيِّ
كتبْتَ به بلا لفظٍ كريهٍ * على أُذُنٍ ولا خطٍّ قمِيِّ
رسالةَ من تمتَّعَ مُنْذُ حينٍ * ومتَّعَنا مِنَ الأدبِ الرَّضِيِّ
لئِن غربتَها في أرضِ بكْرٍ * لقد زُفَّت إلى قلبٍ وفِيِّ
وإن يكُ من هداياكَ الصَّفايا * فرُبَّ هديَّةٍ لك كالهدِيِّ

١٠ وقال ابن أبي طاهر في ابن ثوابة : لابن أبي طاهر

في كلِّ يومٍ صدورُ الكتْبِ صادِرةٌ * من رأيِهِ ونَدَى كفَّيْهِ عن مَنَلِ
مِن خطِّ أقلامِه خطّ القضاءِ على الـ * أعداءِ والموْتُ بين البِيضِ والأسَلِ
لعابُها عِلَلٌ في الصدرِ تنفثُه * ورُبما كان فيه النَّقْعُ للغَلَلِ
كأنّ أسطارَها في بطنِ مُهْرَقِها * نَوْرٌ يُضاحِكُ دمعَ الواكِفِ الخضِلِ

١٥ وقال البحتري في محمد بن عبد الملك الزيات : البحتري

قد تصرفْتَ في الكِتابةِ حتى * عطّل الناسُ فنَّ عبدِ الحميدِ
في نظامٍ مِن البلاغةِ ما شـ * ـكَّ امرُؤٌ أنّه نظامُ فريدِ
وبديعٌ كأنه الزهرُ الضَّـا * حِكُ في رونَقِ الربيعِ الجديد
ما اغتدتْ منه في بُطونِ القراطيـ * ـسِ وما حُمِّلَت ظهورُ البَريد
٢٠ حُجَجٌ تُخرِسُ الألدّ بألفا * ظٍ فُرادَى كالجوْهَرِ المعدود
حُزْنَ مُستعمَلَ الكلامِ اختياراً * وتجنَّبْن ظُلمةَ التَّعقيد
كالعذارى غدوْن في الحُللِ البيـ * ـضِ إذا رُحْنَ في الخطوبِ السُّود

لابن الجهم

وقال علىّ بن الجهم فى رقعة جاءته بخط جيِّد :

مارُقعةٌ جاءتْكَ مَثْنيَّةً ٭ كأنها خــدٌّ على خدّ
نَثْرُ سوادٍ فى بياضٍ كما ذُ ٭ رَّ فتيتُ المِسكِ فى الوردِ
ساهمةُ الأسطُر مصروفةً ٭ عنْ جِهةِ الهزْلِ إلى الجِدّ
ياكاتِباً أسـلَمَنِى عَتْبُهُ ٭ إليك،حسبى مِنك ماعندى ! ٥

لأبان

وقال محمد بن إبراهيم بن محمد الشيبانى : رفع أبان بن عبد الحميد اللاحق إلى الفضل بن يحيى بن خالد، رقعةً بأبياتٍ له يصِفُ فيها قامتَه ، وكثافة لحيته، وحلاوة شمائله ، وبراعة أدبه ، وبلاغةَ قلبه ؛ فقال :

أنا مِن بُغيَةِ الأميرِ وكَنْزٌ ٭ مِن كُنوزِ الأميرِ ذو أرباح
كاتبٌ حاسِبٌ أديب لبيبٌ ٭ ناصحٌ زائدٌ على النُّصّـاح ١٠
شاعِرٌ مُفْلِقٌ أخف مِن الرِّيـ ٭ ـشَةِ ممّا يكونُ تحت الجَناح
لى فى النَّحوِ فِطنــةٌ ونفاذٌ ٭ أنا فيـه قِلادة بوشــاح
لو رمَى بِىَ الأميرُ أصلَحه اللهُ ٭ رِماحاً صدمْتُ حدّ الرِّماح
ثم أروى من ابنِ سيرينَ فى الفِقْـ ٭ ـهِ بقولٍ مُنوّر الإفصاح
لستُ بالضخمِ فى رُوائى ولا الفدْ ٭ مِ ولا بالمجعّد الدَّحداح ١٥
لِحْيةٌ كثّة وأنف طويلٌ ٭ واتِّقادٌ كشعلةِ المِصباح
وكثيرُ الحديثِ مِنْ مُلَحِ النا ٭ سِ بصيرٌ بخافِياتٍ مِلاح
كمْ وكمْ قد خبأتُ عِندى حديثاً ٭ هُو عند الأميرِ كالتُّفّــاح
أيْمَنُ الناسِ طائراً يومَ صيْدٍ ٭ فى غُدُوٍّ أو بُكرةٍ أو رواح
أعلمُ الناسِ بالجوارِحِ والصّيْـ ٭ ـدِ وبالخُرْدِ الحِسانِ المِلاح ٢٠
كلّ هـذا جمعتُ والحمــدُ للهِ على أنّنى ظريفُ المُزاح
لستُ بالناسِك المُشمِّر ثوبيْـ ٭ ـهِ ولا الفاتِكِ الخليعِ الوقاح
لو دعانى الأميرُ عاينَ منّى ٭ شمَّريًّا كالبلبـــل الصدّاح

قال : فدعاه فلما دخل عليه أتاه كتاب من أرمينية ، فرمى به إليه ، وقال له : أجب . فأجاب بما فى غرضه وأحسن ، فأمر له بألف ألف درهم؛ وكنا نَراه أولَ داخل وآخر خارج ؛ وكان إذا ركب فركابُه مع ركابه .

لأبى نواس

قال محمد بن يزيد : فبلغ هذا الشعرُ أبا نُوَاس ، فقال :

٥ أنتَ أوْلى بقِلَّةِ الحظِّ منّى ٭ يا مُسَمَّى بالبلبل الصــدّاج
قد رأوْا منهُ حين غَنَّى لديهم ٭ أخرَسَ القوْلِ غيرَ ذى إفصاح
ثم بالرِّيش شبَّه النَّفس فى الخِ ٭ ـفّةِ ممَّا يكونُ تحتَ الجناح
فإذا الشّمِ من شماريخِ رضْوى ٭ خِفّة عِنْـدَهُ نوى المِسْباح
لم يكُن فيكَ غيرُ شيئَيْن مِمَّا ٭ قلتَ فى نعتِ خَلْقِك الدَّحداح
١٠ لحيةٌ جعْــدةٌ وأنفٌ طويلٌ ٭ وسِوى ذاك ذاهِبٌ فى الرياح
فيك ما يَحملُ الملوكَ على السُّخْ ٭ ـفِ ويُزرِى بالماجِدِ الجحْجاح
بارِدُ الطرْفِ ، مُظلِم اللُّبِّ ، تيَّا ٭ هٌ ، مُعيدُ الحديثِ ، سَمِجُ المُزاح

قال : فبعث إليه أبان بأن لا تذيعها وخذ الألف ألف درهم ! فبعث إليه أبو نواس : لو أعطيتنى مائة ألف ألف درهم لم أجد بُدًّا من إذاعتها . فقال :
١٥ إن الفضل بن يحيى لما سمع شعر أبى نواس قال : لا حاجة لى فى أبان ، لقد رُمِىَ بخمس فى بيت لا يقبَله على واحدة منهن إلا جاهل . فقيل له : كذَب عليه . فقال : قد قيل ذاك . فأقصاه ؛ وإنما أغرى أبا نواس بهذا الكاتب : أبانِ بن عبد الحميد اللاحقى ، أن الفضل بن يحيى أعطاه مالاً يفرّقه فى الشعراء ، ويعطى كل واحد على قدره ؛ فبعث إلى أبى نواس بدرهم زائف ناقص ، وقال : إنى
٢٠ أعطيت كل شاعر على مقدار شعره ، وكان هذا أوفرَ نصيبك عندى . فهجاه لذلك .

توقيعات الخلفاء

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

كتب إليه سعد بن أبى وقاص فى بنيان يبنيه ، فوقّع فى أسفل كتابه : ابنِ ما يُكنُّك من الهواجر وأذى المطر .

ووقع إلى عمرو بن العاصى : كن لرعيتك كما تحبُّ أن يكون لك أميرك . ٥

عثمان بن عفان رضى الله عنه

وقع فى قصة قوم تظلموا من مروان بن الحكم وذكروا أنه أمر بوَجْءِ أعناقهم : ﴿ فإن عصوْك فقل إنى برىءٌ مما تعملون ﴾ .

ووقع فى قصة رجل شكا عيلة عليه : قد أمَرْنا لك بما يُقيمك ، وليس فى مال الله فضل للمسرف . ١٠

على بن أبى طالب كرم الله وجهه

وقع إلى طلحة بن عبيد الله : فى بيته يؤتى الحَكم .

ووقع فى كتاب جاءه من الحسن بن على رضى الله عنه : رأيُ الشيخ خير من مشهد[1] الغلام .

ووقع فى كتاب سلمان الفارسى ـ وسأله كيف يحاسَب الناس يوم القيامة ؟ ـ : ١٥ يُحاسَبون كما يُرزَقون ..

ووقع فى كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أنّ السيف قد أكثر فى ربيعة : بقية السيف أنْمى عددا .

وفى كتاب جاءه من الأشتر النخعى فيه بعض ما يكره : مَن لك بأخيك كلّه ؟

(١) فى بعض الأصول : « جلد » . ٢٠

وفى كتاب صعصعة بن صُوحان يسأله فى شىء : قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسن .

معاوية بن أبى سفيان

كتب إليه عبد الله بن عامر فى أمر عاتبه فيه ، فوقع فى أسفل كتابه : بيت أمية فى الجاهلية أشرف من بيت حبيبٍ فى الإسلام ، فأنت تراه .

٥ وفى كتاب عبد الله بن عامر يسأله أن يُقطِعه مالا بالطائف : عشْ رَجباً ترَ عَجَباً .

وفى كتاب زياد يخبره بطعن عبد الله بن عباس فى خلافته : إن أبا سفيان وأبا الفضل كانا فى الجاهلية فى مِسلاخ واحد ، وذلك حلْفٌ لا يَحُله سوء أدبك .

١٥ وكتب إليه ربيعة بن عِسل اليربوعى يسأله أن يعينه فى بناء داره بالبصرة باثنى عشر ألف جِذع : أدارُك فى البصرة ، أم البصرة فى دارك ؟

يزيد بن معاوية

وقع فى كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميحه لرجال من خاصته : احكمْ لهم بآمالهم إلى منتهى آجالهم . فحكم [لهم] بتسعمائة ألف ؛ فأجازها .

١٠ وكتب إليه مسلم بن عقبة المرى بالذى صنع أهلُ الحرّة ، فوقع فى أسفل كتابه : ﴿ فلا تأسَ على القوم الفاسقين ﴾ .

وفى كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد استبطأه فى الخراج : قليلُ العتاب يُحْكم مرائر الأسباب ، وكثيرُه يَقطع أواخىَ الانتساب .

ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان : القرابة واشجةٌ ،
٢٠ والأفعال متباينة ؛ فخذْ لرَحِمك من فعلك .

وإلى عبيد الله بن زياد : أنت أحد أعضاء ابن عمك ، فاحرص أن تكون كلَّها .

عبد الملك بن مروان

وقع فى كتاب أتاه من الحجاج [يشكو إليه نفراً من بنى هاشم ويُغريه بهم] جنّبْنى دماء بنى عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الطلب .

وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يقاسى منهم ، ويستأذنه فى قتل أشرافهم ، فوقع له : إنّ من يُمْن السائس أن يأتلف به المختلفون ، ومن شُؤمه أن يختلف به المؤتلفون .

وفى كتاب الحجاج يخبره بقوة ابن الأشعث : بِضَعْفك قوىَ ، وبخُرقك طلع .

ووُقع فى كتاب ابن الأشعث :

فما بالُ مَن أسعى لأجْبُرَ عظْمَه ٭ حِفاظًا، وينوى من سَفاهته كَسْرِى ؟

ووقع أيضاً فى كتاب :

كيف يَرجون سِقاطى بعدَما ٭ شمِل الرأسَ مشيبٌ وصَلعْ

الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خَرِق فيما خلّف له عبد الملك ، ينكر ذلك عليه ويعرّفه أنه على غير صواب ، فوقع فى كتابه : لأَجْمَعَنّ المال جمعَ من يعيش أبدا ، ولأفرّقنّه تفريق من يموت غدا .

ووقع إلى عمر بن عبد العزيز ، قد رأب الله بك الداء ، وأوذم بك السّقاء .

سليمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم الى سليمان يتهدّده بالخلع ، فوقع فى كتابه :

زعَم الفَرزدَق أنْ سيقتُل مِربَعاً ٭ أبْشر بطُول سلامةٍ يامِربَعُ

ووقع فى كتابه أيضا : العاقبة للمتقين .

وإلى قتيبة أيضاً جواب وعيده : ﴿ وإن تصبروا وتتّقوا لا يضُركم كيدُهم شيئا ﴾ .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه فى مَرَمّة مدينته ، فوقع أسفل كتابه : ابنها بالعدل ، ونَقِّ طُرُقها من الظلم .

وإلى بعض عماله فى مثل ذلك : حصِّنْها ونفسَك بتقوى الله .

وإلى رجل ولاه الصدقات ، وكان دميما فعدل وأحسن : ﴿ ولا أقولُ للذين تَزدرى أعيُنُكم لن يُؤتيَهمُ اللهُ خيرا ﴾ .

وكتب إليه صاحب العراق يخبره عن سوء طاعة أهلها ، فوقع له : ارضَ لهم ما ترضى لنفسك ، وخذْ بجرائمهم بعد ذلك .

وإلى عدى بن أرطاة فى أمر عاتبه عليه : إنّ آخِرَ آيةٍ أُنزلتْ ﴿ واتّقوا يومًا تُرجَعون فيه إلى اللهِ ﴾ .

وإلى عامله على الكوفة ـ وكتب إليه أنه فعل فى أمرٍ كما فعل عمر بن الخطاب ـ : ﴿ أُولئك الذين هَدى اللهُ فبِهداهمُ اقْتَدِهْ ﴾ .

وإلى الوليد بن عبد الملك ـ وعمرُ عامله على المدينة ـ فوقع فى كتابه : اللهُ أعلم أنك لست أوّل خليفة تموت .

وأتاه كتاب عدىّ يخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقع فى كتابه : لا تَطلب طاعةَ من خذل عليًّا ، وكان إماما مرضيا .

وإلى عامله بالمدينة وسأله أن يُعطيَه موضعاً يبنيه ، فوقع : كن من الموت على حذر .

وفى قصة متظلم : العدل أمامك .

وفى رقعة محبوس : تُبْ تُطلَق .

وفى رقعة رجل قُتل : كتاب الله بينى وبينك .

وفى رقعة متنصّح : لو ذكرت الموت شغلك عن نصيحتك .

وفى رقعة رجل شكا أهل بيته : أنتما فى الحق سيّان .

وفى رقعة امرأة حُبس زوجُها : الحقُّ حَبسه .

وفى رقعة رجل تظلم من ابنه : إن لم أُنصِفْك منه فأنا ظلمتُك .

يزيد بن عبد الملك ٥

وقع إلى صاحب خراسان : لا يغرنَّك حسنُ رأى ، فإنما تفسِده عثرة .

وإلى صاحب المدينة : عثرت فاستقِل .

وفى قصة متظلم : ﴿ سيَعْلَمُ الذِين ظَلموا أىَّ مُنقلَبٍ ينْقلِبونَ ﴾ .

وفى قصة متظلم شكا بعض أهل بيته : ماكان عليك لو صَفَحْتَ عنه واستوصَلْتنى . ١٠

هشام بن عبد الملك

فى قصة متظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقا ، وحلَّ بك النكال إن كنت كاذبا : فتقدم أو تأخر .

وفى قصة قوم شكوا أميرهم : إن صح ما ادَّعيتم عليه عزلناه وعاقبناه .

وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : احذر ليالىَ البَيات . ١٥

وإلى صاحب المدينة وكتب يخبره بوثوب أبناء الأنصار : آحفظ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهَبْهم له .

وقع فى رقعة محبوس لزمه الحد : نزل بحدّك الكتابُ .

ووقع فى قصة رجل شكا إليه الحاجة وكثرةَ العيال وذكر أن له حرمة : لعيالِك فى بيت مال المسلمين سهم ، ولك بحرمتك منّا مثْلاه . ٢٠

وإلى عامله على العراق فى أمر الخوارج : ضَعْ سيفك فى كلاب النار ، وتقرب إلى الله بقتل الكفار .

وإلى جماعة يشكون تعدى عاملهم عليهم: لَنُفَوِّضنّكم فى خصمكم دونكم .

وفى كتاب عامله يخبره فيه بقلة الأمطار فى بلده : مُرْهُم بالاستغفار .

وإلى سهل بن سيار : خَفِ الله وإمامَك ، فإنه يأخذك عند أول زَلّة .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

٥ وقع إلى مروان [بن محمد] : أراك تُقدّم رجلا وتؤخّر أخرى ، فإذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيّهما شئت .

وإلى صاحب خراسان فى المسوّدة : نَجم أمرٌ أنت عنه نائم ، وما أراك منه أو منّى بسالم .

مروان بن محمد

١٠ كتب إلى نصر بن سيار فى أمر أبى مسلم : تحوُّل الظاهر يدل على ضعف الباطن ، والله المستعان .

ووقع إلى ابن هبيرة أمير خراسان : الأمر مضطرب ، وأنت نائم ، وأنا ساهر :

وإلى حوثَرَة بن سُهيل حين وجهه إلى قحطبة : كن من بيات المسارقة

١٥ على حذَر .

ووقع حين أتاه غَرَقُ قحطبة وانهزام ابن هبيرة : هذا والله الإدبار ، وإلا فمن رأى ميّتاً هزم حيًّا ؟

وفى جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه

أرى خَلل الرّمادِ وميض جمرٍ ... ويوشك أن يكون له ضِرام

٢٠ الحاضر يرى ما لا يرى الغائب ، فاحسم الثؤلول .

فكتب نصر : الثؤلول قد امتدت أغصانه ، وعظمت نكايته .

فوقع إليه : يداك أوكَتا وفُوكَ نفخ .

توقيعات بنى العباس

السفاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أن منازلهم أخِذَت منهم وأُدخلت فى البناء الذى أمر به ولم يُعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناءٌ أُسِّس على غير تقوى ثم أمر بدفع قِيَم منازلهم إليهم . ٥

ووقع فى كتاب أبى جعفر وهو يحارب ابن هبيرة بواسط : إن حلْمَك أفسد علْمَك ، وتراخيك أثر فى طاعتك ، فخذلى منك ، ولك من نفسك .

ووقع إليه فى ابن هبيرة بعد أن راجعه فيه غير مرة : لست منك ولستَ مِنِّى إن لم تقتله .

وجاءه كتاب من أبى مسلم يستأذنه فى الحجّ وفى زيارته ، فوقع إليه : لا أحول بينك وبين زيارة بيت الله الحرام أو خليفته ، وإذْنُك لك . ١٠

ووقع فى كتاب جماعة من بطانته يشكون احتباس أرزاقهم : من صبر فى الشدة شارك فى النعمة . ثم أمر بأرزاقهم .

وإلى عامل تُظُلِّم منه : ﴿ وما كنتُ متَّخِذَ المضِلِّينَ عَضُدا ﴾ .

وفى قوم شكوا غرق ضياعهم فى ناحية الكوفة : ﴿ وقيل بُعْدًا للقَومِ الظَّالمين ﴾ . ١٥

أبو جعفر

وقع فى كتابه إلى عبد الله بن على عمه : لا تجعل للأيام فىّ وفيك نصيباً من حوادثها .

ووقع إليه أيضا : ﴿ ٱدْفع بالتى هىَ أَحْسَنُ فإذا الذى بينكَ وبينَهُ عداوة كأنه ولِىٌّ حميم ، وما يلقَّاها إلا الذين صبرُوا وما يلقَّاها إلا ذو حظّ عظِيم ﴾ فاجعل الحظ لك دونى يكن لك . ٢٠

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان : شكوتَ فأشكيناك ، وعتَبْت فأعتبناك ، ثم خرجت عن العامّة فتأهب لفراق السلامة .

وإلى أهل الكوفة وشكوا عاملهم : كما تكونون يُؤَمَّر عليكم

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : ﴿ لا ينالُ عهْدِي الظالمين ﴾ .

٥ وفى قصة رجل شكا عيلة : سل الله من رزقه .

وفى قصة رجل سأله أن يبنى بقُر به مسجدا فإن مُصلاه على بعد : ذلك أعظم لثوابك .

وفى قصة رجل قُطعت عنه أرزاقه : ﴿ ما يفْتح اللهُ للناسِ من رحْمة فلا مُمْسِكَ لها وما يُمسكْ فلا مرسِلَ له من بعدِهِ وهو العزيزُ الحكيم ﴾ .

١٠ وفى قصة رجل شكا الدّين : إن كان دينُك فى مرضاة الله قضاه .

وإلى صارورةٍ سأله أن يحج : ﴿ ولله على الناس حِجُّ البيت مِن استطاع إليه سبيلا ﴾ .

وإلى صاحب مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طهِّر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد .

١٥ وإلى عامله على حمص ، وجاء منه كتاب فيه خطأ : استبدل بكاتبك وإلا آستُبدل بك .

وإلى صاحب أرمينية : إن لى فى قفاك عينا ، وبين عينيك عينا ؛ ولهما أربع آذان .

وإلى رجل استوصله : لا مانع لما أعطاه الله .

٢٠ وفى كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جنداً شغبوا عليه ، وكسروا أقفال بيت المال وأخذوا أرزاقهم منه : لو عدَلتَ لم يَشغبُوا ولو وفّيت لم ينتهبوا .

المهدى

وقّع فى قصة متظلمين شكوا بعض عماله : لو كان عيسى عاملَكم قدناه إلى الحق كما يقاد الجمل المخشوش . يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه : ﴿خُذِ العفْو وأْمُرْ بالعُرْف وأعْرِض عن الجاهلين﴾ .

وإلى صاحب خراسان فى أمر جاءه : أنا ساهر وأنت نائم .

وفى قصة قوم أصابهم قحط : يقدر لهم قوت سَنة القحط ، والسنة التى تليها .

وإلى شاعر — أظنه مروان بن أبى حفصة — : أسرفت فى مديحك فقصّرنا فى حِبائك .

وفى قصة رجل من الغارمين : خذ من بيت مال المسلمين ما تقضى به دَينك وتقر به عينك .

وفى قصة رجل شكا الحاجة : أتاك الغوْث .

وإلى رجل من بطانته استوصل : ليت إسراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك .

وفى قصة قوم تظلموا من عاملهم وسألوا إشخاصه إلى بابه : قد أنصف القارَةَ من راماها .

وفى قصة رجل حُبس فى دم : ﴿ولكمْ فى القِصاص حياةٌ يا أُولى الألباب﴾ .

وإلى صاحب خراسان وكتب إليه يخبره بغلاء الأسعار : خذهم بالعدل فى المكيال والميزان .

وإلى يوسف البَرَم حين خرج بخراسان : لك أمانى ومؤكَّد أيمانى .

موسى الهادى

كتب إلى الحسن بن قحطبة فى أمر راجعه فيه : قد أنكرناك منذ لزمت أبا حنيفة : كفاناه الله .

وإلى صاحب أفريقية فى أمر فَرَط منه : يابن اللخناء أنى تتمرّس .

هارون الرشيد

وقع إلى صاحب خراسان : داوِ جُرْحك لا يتسع .

وإلى عامله على مصر : احذر أن تُخرب خزانتى وخزانة أخى يوسف فيأتيك منى ما لا قِبَلَ لك به ، ومنَ الله أكثر منه .

ووقع فى قصة رجل من البرامكة : أنبتَتْه الطاعة وحصدته المعصية .

وإلى عامله على فارس : كن منى على مثل ليلة البيات .

وإلى عامل خراسان : إن الملوك يؤثر عنهم الحزْم .

وإلى خُزيمة بن خازم إذ كتب إليه أنه وضع السيف حين دخل أرض أرمينية : لا أمّ لك ! تَقتل بالذنب من لا ذنب له ؟

وفى قصة محبوس : من لجأ إلى الله نجا .

وفى قصة متظلم : لايجاوَز بك العدل ، ولا يقصَّر بك دون الإنصاف .

وإلى صاحب السِّند إذ ظهرت العصبية : كل من دعا إلى الجاهليـة تَعَجَّلَ إلى المنية .

وإلى عامله على خراسان : كل من رفع رأسه فأزِله عن بدنه .

وفى رقعة متظلم من عامـله على الأهواز ، وكان بالمتظلم عارفا : قد ولَّيْناك موضعه ، فتنكبْ سيرته .

وفى كتاب بكار الزُّبيرى إليه ؛ يخبره بسرّ من أسرار الطالبيِّين : جزى الله الفضل خيرَ الجزاء فى اختياره إياك وقد أثابك أمير المؤمنين مائة ألف بحسن نيتك .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر : يامحفوظ ، اجعل خرج مصر خَرجاً واحداً ، وأنت أنت .

وإلى صاحب المدينة : ضع رجليك على رقاب أهل هذا البطن فإنهم قد أطالوا ليلى بالسهاد ، ونفَوْا عن عينى لذيذ الرقاد .

ووقع إلى السندى بن شاهك : خَفِ الله وإمامك ، فهما نجاتُك .

وإلى سليمان بن أبى جعفر فى كتاب ورد عليه منه يذكر فيه وثوب أهل دمشق استحَيْت بشيخ ولده المنصور ، أن يهرب عمن ولَدَهُ كندة وطيئ ؛ فهلا قابلتَهم بوجهك ، وأبديت لهم صفحتك ، وبذلت لهم نصيحتك ، وكنت كمروان ابن عمك أذ خرج مصلتاً سيفه متمثلا ببيت الجحاف بن حكيم : ٥

مُتقلِّدين صَفائحاً هنــدِيَّةً ٭ يَتركْنَ من ضربوا كمن لم يولَدِ

فجالد به حتى قُتل ؛ لله أمٌ ولدتْه ، وأبٌ أنهضه .

وكتب متملك الروم إلى هارون الرشيد : إنى متوجه نحوك بكل صليب فى عملكتى ، وكلِّ بطلٍ فى جندى . فوقع فى كتابه : ﴿ وسيَعْلمُ الكافرُ لِمَنْ عُقْبى الدارِ ﴾ . ١٠

وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : قد تقدم الخصم إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدْل ، وستَقْدُمُ فتعلم . فوقع فيه . الرشيد : الحكم الذى رضيته فى الآخرة لك ، هو أعدى الخصم فى الدنيا عليك ، وهو من لا يُردُّ حكمه ، ولا يُصرفُ قضاؤه .

المـأمون ١٥

وقع إلى على بن هشام فى أمر تظلم فيه : من علامة الشريف أن يَظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ؛ فأى الرجلين أنت ؟

وإلى هشام : لا أُدنيك ولك ببابى خصم .

وإلى الرستمى فى قصة مَن تظلم منه : ليس من المروءة أن تكون آنيَتُك من ذهب وفضة ، وغريمك خاوٍ وجارُك طاوٍ . ٢٠

وفى قصة متظلم من عمرو بن مسعدة : ياعمرو ، عَمِّر نعمتك بالعدل ؛ فإن الجوْر يهدمها .

وفى قصة متظلم من أبى عباد : ياثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة .

وفى قصة متظلم من أبى عيس أخيه : ﴿ فإذا نفخ فى الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلونَ ﴾ .

وفى قصة لمتظلم من حميد الطوسى : يا أبا غانم ، لا تغترّ بموضعك من إمامك ، فإنك وأخسّ عبيدِه فى الحق سِيّان .

٥ وإلى طاهر صاحب خراسان :آحمدْ أبا الطيب ، إذ أحلك الخليفة محل نفسه فـالك موضعٌ تسمو إليه نفسُك إلا وأنت فوقه عنده .

وفى كتاب بشر بن داود : هذا أمانٌ عاقدت الله فى مناجاتى إياه .

وفى كتاب إبراهيم بن جعفر فى فَدَك حين أمره بردّها : قد أرضيت خليفة الله فى فدك ، كما أرضى الله رسوله فيها .

١٠ وفى قصة متظلم من محمد بن الفضـل الطوسى : قد احتملنا بَذاءك وشكاسَـةَ خلُقك ، فأما ظلمك للرعية فإنا لانحتمله .

ووقع إلى بعض عمـاله : طالع كلَّ ناحية من نواحيك وقاصية من أقاصـيك بمـا فيه استصلاحها .

وكتب إليـه إبراهيم بن المهدى فى كلام له : إن غفَرْت فبفضلك ، وإن ١٥ أخذْت فبحقك . فوقع فى كتابه : القدرة تُذْهِب الحفيظة ، والندم جزءٌ من التوبة وبينهما عفو الله .

ووقع فى رقعة مولًى طلب كسوة : لو أردت الـكُسوة لَلزِمْت الخدمة ، ولـكنك آثرْت الرُّقاد فحظُّك الرؤيا .

ووقع فى يوم عاشـوراء لبعض أصحـابه وقد وافته الأموال : يؤمر له ٢٠ بخمسمائة ألف لطول همته ، ولثمـامة بن أشرس بثلثمائة ألف لتركه ما لايعنيه ، ولأبى محمد اليزيدى يؤمر له بخمسمائة ألف لـكبره ، وللمعلى بخمسمائة ألف لصحيح سـنّته ، ولإسحـاق بن إبراهيم بخمسمائة ألف لصـدق لهجته ، وللعباس بخمسمائة ألف لفصاحة منطقه ، ولأحمد بن أبى خالد بألف ألف لمخالفة شهوته ،

ولإبراهيم بن بويه كذلك لسرعة دمعته ، وللربّسى بثلثمائة ألف لإسباغ وضوئه ، ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسن وجهه .

توقيعات الأمراء والكبراء

زياد

وقّع إلى بعض عماله : قد كنت على الدُّعّار وإخالك ذاعرا . ٥

وكتبت إليه عائشة فى وَصاة برجل ، فوقع فى كتابها : هو بَيْنَ أبويه .

وإلى صاحب خراسان فى أمر خالفه فيه : استر بعض دِينِك ببعض ، وإلا ذهب كله .

وإلى عامله بالكوفة أمِطِ الحدودَ عن ذوى المروءات .

وفى قصة متظلم : أنا معك . ١٠

وفى قصة قومٍ رفعوا على عامل رفيعة : من أماله الباطلُ قوّمَه الحق .

وفى قصة مستمنح : لك المُواساة .

وإلى عامله فى خوارج خرجوا بالبصرة : النساءُ تُحارِبُهم دونك .

وفى قصة سارق : القطع جزاؤك .

وفى قصة امرأة حُبِس زوجها : حُكْمُهُ إلى الله . ١٥

وفى قصة قوم نَقبوا : تُنْقَبُ ظُهورُهم .

وفى قصة نبّاش : يُدْفَنُ حيًّا فى قبره .

وفى قصة متظلم : الحقُّ يَسَعُك .

وفى قصة متنصح : « مهلا فقد أبلغت إسماعى »

وفى قصة متظلم : كُفِيتَ . ٢٠

وفى قصة رجل شكا إليه عقوقَ ابنه : ربما كان عقوقُ الولد من سوء تأديبِ الوالد !

وفى قصة رجل شكا الحاجة : لك فى مال الله نصيبٌ أنت آخِذُه .

وفى قصة رجل جارح : الجروح قصاصٌ .

وفى قصة محبوس : التائبُ من الذَّنْبِ كمن لا ذنب له .

وفى قصة قوم شكوا غرق ضياعهم : لاتُعرِّضْ فيما تفرد الله به .

٥ وفى قصة قوم اشتكوا اجتياح الجراد لزروعهم : لاحكم فيما استأثر الله به .

الحجاج بن يوسف

وقع فى كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكو كثرة الجراد ، وذهاب الغلات ، وما حل بالناس من القحط : إذا أزِفَ خراجُك فانظر لرعيتك فى مصالحها ، فبيتُ المال أشدُّ اطلاعا لذلك من الأرمَلة واليتيم وذى العَيلة .

١٠ وفى كتاب قتيبة إليه أنه على عبور النهر ومحاربة الترك : لاتخاطِرْ بالمسلمين حتى تعْرِفَ موضِعَ قدمك ، ومرمى سهامك .

وفى كتاب صاحب الكوفة يخبره بسوء طاعتهم وما يقاسى من مداراتهم : ما ظنُّك بقومٍ قتلوا من كانوا يعبدونه ؟

وفى قصة محبوس ذكروا أنه تاب : ﴿ ما على المُحْسِنين من سبيلٍ ﴾ .

١٥ وإلى قتيبة : خُذْ عسكرك بتلاوة القرآن ، فإنه أمْنَعُ من حُصُونك .

وفى كتابه إلى بعض عماله : إياك والملاهى حتى تستنظف خراجَك .

وفى كتاب إلى ابن أخيه : ماركب يهوديٌّ قبلك مِنْبرا .

وفى كتابه إلى يزيد بن أبى مسلم : أنت أبو عبيدة هذا القَرْنُ .

أبو مسلم

٢٠ وقع فى كتاب سليمان بن كثير الخزاعى : ﴿لكل نبإٍ مستَقر وسوف تعلمون﴾ .

وإلى أبى العباس فى يزيد بن عمر بن هبيرة : قَلَّ طريقٌ سهل تُلْقَى فيه الحجارةُ إلا عاد وعْراً ؛ والله لايَصلُحُ طريقٌ فيه ابنُ هبيرة أبدا .

وإلى ابن قحطبة : لا تنسَ نصيبك من الدنيا .

وإليه : ﴿ ادعُ إلى سبيل ربِّكَ بالحِكمةِ والموْعِظَةِ الحسَنةِ ﴾ .

وإليه : ﴿ ولا ترْكنوا إلى الذينَ ظلَموا فتَمَسَّكُمُ النارُ ﴾ .

وإلى محمد بن صول وكتب إليه بسلامة أطرافه : ﴿ وأمّا بِنِعْمة ربكَ فحدِّث ﴾ .

وكتب إليه قحطبة : إن بعض قُواده خرج إلى عسكر بن ضُبارة راغبا . فوقّع ٥
فى كتابه : ﴿ ألم ترَ إلى الذينَ بدَّلوا نعمَةَ اللهِ كُفراً وأحلُّوا قومَهُم دارَ البوارِ
جَهنَّمَ يَصْلَوْنَها وبِئْسَ القرارُ ﴾ .

وإلى عامله ببلخ : لا تؤخر عمل اليوم لغد .

وإلى أبى سلمة الخلال حين أنكر نيته : ﴿ وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا
وإذا خَلوْا إلى شياطِينِهم قالوا إنّا معكُم ﴾ . ١٠

جعفر بن يحيى

وقّع فى قصة محبوس : ﴿ لِكلِّ أجلٍ كِتابٌ ﴾ .

وفى مثله : العدل يُوبقه ، والتوبة تطْلِقه .

وفى قصة متنصح : بعضُ الصدق قبيح .

وفى رجل شكا بعضَ عُمّاله : قد كثُر شاكوك ، وقلّ شاكروك ؛ فإما عدلت ، ١٥
وما اعتزلت .

وفى قصة رجلٍ شكا بعض خدمه : خذ بأذُنه ورأسه فهو مالك .

وإلى عامل فارس فى رجل كتب إليه بالوصاة : كن له كأبيه لو كان مكانك .

وإلى عامل مصر فى رجل من بطانته يوصيه : إنه رغب إلى شعبك فارغب
فى اصطناعه . ٢٠

وفى قصة متظلم من بعض عماله : إنى ظلمتك دونه .

وفى قصة محبوس : الجناية حبسته والتوبةُ تطْلِقه .

وإلى قوم : عينُ الخليفة تكلؤكم ونظرُه يَعُمُّكم .

وفى رقعة صرورة استأذنه فى الحج : من سافر إلى الله أنجح .

وفى قصة رجل شكا عزوبة : الصومُ لك وِجاء .

وفى رقعة رجل سأل ولاية : لا أوَلى بعض الظالمين بعضا .

وفى قصة رجل سأل أن يُقفل ابنه فقد طالت غيبته عنه : غيبةُ يوسف
٥ صلى الله عليه وسلم كانت أطْوَل .

وفى قصة رجل تظلم من عماله : إنّا لَمِثْلُه حتى نُنصفك .

وفى قصة قوم شكوا سوء جوار بعض قرابته : يرحل عنكم .

وفى قصة مستمنح قد كان وصله مرارا : دع الضرع يَدِرُّ لغيرك كما درّ لك .

وإلى الفضل بن الربيع وجاءه منه كتابٌ غمَّه وكربه : كثرة ملاحاة الأوِدّاءِ ،
١٠ رُبما أراقت الدماء .

وإلى منصور بن زياد فى أمر عاتبه فيه : لم نزرعك لنحصدَك .

وإلى بعض عماله : اجعل وسيلتك إلينا ما يَزيدك عندنا .

وإلى بعض ندمائه : لا تبعد من ضَحِّك .

ووقع إلى متنصل من ذنب : حكم الفلتات خلاف حكم الإصرار .

١٥ الفضل بن سهل

كتب إلى أخيه الحسن : أحمد الله يا أخى ، فما يبيت خليفة الله إلا على ذكرك .

وإلى طاهر : لخيرِ ما اتضعْت .

وإليهِ : لشرٍّ ما سَمَوْتَ .

وإلى هرثمة وأشار عليه برأى : لا يُحَلُّ ماعقدت .

٢٠ وفى قصة متظلم : كفى بالله للمظلوم ناصرا .

وفى قصة نقب بيت المال : يُدْرَأ عنه الحد إن كان له فيه سهم .

ووقع إلى حاجبه : تمهَّل وتسهَّل .

وإلى صاحب الشرطة : ترَفّق تُوفَّق .

وإلى رجل شكا غلبة الدَّيْن : قد أمرنا لك بثلاثين ألفاً وسنَشفعها بمثلها ، ليرغب المستمنحون .

وفى قصة متظلم : طِبْ نفساً فإنّ الله مع المظلوم .

وإلى رجل شكا إليه الدَّيْن : الدَّين سوء يهيض الأعناق ، وقد أمرنا بقضائه . ٥

وفى قصة قوم قطعوا الطريق : ﴿ إنما جزاء الذين يُحاربون اللهَ ورسولَه ويَسعوْن فى الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقطَّعَ أيديهم وأرجلُهم من خلافٍ أو يُنْفوْا من الأرض ، ذلك لهم خِزْىٌ فى الدنيا ولهم فى الآخرةِ عذابٌ عظيمٌ ﴾ .

وفى أمرئٍ قاتلٍ شهد عليه العدول فشُفع فيه : كتاب الله أحقُّ أن يُتّبع . ١٠

وفى قصة رجل شُهد عليه أنه شتم أبا بكر وعمر : يُضرَب دون الحدّ ويُشهر ضربُه .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وقّع فى قصة متظلم : يُنظَر فيما رَفع ، وإنّ الحق منيع ، وإلا فشفاء السقيم دواء السقم . ١٥

وفى قصة قوم تظلموا من واليهم : الحقُّ أولى بنا ، والعدل بُغْيَتنا ، وإن صح ما ادّعيتم عليه صرفناه وعاقبناه .

وفى قصة امرأة حُبس زوجها : الحق يَحبسه والإنصاف يُطلقه .

وفى رقعة رائد : قد أمرنا لك بشىء هو دون قدرك فى الاستحقاق ، وفوق الكفاية مع الاقتصاد . ٢٠

وكتب إليه رجل من الشعراء يقول له :

رأيتُ فى النوم أنى راكبٌ فرساً ۞ ولى وصِيفٌ وفى كفِّى دنانيرُ

فقال قومٌ لهم فهْمٌ ومعـــرفة ٭ رأيتَ خيراً وللأحلامِ تعبيرُ
رؤْياك فسِّر غداً عند الأمير تَجدْ ٭ تعبيرَ ذاك وفى النوم التَّباشير

فوقع فى أسفل كتابه ﴿أضغاثُ أحلامٍ ومانحن بتأويلِ الأحلامِ بعالِمِين﴾ وأطلق له ماالتمسه .

٥ ودخل بعض الشعراء على عبد الملك بن بشر بن مروان فأنشده :

أغْفيْتُ عند الصبح نومَ مسهَّدٍ ٭ فى ساعةٍ ماكنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنك رُعْتنى بولِيدةٍ ٭ رُعْبوبَةٍ حسَنٍ علىَّ قيامُها
وببَـــدرةٍ حُمِلتْ إلىَّ وبغلةٍ ٭ دَهماءَ مُشرِقةٍ يَصِلُّ لجامها
فدعوْت ربى أن يُثيبك جنةً ٭ عِوضاً يُصيبك بَردُها وسلامها
١٠ تلك المنابرُ يابنَ مرْوانَ النَّدى ٭ أضحتْ وأنت خطيبها وإمامها

فقال له : أبشر فى كل شىء أصبت إلا البغلة ، فإنى لا أملك إلا شُهبا ، فقال له : امرأتى طالق إن كنت رأيتُها إلا شهبا ، إلا أنى غَلِطت .

طاهر بن الحسين

وقَّع فى كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شَبيب : طلبتَ الحق فى ١٥ دار الباطل .

وفى قصة رجل طلب قَبالةَ بعض أعماله : القبالة مفتاح الفساد ، ولو كانت صلاحا ما كنتَ لها موضعا .

وإلى السِّندى بن شاهك وجاءه منه كتاب يستعطفه فيه : عِشْ مالم أرَك .

وإلى خُزيمة بن خازم : الأعمال بخواتيمها ، والصنيعة باستدامتها وإلى الغاية ٢٠ ما جرى الجواد ، فحُمِد السابق وذُمّ الساقط .

وإلى العباس بن موسى الهادى واستبطأه فى خراج ناحيته :

وليس أخُو الحاجات مَن بات نائماً ٭ ولـكن أخوها مَن يَبيت على رَحْلِ

وفى رقعة متنصح ﴿ سَنَنظر أصدَقتَ أم كنت من الكاذِبين ﴾ .

وفى قصة محبوس : يُطلَق ويعتق .

وفى رقعة مستوصل : يُقام أَوَدُه .

وكتب أبو جعفر إلى عمرو بن عبيد : أباعثمان ، أَعِنِّى بأصحابك ، فإنهم أهل العدل وأصحاب الصدق والمؤثرون له . فوقع فى كتابه : ٱرفع علَمَ الحق يتْبعْك أهله .

توقيعات العجم

وقَّع أردشير فى أزمة عمت المملكة : من العدل أن لا يفرح الملِك ورعيّته محزونون . ثم أمر ففُرِّق فى الكور جميع ما فى بيوت الأموال .

ورفع رجل إلى كسرى بن قباذ رقعة يخبره فيها أنّ جماعة من بطانته قد فسدتْ نيّاتهم وخبُثت ضمائرهم ، منهم فلان وفلان ؛ فوقع فى أسفل كتابه : إنما أمْلك ظاهر الأجسام لا النيات ، وأحكم بالعدل لا بالهوى ، وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر .

ووقع كسرى فى رقعة مدح : طوبى للممدوح إذا كان للمدح مستحِقا ، وللداعى إذا كان للإجابة أهلا .

وكتب إليه متنصح أنّ قوما من بطانته اجتمعوا للمنادمة ، فعابوه وثلبوه ، فوقَّع : لئن كانوا نطقوا بألسنة شتى لقد اجتمعت مساويها على لسانك فجُرحُك أرغَب ، ولسانك أكْذب .

ورفع إليه جماعة من بطانته رقعة يشكون فيها سوء حالهم ، فوقع : ما أنصفكم مَن إلى الشَّكِيَّة أحوجكم . ثم فرق بينهم ما وسعهم وأغناهم .

ووقع أنو شروان إلى صاحب خراجه : ما ٱستُغْزِر الخراج بمثل العدل ، ولا ٱستُنْزِر بمثل الجوْر .

ووقع فى قصة رجل تَظلم منه : لا ينبغى للملِك الظُّلم ومن عنده يُلتَمس

العدل ، ولا يبخل ومن عنده يُتوقع الجود . ثم أمر بإحضار الرجل وقعد معه بين يدى المُوبذ

ووقع فى قصة محبوس : من رَكِبَ مَانُهِىَ عنه حيل بينه وبين مايشتهى

ودفع إليه بعض خدمه رقعة يخبره فيها بكثرة عياله ، وسوء حاله ، فعرف كذبه ، فوقع : إن الله خفف ظهرك فثَقَّلْتَه ، وأحسن إليك فكَفَرْتَه فتب إلى الله يَتُبْ عليك .

ووقع فى قصة رجل سعى إليه بباطل : باللسان آحفظ رأسك .

ووقّع فى قصة رجل ذكر أن بعض قرابة الملك ظلمه وأخذ ماله : لاتصلح العامة إلا ببعض الحيف على الخاصة ؛ فإن كنت صادقاً أبَحْتُكَ جميع مايملكه . فلم يتظلم بعدها أحد من قرابته

فصول فى المودّة

كتب عبد الرحمن بن أحمد الحرانى إلى محمد بن سهل :

أعزك الله ، إن كل مجازاة قاصرة عن حق السابق إلى افتتاح الود ، وقد علمت أنى استقبلتك من الإقبال عليك بما لم تَستدعه ، واعتمدتك من الرغبة فيك بما لم توله .

وفصل لأبى على البصير : قد أكد الله بيننا من الودّ ما نأمن الدهر على حل عقده ونقض مِراره ، وما يستوى منه ثقتنا بأنفسنا لك وثقتُنا بما عندك .

وفصل له : الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأنس والثقة ، وبسط اللسان بالاستزادة ؛ وأنا أمت إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التى تحل صاحبها محل خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودّة يجمعنا حبلها ، والصناعة تؤلفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ فى لقاء ، أو تخلف فى مكاتبة ، موضوع بيننا ، يوجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبٌّ إليك، سامى الطرف نحوك ، وذكرك ملصقٌ بلسانى ، واسمك حُلْوٌ على لهواتى ، وشخصك ماثلٌ بين عينىّ ، وأنت أقرب الناس من قلبى ، وآخَذُهم بمجامع هواى .

وفصل له : لنحن أحقُّ بابتدائك بمـا ابتدأتنا به من الصلة ، إلا أنك أحق بالفضل الذى سبقتَ إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إنى أهديت مودّتى رغبة إليك ، ورضيت بالقبول منك مثوبة ، فصرتَ بقبولهـا قاضيا لحق ، ومالكا لِرق ، وصرت بالتسرع إلى الهدية ، والتنظُّر للمثوبة ، مرتهن اللسان بالجزاء ، واليدين بالوفاء .

وفصل له : إنى صادفت منك جوهرَ نفسى ، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام ، لأن النفس يقودها بعضُها بعضا .

وقال أبو العتاهية :

وللقلبِ على القلبِ ۞ دليـــل حين يلقاهُ

وللناس من الناسِ ۞ مقاييسٌ وأشـــباه

وفصل له : لسانى رطْبٌ بذكرك ، و[مكانك من قلبى] معمور بمحبتك ، حضرتَ أو غِبت ، سِرْتَ أو أقمتَ . كقول أخى أبى دلف :

لعمرى لئِن قرّت بِقربكَ أعيُنٌ ۞ لقد سخَنَتْ بالبيْنِ منكَ عيونُ

فسِرْ أو فقِف، وقفٌ عليك مودّتى ۞ مكانُك من قلبى عليكَ مَصونُ

وفصل لإبراهيم بن المهدى : كتابى إليك كتاب مخبر وسائل ، فأما الإخبار فعن تصرُّف الخطوب بما يوجب العذرَ عند صديقى العزيز على فى إبطائى بالتعد له ، وأما السؤال فعن إمساك هـذا الأخ الودود المودود عن مثل ذلك وإن العذر كاشف ما سلف ، مصلح لمـا استأنف .

فصول فى الزيارة

كتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :

نحن فى مأدُبة لنا تشرف على روضة تُضاحك الشمس حسنا ، قد باتت السماء تكلأها ، فهى شرقة بمائها ، حالية بِنُوّارها ، فبادر إلينا لنكون على سواء من ٥ استمتاع بعضنا ببعض ؛ فكتب إليه :

هذه صفة لو كانت فى أقاصى الأطراف لوجب انتجاعها ، وحثُّ المطِيّ فى ابتغائها ؛ فكيف فى موضع أنت تسكنه ، وتجمعُ إلى أنيق منظرِه ، حُسْن وجهك وطيب شمائلك ! وأنا الجواب !

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى أحمد بن يوسف فى المصير إليه ١٠ وعند أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدى ؛ فكتب :

عندى من أنا عنده ، وحُجّتنا عليك إعلامُنا إياك .

وفصل : إنه من ظَمِئَ شوقه من رؤيتك ، استوجب الرِّيّ من زيارتك . ثم كتب تحت هذا :

سر إلينا تَفديك نفسى من السُّو ء فقد طال عهــدُنا بالتلاقى

١٥ واجعلَنْ ذاك - إن رأيْتَ - جوابى فلقد خِفتُ ســطوةَ الإشتياق

وفصل : إلى الله أشكو شدة الوحشة لغيبتك ، وفرْط الحزن من فراقك ، وظلم الأيام بعدك ؛ وأقول كما قال بعض المحدثين :

غضارة دنيا أظلم العيْشُ بعدها وعند غروبِ الشمسِ يُعرف فقدُها

وفصل : الشوق إليك وإلى عهد أيامنا التى حسنت بك كأنها أعياد ، وقصرَتْ كأنها ٢٠ ساعات - يُفَوّت الصفاء ؛ ومما يجدده ويكثر دواعيه ، تصاقُبُ الديار ، وقربُ الجوار ، تمم الله لنا النعمة المجددة فيك ، بالنظر إلى الغرة المباركة التى لا وحشة معها ، ولا أنس بعدها .

وفصل : مثلُنا أعزك الله فى قرب تجاورنا وبُعد تزاورنا ، ما قيل فى أهل القبور :

هُم جيرة الأحياء ، أما مزارُهم ＊ فدانٍ ، وأمّا الملتقى فبعيدُ !

وكل علة معك محتملة ، وكل جفوة مغفورة ، للشغف بك ، والثقةِ بحسن نيتك ؛ وسنأخذ بقول أبى قيس بن الأسلت :   ٥

ويُكرمُها جاراتُها فيزرْنَها ＊ وتعتلُّ عن إتيانِهنَّ فتُعذَرُ

وفصل : كتب حكيم إلى حكيم : ياأخى ، إن أيام العُمرِ أقلُّ من أن تحتمل الهجر ! والسلام .

فصل : كتب أحمد بن يوسف : لا تجوز قطيعةُ الصديق ؛ لأنها لا تخلو من أحد وجهين إما ضعف فى نفس الاختيار ، وإما ملل ؛ وكلاهما حجة فيه .   ١٠

وفصل : طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء ، وقد جعلك الله للسرور نظاما ، وللأنس تَماما ، وجعل المشاهِدَ موحِشةً إذا خلتْ منك .

وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجبَ العذرَ فى تراخى اللقاء ＊ ما توالى من هذه الأنواء   ١٥

فسلامُ الإلهِ أُهديه منى ＊ كلَّ يومٍ لسيِّد الوزَراء

لست أدرى ماذا أقولُ وأشكو ＊ من سماءٍ تعوقُنى عن سماء

غير أنى أدعو على تلك بالثُّكـ ＊ ـلِ وأدعو لهذهِ بالبقاء

وقال آخر :

أزُور محمّداً فإذا التقينا ＊ تكلمَتِ الضمائرُ فى الصدورِ   ٢٠

فأرجعُ لم أُلمه ولم يَلُمنى ＊ وقد رضِيَ الضميرُ عنِ الضّمير

فصول فى وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق فى ابن أبى الشيص :

كتابى إليك خططته بيمنى ، وفرغت له ذهنى ، فما ظنك بحاجة هذا موقعها منى ، أتُرانى أقبل العذر فيها ، وأُقصِّر فى الشكر عليها ؟ وابن أبى الشيص قد عرفته ونسبَه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببرِّه ما عدانا إلى غيرنا ، فاكتف بهذا منا .

وفصل : كتابى إليك كتاب معْنِيٍّ بمن كَتب له ، واثقٍ بمن كُتِب إليه ، ولن يَضيع بين الثقة والعناية حامله .

وفصل : كتب العتابى فكاد أن يختل بالمعنى من شدة الاختصار ، فكتب : حامل كتابى إليك أنا ، فكن له أنا ! والسلام .

وفصل للحسن بن سهل : فلان قد استغنى باصطناعك إياه عن تحريكى إياك فى أمره ، فإن الصنيعة حرمة المصنوع إليه ووسيلة إلى مصطنِعه ، فبسط الله يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .

وفصل له : موصِّل كتابى إليك أنا ، فكن له أنا ، وتأمله بعين مشاهدتى وخُلُقى ، فبلسانه أشكرُ ما أتيت إليه ، وأذم ما قصرت فيه .

فصول فى عتاب

كتب أحمد بن يوسف :

لولا حسنُ الظن بك ـ أعزَّك الله ـ لكان فى إغضائك عنى ما يَقبِضنى عن الطَّلِبة إليك ، ولكن أمسكَ برمَقِى من الرجاء على برأيك فى رعاية الحق ، وبسْط يدك إلى الذى لو قبضتها عنه ، لم يكن له إلا كرمُك مذكِّراً ، وسودَدُك شافعا

فصل : أما بعدَ البرء من مريض داؤه فى دوائه ، وعلَّته فى حِمْيَته ! أنا منك كالغاصِّ بالماء لا مساغ له .

وكما قال الشاعر :

كنت مِن كُرْبتى أفرُّ إليهم ◦ وهُمُ كُرْبتى ، فأين الفرارُ ؟

فصل : أنا منتظر واحدة من اثنتين : عُتْبى تكون منك ، أو عقبى تغنى عنك !

فصل : أما بعد ، فقد كنت لنا كلَّك ، فاجعل لنا بعضك ، ولا نرضى إلا بالكل لك منا .

فصل : أنا أُبقى على وُدّك من عارض يغيّره ، أو عتاب يقدح فيه ، وآمل عائدا من حسن رأيك ، يغنى عن اقتضائك .

فصل : ألهمك الله من الرشد بحسب ما منحك من الفضل . لو أن كل من نازع إلى الصرْم قلَّدناه عِنان الهجر ، لكُنَّا أولى بالذنب منه ولكن نَرُدُّ عليك من نفسك ونأخذ لها منك .

فصل : لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين :

أما بعد ، فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك : ابتدأْتنى بلطف عن غير خبرة ، وأعقبْته جفاء من غير ذنب ؛ فأطمعنى أولك فى إخائك ، وآيسنى آخرك من وفائك ؛ فسبحان من لو شاء لكشف من أمرك عن عزيمة الرأى فيك ؛ فأقمنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف !

فصل : إذا جعلت الظنّ شاهدا تعدل شهادته بعد أن جعلته حكما يحيف فى حكومته ، فأين الموئل من جَوْرك ؟ ولست أسلك طريقا من العتب عليك إلا شدّة ما أنطوى عليه من مودتك ، ولا سبيل إلى شكايتك إلا إليك ، ولا استعانة إلا بك ، وما أحقَّ من جعلك على أمر عونا أن تكون له إلى النجاح سبباً !

وقال الشاعر :

عجبْتُ لقلبك كيف انقلبْ ◦ ومن طول وُدّك ، أنى ذهَبْ

وأعجبُ من ذا وذا أننى ◦ أراك بعيْن الرّضا فى الغضب !

وفصل : إن مسألتى إليك حوائجى مع عتبك علىّ من اللؤم وإن إمساكى عنها فى حال ضرورة إليها مع علمى بكرمك فى السخط والرضا ، لعجزٌ ؛ غير أنى أعلم أن أقرب الوسائل فى طلب رضاك ، مسألتُك ما سنح من الحاجة ؛ إذ كنت لا تجعل عتبك سبباً لمنع معروفك .

٥ وفصل : لو كانت الشكوك تختلجنى فى صحة مودتك وكريم إخائك ودوام عهدك ، لطال عتبى عليك ، فى تواتر كتبى وآحتباس جواباتها عنى ؛ ولكن الثقة بما تقدم عندى ، تعذرك وتُحسّن ما يُقبّحه جفاؤك ، والله يديم نعمته لك ولنا بك .

وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتتح بالعتاب الجميل ، والتقريع اللطيف ؛ ١٠ فلولا ما غلب علىّ من السرور بسلامتك ، لتقطعت غمّا بعتابك ، الذى لطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والفطنة ، وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ؛ فلا أعدمَنى الله رضاك مجازيا به على ما آستحقّه عتبُك ، فأنت ظالم فيه ، فهو ولىُّ المخرج منه .

وقال أبو الدرداء : إعتاب الأخ خيرٌ من فقده .

١٥ وقال الشاعر :

إذا ذهب العِتابُ فليس وُدٌّ ＊ ويبقى الوُدُّ ما بقى العِتابُ

وقال آخر فى غير هذا المعنى :

إذا كنت تغضب من غير ذنبٍ ＊ وتعتِب فى كلِّ يومٍ عليّا

طلبْتُ رضاك ، فإنْ عزّنى ＊ عددْتُك مَيْتاً وإن كنت حيّا

٢٠ ولا تُعجَبَنّ بما فى يديْك ＊ فأكثر منه الذى فى يديّا !

وفصل فى عتاب : العتاب قبل العقاب ؛ فليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

وفصل : قد حميت جانب الأمل فيك ، وقطعت أسباب الرجاء منك وقد أسلمنى

اليأس منك إلى العَزاء عنك ؛ فإن ترغب من الآن فصفحٌ لا تثريب معه ، وإن تماديت فهجْرٌ لا وصال بعده .

فصول في التنصل

كتب ابن مُكرم : لاوّ عظيمِ أملي فيك ما أتيت فيما بيني وبينك ذنباً مخطئاً ولا متعمّدا ، ولعل فلتة لم ألق بالا ، فأوطئ لها اعتذارا ، وإلا تكن فَنفْثة حاسد زخرفها على لسان واشٍ ، نبذها إليك في بعض غِرّاتك ، أصابت مني مقتلا وشفَتْ منه غليلا .

وفصل : ليس يُزيلُني عن حُسن الظنّ بك فعلٌ حَمَلك الأعداء عليه ، ولا يقطعني عن رجائك عَتْب حَدَثَ عليّ منك ؛ بل أرجو أن تتقاضى كرمَك إنجاز وعدك ، إذ كان أبلغ الشفعاء إليك ، وأوجب الوسائل لديك .

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالعفو والعقوبة من أن تجازيني بالسوء على ذنب لم أَجْنِه بيد ولا لسان ، بل جناه عليْ لسان واش ، فأمّا قولك : إنك لا تُسهِّل سبيل العذر ؛ فأنت أعلم بالكرم وأرعى لحقوقه وأعرف بالشرف وأحفظ لذماماته من أن تردّ يدَ مؤمِّلك صِفراً من عفوك إذا التمسه ، ومن عذرك إذا جعل فضلك شافعاً فيه وذريعة له .

وفصل لإبراهيم بن العباس : الكريم أوسع ما تكون مغفرته إذا ضاقت بالمذنب معذرته .

وفصل : يا أخي ، أشكو إلى الله وإليك تحامل الأيام عليّ ، وسوء أثر الدهر عندي ، وأني معلق في حبائل مَن لا يَعرِف موضعي ، ولا يحلو عنده موقعي ، أطلب منه الخلاص فيزيدني كلفا ، وأرتجي منه الحق فيزداد به ضنًّا ، فالثواء ثواء مقيم ، والنية نية ظاعن والزّماع زَماع مرتحل : ما أذهب إلى ناحية من الحيلة إلا وجدْت من دونها مانعاً من العوائق ؛ فأحمل الذنب على الدهر وأرجع إلى الله بالشكوى ، وأسأله جميل العقبى وحسن الصبر .

فصول فى حسن التواصل

للمفضِّل أن يخص بفضله من شاء، وله الحمد فيما أعطى، ولا حجة عليه فيما منع. وكن كيف شئت، فإنى قد أوليتك خالصة سريرتى، أرى ببقائك بقاء سرورى، وبدوام النعمة عندك دوامها عندى.

٥ وفصل: قد أغنى الله بكرمك عن الذريعة إليك والاستعانة عليك؛ لأن حسن الظن بالله فيك، وتأميل نجح الرغبة إليك فوق الشفعاء عندك.

وفصل: قد أفردتك برجائى بعد الله، وتعجلت راحة اليأس ممن يجود بالوعد ويضن بالإنجاز، ويحب أن يتفضّل ويزهد فى أن يُفضِل، ويعيب الكذب ولا يصدق.

١٠ وفصل: ضَعْنى — أكرمك الله — من نفسك حيث وضعت نفسى من رجائك. أصاب الله بمعروفك مواضعه، وبسط بكل خير يدك.

وفصل: لا أزال — أبقاك الله — أسأل الكتاب إليك، فمرة أتوقف توقف المخفف عنك من المئونة، ومرة أكتب كتاب الراجع منك إلى الثقة والمعتمد منك على المِقَة؛ لا أعدمنا الله دوام عِزّك، ولا سلَب الدنيا بهجتها بك

١٥ ولا أخلانا من الصنع لك؛ فإنا لا نعرف إلا نعمتك، ولا نجد للحياة طعما إلا فى ظلك؛ ولئن كانت الرغبة إلى بَشَرٍ من الناس خساسة وذلا، لقد جعل الله الرغبة إليك كرامة وعزّا؛ لأنك لا تعرف حُرًّا قعد به دهرُه، إلا سبقْت مسألته بالعطية وصُنْت وجهه عن الطلب والذِّلة.

وفصل: لى عليك حق التأميل والشكر، بما ابتدأت من المعروف، ولك علىّ

٢٠ حق الاصطناع والفضل، والتنويه بالاسم والشكر؛ وليس يمنعنى علك بزيادة حقك على ما أبلغه من شكرك، من مساءلتك المزيد؛ إذ كنت قد انتهيت إلى ما بلغه المجهود، وخرجت من منزلة الإضاعة والتقصير، وإذ كنت تسمح بالحق عليك، وتطيب نفساً عن حقك اليسير، ولا تكلف أحداً شكرك على الكثير.

فصل : لك — أصلحك الله — عندى أيادٍ تشفع لى إلى محبتك ، ومعروفٌ يوجب عليك الرَّبَّ والإتمـام .

فصل : أنا أسأل الله أن يُنْجِزَ لى مالم تزل الفِراسةُ تعِدُنيه فيك .

فصل : قد أجلَّ اللهُ قدْرَكَ عن الاعتذار ، وأغناك فى القول عن الاعتلال، وأوجب علينا أن نقنع بمـا فعلت ، ونرضى بما أتيت ، وَصَلت أو قطعت. ٥

فصول فى الشكر

كتب محمد بن عبد الملك الزيات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر الخراسانى ، فكان فى فصل منه :

لو لم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ، أو زيادة منتظرة له ، لكفى . ١٠

ثم قال لمحمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قُرطان بينهما وجهٌ حسن .

وفصـل للحسن بن وهب : منْ شَكَرك على درجة رفعتَه إليهـا أو ثروةٍ أقْدَرْتَهُ إياها ؛ فإن شكرى لك على مهجة أحييْتَها ، وحُشاشةٍ أبقيْتَها ، ورمق أمسكْت به وقُمْتَ بين التلف وبينه ؛ فلكل نعمـة من نعم الدنيا حـد يُنْتهى ١٥ إليه ، ومدًى يُوقفُ عنده ، وغايةٌ من الشـكر يسمو إليهـا الطَّرْف ، خلا هذه النعمة التى قد فاقت الوصف ، وطالت الشكرَ وتجاوزت قدره . وأنت من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنت الحسود ؛ فنحن نلجأ منك إلى ظل ظليل ، وكنف كريم ؛ فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهدُ المجتهد ؟ ٢٠

وقال إبراهيم بن المهدى يشكر المأمون :

رَدَدْتَ مالى ولم تَمْنُنْ علَىَّ به * وقبلَ ردِّكَ مالى قد حقَنْتَ دمِى
فأبِتُ منك وقد جلَّلْتنى نعَمًا * هى الحَياتَانِ من موتٍ ومن عُدُم

فلو بَذَلتُ دمى أبْغِى رضاكَ بِه ٭ والمالَ حتى أُسَلَّ النَّعْلَ من قدَمِى
ما كان ذاك سِوَى عاريّةٍ رجعَتْ ٭ إليكَ لو لم تُعِرْها كنتَ لم تُلَمِ
البِرُّ بِى منك وطَّى العُذْرَ عِندك لى ٭ فيما أتيتُ فلم تعتِبْ ولم تَلُمِ
وقامَ عِلْمُك بِى يَحْتَجُّ عِنْدَكَ لى ٭ مقامَ شاهِدِ عدْلٍ غيْرِ مُتَّهَمِ

فصول فى البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وصل كتابك ، فما رأيت كتاباً أسهل فنوناً ، ولا أملسَ متوناً ، ولا أكثر عيونا ، ولا أحسنَ مقاطعَ ومطالعَ منه : أنجزتَ فيه عِدَةَ الرأى ، وبشرى الفِراسة ، وعاد الظنُّ يقيناً ، والأمل مبلوغا ، والحمد لله الذى بنعمته تتمُّ الصالحات .

فصل : الكلام كثيرةٌ فنونه ، قليلةٌ عيونُه ؛ فمنه ما يُضْحِكُ الأسماع ، ويُؤْنِس القلوب ، ومنه ما يُحمِّل الآذان ثقلاً ، ويملأ الأذهان وحْشة .

فصول من المدح

كتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

إن جميعَ أكفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا انتهوا إليك أقروا لك ويتنافسون فى المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ؛ فزادك الله وزادنا بكَ وفيك وجعلنا ممن يقْبَلُه رأيُك ويُقدِّمُه اختيارُك ، ويقع من الأمور بموقع موافقتك ، ويجرى فيها على سبيل طاعتك .

وفصل له : إن من النعمة على المثْنِى عليك ، أن لايخاف الإفراط ، ولا يأمن التقصير ، ويأمن أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهى به المدح إلى غاية إلا وجد فضلَك تجاوزها ، ومن سعادةِ جَدِّك أن الداعىَ لا يعْدَمُ كثرة المشايعين له والمؤمِّنين معه .

وفصل : إن مما يُطمعنى فى بقاء النعمة عندك ، ويزيدنى بصيرة فى العلم بدوامها لديك ، أنك أخذتَها بحقها ، واستوجبتها بما فيك من أسبابها ؛ ومن

شأن الأجناس أن تتآلف وشأن الأشكال أن تتعارف ، وكل شيء يتقلقل إلى معدنه ، ويحن إلى عُنصُره ، فإذا صادف منبته ونزل في مغرسه ، ضرب بعرقه ، وسمق بفرعه ، وتمكن تمكن الإقامة . وتفتك تفتك الطبيعة .

وفصل : إني فيما أتعاطى من مدحك ، كالمخبر عن ضوء النهار الزاهر ، والقمر الباهر ، الذي لا يخفى على كل ناظر ؛ وأيقنت أني حيث انتهى بي القول ، منسوب إلى العجز ، مقصر عن الغاية ، فانصرفت من الثناء عليك إلى الدعاء لك ؛ ووكلت الإخبار عنك إلى علم الناس بك .

وفصل لمحمد بن الجهم : إنك لزمت من الوفاء طريقة محمودة ، وعرفت مناقبها وشهرت بمحاسنها ؛ فتنافس الإخوان فيك ، يبتدرون ودك ، ويتمسكون بحبلك ؛ فمن أثبت الله له عندك وداً فقد وُضعتْ خُلتُهُ موضع حِرزها .

وفصل لابن مكرم : السيف العتيق إذا أصابه الصدأ استغنى بالقليل من الجلاء ، حتى تعود جِدّته ويظهر فِرِندُه ، للين طبيعته ، وكرم جوهره ؛ ولم أصف نفسي لك عجباً ، بل شكراً .

وفصل له : زاد معروفك عندي عظما أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور كبير .

أخذه الشاعر فقال :

زادَ معروفَكَ عِندي عِظَمًا ٭ أنَّهُ عِندَكَ مَستور حقير
تَتَناساهُ كأنْ لم تأتِه ٭ وهْوَ عِندَ الناسِ مشهورٌ كبيرُ

وفصل للعتابي : أنت أيها الأمير وارث سلفك ، وبقية أعلام أهل بيتك ، المسدود به ثلمهم ، المجدد به قديم شرفهم ، والمُحيا به أيامُ سعيهم . وإنه لم يَخمل من كنتَ وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالكَ سبيله ، ولا امّحتْ أعلام من خلفتَه في رتبته .

فصول فى الذم

كتب أحمد بن يوسف :

أما بعد ، فإنى لا أعرف للمعروف طريقا أوْعَرَ من طريقه إليك ، فالمعروف لديك ضائع ، والشكر عندك مهجور ، وإنما غايتُك فى المعروف أن تَحْقِرَه ، وفى وليّه أن تكفره .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن معن بن زائدة :

أما بعد ، فإنى توسلت إليك فى طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاء للغنى ، فازددت بهما بُعْدًا مما فيك تقرَّبْتُ ، وقربا مما فيه تبعّدت ، وقد قسمتُ اللائمةَ بينى وبينك ؛ لأنى أخطأتُ فى سؤالك ، وأخطأتَ فى منعى ؛ أُمِرْتُ باليأس من أهل البخل فسألتُهم ، ونُهيتَ عن منع أهل الرغبة فمنعتَهُمْ ؛ وفى ذلك أقول :

فررْتُ مِنَ الفقرِ الذى هو مُدْرِكى ٭ إلى بَخِـلٍ محظورِ النَّوالِ مَنوع

فأعقَبنى الحِرمانَ غِبَّ مَطامِعى ٭ كذلكَ مَن يلقاهُ غيرَ قنوع

وغيرُ بديعٍ منْعُ ذى البُخلِ مالَهُ ٭ كما بذْلُ أهلِ الفضـلِ غير بديع

إذا أنتَ كشّفْت الرِّجال وجدْتَهم ٭ لِأعراضِهم من حافِظٍ ومُضيع

وفصل لإبراهيم بن المهدى : أما بعد ، فإنك لو عرفت فضل الحسن لتجنبت شَين القبيح ، ورأيتك آثرُ القولِ عندك ما يضرك فكنت فيما كان منك ومنا ، كما قال زهير بن أبى سلمى :

وذِى خطَلٍ فى القوْلِ يَحْسب أنّهُ ٭ مُصيب فما يُلْمِم به فهْوَ قائلهْ

عبأت له حِلْماً وأكرمْتُ غيْرَهُ ٭ وأعرَضْت عنه وهو بادٍ مقاتلهْ

فصل : إن مودة الأشرار متصلة بالذلة والصغار ، تميل معهما وتصرّف فى آثارهما ؛ وقد كنت أحِلُّ مودّتك بالمحل النفيس ، وأنزِلُها بالمنزل الرفيع ، حتى رأيت ذلتك عند القِلّة ، وضرعتك عند الحاجة ، وتغيُّرك عند الاستغناء ، واطّراحك

لإخوان الصفاء ؛ فكان ذلك أقوى أسباب عذرى فى قطيعتك ، عند من يتصفح أمرى وأمرك بعين عدل لا تميل إلى هوى ، ولا ترى القبيح حسنا .

فصل للعتابى : تأتَّيْنا إفاقتك من سكرتك ، وترقَّبْنا انتباهك من رقْدتك ، وصبَرنا على تجرُّع الغيظ فيك ، حتى بان لنا اليأسُ من خيرك ، وكشف لنا الصبرُ عن وجه الغلط فيك ؛ فها أنا قد عرفتك حق معرفتك فى تعدّيك لطَورك ، وآطراحك حقَّ مَن غَلِط فى اختيارك .

فصول فى الأدب

كتب سعيد بن حميد :

إنّ من أمارات الحزم صحة الرأى فى الرجل : يترك التماس ما لا سبيل إليه ، إذا كان ذلك داعيةً لغنى لا عزة له ، وشقاء لا دَرَك فيه ؛ وقد سمحتَ فى أمر تُخبِرُك أوائله عن أواخره ، ويُنْبِيك بدوّه عن عواقبه ، لو كان لهذا الخبرَ الصادق مستمعٌ حازم . ورأيتُ رائد الهوى قد مال بك إلى هذا الأمر ميلاً أيأس من رغب فيك ، ودل عدوّك على معايبك ، وكشف له عن مَقاتلك ؛ ولولا علمى بأنّ غلط الناصح يؤدّى إلى نفع فى اعتقاد صواب الرأى ، لكان غير هذا القول أولى بك ، والله يوفقك لما يحب ، ويوفق لك ما تحب .

وفصل : أنت رجلٌ لسانك فوق عقلك ، وذكاؤك فوق عزمك ؛ فقدِّم على نفسك من قدّمك على نفسه .

وفصل : مِن أخطأ فى ظاهر دنياه وفيما يؤخذ بالعين ، كان أحرىٰ أن يُخطئ فى أمر دينه وفيما يؤخذ بالعقل .

وفصل : قد حسدك من لا ينام دون الشفاء ، وطلبك من لا ينامُ دون الظفَر ، فاشدد حيازيمك وكن على حذر .

وفصل : قد آن أن تدع ما تسمع لما تعلم ، ولا يكن غيرُك فيما يبلّغه أوثق من نفسك فيما تعرفه .

وفصل : لست بحال يرضى بها حر ، أو يقيم عليها كريم وليس يرضى لك بهذا إلا من لا ينبغى لك أن ترضى به .

وفصل : أنت طالب مَغْنَم ، وأنا دافع مغرم ، فإن كنت شاكراً لما مضى ، فاعذر فيما بقى .

٥ وفصل للعتابى : أما بعدُ ، فإن قريبك من قرب منك خَيْرُه ، وابن عمك من عمّك نفعه ، وعشيرك من أحسن عِشرتك ، وأهدى الناس إلى مودّتك مَن أهدى برّه إليك .

فصول إلى عليل

ليست حالى ـ أكرمك الله ـ فى الاغتمام بعلتك حالَ المشارك فيها بأن ١٠ ينالنى نصيب منها وأسلم من أكثرها ، بل اجتمع على منها أنى مخصوصٌ بها دونك ، مُؤْلَم منها بما يؤلمك ؛ فأنا عليل مصروف العناية إلى عليل كأنى سليم ؛ فأنا أسأل الله الذى جعل عافيتى فى عافيتك ، أن يخصّنى بما فيك ، فإنها شاملة لى ولك .

وفصل : إنّ الذى يعلم حاجتى إلى بقائك ، قادرٌ على المدافعة عن حوبائك ؛ ١٥ فلو قلتُ إنّ الحق قد سقط عنى فى عيادتك لأنى عليل بعلتك ، لقام بذلك شاهد عدلٍ فى ضميرك ، وأثرٌ بادٍ فى حالى لغيبتك : وأصدق الخبر ماحققه الأثر ، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل .

وفصل : لئن تخلفتُ عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة ، لَمَا أغفلَ قلبى ذكرَك ، ولا لسانى فحصاً عن خبرك فحْصَ مَن تقسّم جوارحه وصَبُك ، ٢٠ وزاد فى ألمها ألَمُك ؛ ومن تتصل به أحوالك فى السراء والضراء ، ولما بلغتنى إقامتك كتبت مهنئاً بالعافية ، مُعْفيا من الجواب إلا بخبر السلامة إن شاء الله .

ولأحمد بن يوسف : قد أذهب الله وَصَبَ العلة ونَصَبَها ، ووفَّر أجرَها

وثوابها ، وجعل فيها من إرغام العدو بعُقباها ، أضعاف ما كان عنده من السرور بقبح أولاها .

فصول إلى خليفة وأمير

منها : كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان :

يا أمير المؤمنين ، إن كل من عنَّيت به فكرتك فما هو إلا سعيد يؤثر أو شقى يوتَر .

كتب الحسن بن سهل يصف عقل المأمون : وقد أصبح أميرُ المؤمنين محمودَ السيرة ، عفيف الطعمة ، كريمَ الشيمة ، مباركَ الضريبة ، محمودَ النقيبة ، مُوفِّياً بما أخذ اللهُ عليه ، مضطلعاً بما حمَّله منه ، مؤدِّياً إلى الله حقَّه ، مقرًّا له بنعمته ، شاكراً لآلائه ، لا يأمر إلا عدلا ؛ ولا ينطق إلا فصلا عِبْئاً لدينه وأمانته ؛ كافًّا ليده ولسانه .

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إنَّ حقَّ الأولياء على السلطان : تنفيذ أمورهم ، وتقويم أَوَدهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدم محسنَهم ، ويؤخر مسيئهم ؛ ليزدادَ هؤلاء فى إحسانهم ، ويزدجرَ هؤلاء عن إساءتهم .

وفصل له : إن من أعظم الحقِّ حقَّ الدين ، وأوجب الُحرمة حُرمةَ المسلمين ؛ فحقيق لمن راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له حسب ما راعاه الله ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

وفصل له : إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقَّ الطاعة والنصيحة ، ولعبيده على خلفائه بسطَ العدل والرأفة ، وإحياء السُّنَن الصالحة ؛ فإذا أدّى كلٌّ إلى كلٍّ حقَّه ، كان ذلك سبباً لتمام النعمة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الأُلفة .

وفصل : ليس من نعمة يجدّدها الله لأمير المؤمنين فى نفسه خاصة ، إلا اتصلت برعيته عامّة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم

شكره عليها : لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتدبيره وذَبّه عن دينه حِفظ حريمهم ، وبحياطته حقن دمائهم وأمن سبيلهم ؛ فأطال الله بقاء أمير المؤمنين ، مؤيدا بالنصر ، معزّزاً بالتمكين ، موصول البقاء للنعيم المقيم .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقودَ النية بطاعته ، منطوىَ القلب على مناصحتهم ، مشحوذَ السيف على عدوه ؛ ثم وهب له الظفَر ، ودوّخ له البلاد ، وشرّد به العدو ، وخصه بشرف الفتوح شرقا وغربا ، وبرا وبحرا .

وفصل : أفعال الأمير عندنا معسولة كالأمانى ، متصلة كالأيام ؛ ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ، ونواصل الدعاء له مواصلة بره ؛ إنه الناهض بكلنا ، والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا .

وفصل : أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين كذا فأنكره ، ولايخلو من إحدى منزلتين ، ليس فى واحدة منهما عذر يوجب حجة ولا يزيل لائمة : إما تقصير فى عملك دعاك للإخلال بالحزم والتفريط فى الواجب ، وإما مظاهرة لأهل الفساد ومداهنة لأهل الريب ؛ وأية هاتين كانت منك لمحلة النكر بك ، وموجبة العقوبة عليك ، لولا مايلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة ، والأخذ بالحجة ، والتقدم فى الإعذار والإنذار ؛ وفى حسن ماأقلت من عظيم العثرة ، مايوجب اجتهادك فى تلافى التقصير والإضاعة ، والسلام .

وكتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد إلى إبراهيم بن المهدى :

أما بعد ، فإنه عزيز علىّ أن أكتب إلى أحد من بيت الخلافة بغير كلام الإمرة وسلامها ؛ غير أنه بلغنى عنك أنك مائل الهوى والرأى للناكث المخلوع ، فإن كان كما بلغنى فقليلٌ ما كتبت به كثير لك[1] ، وإن يكن غير ذلك فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ؛ وقد كتبت فى أسفل كتابى أبياتا فتدبرها :

(١) فى بعض الأصول : « فكثير ... قليل » .

رُكوبُكَ الهَوْلَ مالم تلقَ فرصَتهُ • جهلٌ رمَى بك بالإقحامِ تغريرُ
أهْون بدنيا يصيبُ المخطئونَ بها • حظَّ المصيبينَ ، والمغْرُورُ مَغْرورُ
فازرَع صواباً وخذْ بالحزْمِ حيطته • فلن يُذمَّ لأهلِ الحزْمِ تدبيرُ
فإن ظفِرْت مصيباً أو هلكتَ به • فأنت عندَ ذوِى الألبابِ معذُور
وإن ظفِرت على جهلٍ ففزتَ بِه • قالوا جهُولٌ أعانته المقــادِير ! ٥

فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُتمم النِّعم برحمته ، الهــادى إلى شكره بفضله ؛ وصلى الله على سيدنا محمدٍ عبده ورسوله ، الذى جمع له من الفضائل ما فرّقه فى الرُّسل قبله ، وجعل تُراثه راجعا إلى من خصه بخلافته ، وسلم تسليما .

فصول لعمرو بن بحر الجاحظ ١٠

منها فصول فى عتاب :

أما بعد ، فإن المكافأة بالإحسان فريضة ، والتفضل على غير ذوى الإحسان نافلة .

أما بعد فليكن السكوت على لسانك إن كانت العافية من شانك .

أما بعد ، فلا تزهد فيما رَغِب إليك ، فتكون لحظِّك معاندا ، وللنعمة جاحداً ١٥

أما بعد ، فإن العقل والهوى ضدان ، فقرينُ العقل التوفيق ، وقرينُ الهوى الخذْلان ، والنفس طالبة ، فبأيهما ظفرتْ كانت فى حزبه .

أما بعد ، فإن الأشخاص كالأشجار ، والحركات كالأغصان ، والألفاظ كالثمار .

أما بعد ، فإنّ القلوب أوعية والعقول معادن ، فما فى الوعاء ينفد إذا لم يمده المعدن . ٢٠

أما بعد ، فكفى بالتجارب تأديبا ، وبتقلب الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة ، وبذكرك الموت زاجرا .

أما بعد ، فإن احتمال الصبر على لذع الغضب ، أهون من إطفائه بالشتم والقذَع .

أما بعد ، فإن أهل النظر فى العواقب أولوا الاستعدادِ للنوائب ؛ وما عظمت نعمةُ امرئ إلا استغرقت الدنيا هِمّته ، ومن فرَغ لطلب الآخرة شغله جعل الأيام مطايا عمله والآخرةَ مقيلَ مُرْتَحِله .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غيرُ زائد فى الرزق والأجل ، والاستغناء غير ناقص للمقادير . ٥

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلُم أمسك ، وقد يستجهل الحليم حتى يستخفه الهُجر

أما بعد ، فإن أحببت أن تتم لك الثقة فى قلوب إخوانك فاستقل كثيرا مما توليهم .

أما بعد ، فإن أنظر الناس فى العاقبة ، مَن لطف حتى كف حرب عدوه بالصفح والتجاوز ، واستلّ حقدَه بالرفق والتحبب . ١٠

وكتب إلى أبى حاتم السجستانى وبلغه عنه أنه نال منه :

أما بعد ، فلو كففت عنا من غربك لكنا أهلا لذلك منك ، والسلام .

فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقبيح .

وله فصول فى وصاة :

١٥ أما بعد ، فإن أحق من أسعفته فى حاجته ، وأجبته إلى طِلبَته ، من توسل إليك بالأمل ، ونزع نحوك بالرجاء .

أما بعد ، فما أقبح الأحدوثةَ من مستمنح حَرمته ، وطالب حاجةٍ رددْته ، ومثابٍ حجبتَه ، ومنبسط إليك قبضتَه ، ومقبِل إليك بعنانه لويتَ عنه ، فتثبّت فى ذلك ولا تُطع كل حلافٍ مَهين ، همّاز مشاء بنميم .

٢٠ أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمامه وبلوغ موافقته من أياديك عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما نعرف موقعنا من حسن رأيك ، ويكون مكافأةً لحقّه علينا

أما بعد ، فقد أتانا كتابُك فى فلان ، وله لدينا من الذمام ما يُلزمنا مكافأته

ورعاية حقه ، ونحن من العناية بأمره على ما يُكافئ حرمته ويؤدى شكره .

وله فصول فى استنجاز وعد :

أما بعد ، فقد رسَفنا فى قيود مواعيدك ، وطال مقامنا فى سجون مَطْلك ، فأطلقنا ـ أبقاك الله ـ من ضيقها وشديدِ غمِّها بنَعَم منك مثمرةٍ أو [لا] مريحة .

أما بعد ، فإن شجرَ مواعيدك قد أورقت ، فليكن ثمرُها سالماً من جوائح المطل .

أما بعد ، فإن سحائب وعدك قد بَرقت ، فليكن وبلُها سالماً من صواعق المطل والاعتلال .

وله فصول فى الاعتذار :

أما بعد ، فنعم البديلُ من الزَّلة الاعتذار ، وبئس العوَضُ من التوبة الإصرار .

أما بعد ، فإن أحق ماعطَفْت عليه بحلمك من لم يتشفَّع إليك بغيرك .

أما بعد ، فإنه لا عوض من إخائك ، ولا خلَفَ من حُسن رأيك ، وقد انتقمت منى فى زلتى بجفائك ، فأطلق أسير تشوقى إلى لقائك .

أما بعد ، فإنى بمعرفتى بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمنت لنفسى العفو من زلتها عندك .

أما بعد ، فإن من جحد إحسانك بسوء مقالته فيك ، مكذِّب نفسَه بما يبدو للناس منه .

أما بعد ، فقد مسنى من الألم مالم يشفِه غيرُ مواصلتِك ، مع حبسك الاعتذار من هفوتك ؛ ولكن ذنبك تغتفره مودّتُك ، فامنن علينا بصلتك ، تكن بدلا من مَساءتك ، وعوضا من هفوتك .

أما بعد ، فلا خير فيمن استغرقت موجدته عليك قدرك عنده ولم يتسع لهنات الإخوان .

أما بعد ، فإن أولى الناس عندى بالصفح ، مَن أسلمه إلى ملكك التماسُ رضاك من غير مقدرة منك عليه .

أما بعد ، فإن كنت ذممْتنى على الإساءة ، فلم رضيت لنفسك المكافأة !

وله فصول التعازى :

أما بعد ، فإن الماضىَ قبلك الباق لك ، والباق بعدك المأجور فيك ﴿وإنّما يوفى الصّابرون أجرهم بغير حساب﴾ .

أما بعد ، فإن فى الله العزاء من كل هالك ، والخلَفَ من كل مصاب ، وإنه مَن لم يتعز بعزاء الله تنقطع نفسه من الدنيا حسرة .

أما بعد ، فإن الصبر يعقبه الأجر ، والجزعَ يعقبه الهلع ؛ فتمسك بحظك من الصبر ، تنل به الذى تطلب ، وتدرك به الذى تأمُل .

أما بعد ، فقد كفى بكتاب الله واعظا ، ولذوى الألباب زاجرا ؛ فعليك بالتلاوة تنجُ مما أوعد الله به أهل المعصية .

صدور إلى خليفة

وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلّده ، وأيده وأصلح به ، وعلى يديه .

أكرم الله أمير المؤمنين بالظفر ، وأيده بالنصر فى دوام نعمته ، وحاط الرعية بطول مدته .

صدور إلى ولى عهد

متّع الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه فعلَ الجميل ، وآنس بولايته المؤمنين .

مدّ الله للأمير النعمة ، وأسعد بطول عمره الأمة ، وجعله غِياثا ورحمة .

أكمل الله له الكرامة ، وحاطه بالنعمة والسلامة ، ومتّع به الخاصة والعامة .

متع الله بسلامتك أهل الحرمة ، وجمع لك شمل الأمة ، واستعملك بالرأفة والرحمة

صدور إلى والى شرطة

أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيّدك بالتثبت ، ووفّقك للصواب .

أرشدك الله بالتوفيق، وأنطقك بالصواب، وجعلك عصمة للدين، وحصنا للمسلمين

أعانك الله على ما قلدك، وحفظك لما استعملك بما يرضى من فعلك.

سدّدك الله وأرشدك، وأدام لك فضل ما عوّدك.

زادك الله شرفا فى المنزلة، وقدراً فى قلوب الأمة، وزلفة عند الخليفة.

نصر الله بعدْلِكَ المظلوم، وكشف بك كربة الملهوف، وأعانك على أداء الحقوق. ٥

صدور إلى قاض

ألهمك الله الحجة، وأيّدك بالتثبت وردّ بك الحقوق.

ألهمك الله الاعتصام بحبله بالعلم، والتثبت فى الحكم.

ألهمك الله الحكمة وفصل الخطاب، وجعلك إماما لذوى الألباب.

زيّن الله بفضلك الزمان، وأنطق بشكرك اللسان، وبسط يدك فى اصطناع المعروف ١٠

أدام الله لك الإفضال، وحقق فيك الآمال.

صدور إلى عالم

جعل الله لك العلم نوراً فى الطاعة، وسبباً إلى النجاة، وزلفة عند الله.

نفع الله بعلمك المستفيدين، وقضى بك حوائج المتحرّمين، وأوضح بك سنن الدين، وشرائع المسلمين. ١٥

أدام الله لك التطول بإسعاف الراغب، وأنجح بك حاجة الطالب، وأمّنك مكروه العواقب.

صدور إلى إخوان

متع الله أبصارَنا برؤيتك، وقلوبَنا بدوام ألفتك، ولا أخلانا من جميل عشرتك، ووهب لك من كريم نفسك، بحسب ما تنطوى عليه مودتك، وأبهج ٢٠ الله إخوانك بقربك وجمع ألفتهم بالأنس بك، وصرف الله عن ألفتنا عواقب القدَر، وأعاذ صفْوَ إخائنا من الكدر، وجعلنا ممن أنعم الله عليه فشَكَر.

مَنّ الله علينا بطول مدتك ، وآنس أيامَنا بمواصلتك ، وهنأنا النعمة بسلامتك .

قرّب الله منا ما كنا تأمل منك ، وجمع شمل السرور بك .

نزّه الله بقربك القلوب ، وبرؤيتك الأبصار ، وبحديثك الأسماع .

أقبل الله بك على أوِدّائك . ولا ابتلاهم بطول جفائك .

٥ أزال الله حَردَنا من فتورك عنا ، ورغبَّتنا عنك من تقصيرك فى أمورنا .

حفظ الله لنا منك ما أوحشنا فقده ، وردّ إلينا ما كنا نألفه ونعهده .

رحم الله فاقة الحنين إليك ، وما بى من تباريح الحزن عليك ، وجعل حرمتنا منك الشفيع لديك .

يسّر الله لنا من صفحك ما يسع تقصيرنا ، ومن حلمك ما يردُّ سخطك عنا .

١٠ زين الله أُلفتنا بمعاودة صِلتك ، واجتماعَنا بزيارتك .

أعاد الله علينا من إخائك وجميل رأيك ما يكون معهوداً منك بالوفاء لك .

صدور فى عتاب

أنصف الله شوقنا إليك من جفائك لنا ، وأخذ لبِرِّنا بك من تقصيرك عنا .

وكتب[1] معاوية إلى عمرو بن العاص وبلغه عنه أمر : وفّقك الله لرشدك ؛

١٥ بلغنى كلامك ، فإذا أوّله بَطَر ، وآخره خَوَر ؛ ومن أبطره الغنى أذلّه الفقر ، وهما ضدان مخادعان للمرء من عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدواء من يَبين له الداء ، والسلام.

فأجابه : طاولتك النعم وطاولت بك ؛ علو إنصافك يؤمن سطوة جورك ؛ ذكرتَ أنى نطقت بما تكره وأنا مخدوع ، وقد علمت أنى ملت إلى محبتك ولم أُخدَع ، ومثلك شَكَر مَسْعى مُعْتذر ، وعفا زلّة معترِف .

---

٢٠ تم الجزء الرابع من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، ويليه إن شاء الله الجزء الخامس وأوله : كتاب المسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم

---

(١) يلاحظ أن هذا وما بعده ليس من فصول الجاحظ .

صحيفة

٢ كتاب العسجدة فى كلام الأعراب

خالد بن صفوان وأعرابى .

٣ قول الأعراب فى الدعاء . لعمر بن عبد العزيز :

٤ لأعرابى فى الطواف ٥ لأعرابى بعرفات

٦ لأعرابى بمنى . لآخر فى فلاة .

٨ لأعرابية تودع ابنها . لأعرابى مات ابنه . قولهم فى الرقائق .

٩ لأعرابى فى حزنه على ولده . لآخر فى ذهاب شبابه . لآخر فى نحول جسمه . لآخر فى الكبر

١٠ لأعرابى فى القطيعة . لآخرين فى تغير الديار .

١١ لأعرابية ترثى ابنها . لأعرابى فى وصف بلد . قولهم فى الاستطعام . معن بن زائدة وأعرابى .

١٢ المهدى وأعرابية فى الطواف . بين عتبة بن أبى سفيان وأعرابى .

١٣ أعرابى أغير على إبله . بين خالد القسرى وأعرابى .

١٤ ابن طوق وأعرابى .

١٥ أعرابى فى حلقة يونس

١٦ لأعرابية مع عبد الرحمن بن أبى بكر . شعر لبعض الأعراب .

١٧ الأصمعى يروى بعض أخبار الأعراب .

١٨ هشام وأعرابى .

١٩ المأمون وأعرابى . أعرابى فى مجاعة .

٢١ قولهم فى المواعظ والزهد . هشام وأعرابى . لأعرابى بعظ أخاه . ٢٢ لابن عباس .

٢٣ أخبار متفرقة للأعراب . ٣٠ قولهم فى المدح .

٣٥ قولهم فى الذم . ٤٢ قولهم فى الغزل .

٤٤ قولهم فى الخيل . ٤٧ قولهم فى الغيث .

٤٩ قولهم فى البلاغة والإيجاز .

٥٠ قولهم فى حسن التوقيع وحسن التشبيه .

٥٢ قولهم فى المناكح . ٥٧ قولهم فى الإعراب .

صحيفة

٥٨ قولهم فى الدين . ٦٠ قولهم فى النوادر والملح .

٦٤ قولهم فى التلصص . ٦٨ قولهم فى الطعام .

٦٩ أخبار أبى مهدية الأعرابى .

٧٠ خبر أبى الزهراء ٧٥ لبعض الأعراب .

٧٦ الرشيد والأصمعى .

٧٨ كتاب المجنبة فى الأجوبة

٧٨ جواب عقيل بن أبى طالب لمعاوية وأصحابه .

٨٠ جواب ابن عباس لمعاوية وأصحابه .

٨١ ابن أبى مليكة فى ابن عباس .

٨٣ ابن عباس وابن العاص .

٨٥ مجاوبة بنى هاشم وبنى عبد شمس لابن الزبير

٨٩ ابن الزبير ومعاوية .

٩٠ مجاوبة الحسن بن على لمعاوية وأصحابه .

٩٢ مجاوبة بين معاوية وأصحابه .

٩٣ مجاوبة بين بنى أمية . ٩٥ الجواب القاطع .

٩٧ مجاوبة الأمراء والرد عليهم . معاوية وابن قدامة

٩٨ معاوية والأحنف . معاوية وعدى . الأحنف وشامى لعن عليا .

٩٩ معاوية وعقيل فى أمر على .

١٠٠ معاوية وابن الخطال . معاوية وخريم الناعم . عبد الملك وعطاء . المضحك

١٠١ عبد الملك بن مروان وابن ظبيان . هشام بن عبد الملك وزيد بن على

١٠٢ عمر بن الخطاب وأبو مريم .

١٠٣ معاوية والأنصار .

١٠٤ عمرو بن الخطاب وعبدالله بن الزبير . الرشيد وابن مزيد . المأمون وابن أكثم

١٠٥ عتبة بن عبد الرحمن وخالد القسرى .

١٠٦ عمر بن الخطاب وابن العاص .

١٠٧ ابن الجارود وابن العاص .

١٠٨ جواب فى هزل . المغيرة وأعرابى يؤاكله . ابن عتبه وإبراهيم بن عبدالله فى حضرة هشام .
١٠٩ مسلمة بن عبد الملك وموسوس . النخعى والأعمش . ابن أسماء فى سجن الكوفة .
١١٠ هشام بن القاسم والفرزدق .
١١١ خالد بن صفوان والفرزدق . معن بن زائدة وابن عباس المتوف .
١١٢ حسان وعائشة . الحجاج وابن ظبيان .
١١٣ خالد بن يزيد والحجاج . وهب بن منبه . ولهبى . يزيد بن منصور وابن مزيد . الفرزدق وعبد الجبار والمجاشعى .
١١٤ ابن صفوان وابن جعفر . معاوية وابن عامر جواب فى نحو . الأبرش وخالد بن صفوان
١١٥ هشام وقوم من اليمن . الحجاج وعبد الملك . عبدالرحمن بن خالد ومعاوية الزبير وعثمان بن عفان
١١٦ احمد بن يوسف وابن الفضل . زياد ومعاوية قريش وقيس . عتبة وأعرابى .
١١٧ فيروز ورميلة . بن مسمع وشقيق . قتيبة بن مسلم وهبيرة
١١٨ أجوبة لابن أبى دواد جواب فى تفحش .
١١٩ موسى بن مصعب وامرأة مدنية يونس النحوى ورجل من الأزد . بين أعرابيين
١٢٠ للفرزدق . بين جرير والفرزدق .
١٢١ الفرزدق ومسجد الأحامرة . بين الجماز وضيف

كتاب الواسطة فى الخطب

لابن عبد ربه . عبد الملك وابن سلمة .
١٢٣ لمعاوية فى زياد . لأبى دواد . بشر بن المعتمر وابن جبلة .
١٢٤ خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع
١٢٦ خطب أبى بكر .
١٢٩ خطب عمر بن الخطاب .
١٢٣ خطبة عثمان بن عفان . خطب على بن أبى طالب كرم الله وجهه .
١٤٧ خطب معاوية .
١٤٨ عبيدالله بن زياد عند معاوية .
١٥٣ ليزيد بن معاوية بعد موت أبيه .
١٥٤ خطبة لعبد الملك بن مروان . خطبة للوليد بن عبد الملك .
١٥٥ خطبة لسليمان بن عبد الملك ومعن . خطب عمر بن العزيز .
١٥٦ خطبة لعبدالله بن الأهتم بين يدى عمر بن عبد العزيز
١٥٩ خطبة ليزيد بن الوليد .
١٦٠ خطبة للسفاح بالشام . ومن خطب المنصور .
١٦٢ خطبة لسليمان بن على . خطبة لعبد الملك بن صالح
١٦٣ خطب لصالح بن على . ومن خطب داود بن على .
١٦٤ خطبة المهدى . ١٦٥ خطبة هارون الرشيد
١٦٧ من خطب المأمون
١٧٠ من خطب عبدالله بن الزبير
١٧٢ الخطبة البتراء لزياد ١٧٥ خطب لجامع المحاربى
١٧٦ من خطب الحجاج
١٨٤ خطب لطاهر بن الحسين . خطبة عبد الله بن طاهر . خطبة قتيبة بن مسلم .
١٨٦ خطبة ليزيد بن المهلب . خطبة قس بن ساعدة الإيادى
١٨٧ خطبة عائشة رضى الله عنها يوم الجمل
١٨٨ خطبة لعبدالله بن مسعود . خطبة لعتبة بن مروان
١٨٩ من خطب عمرو بن سعيد الأشدق
١٩١ خطب للأحنف بن قيس . خطبة ليوسف بن عمر . خطبة لشداد بن أوس الطائى . خطبة لخالد بن عبدالله القسرى
١٩٢ خطبة لمصعب بن الزبير . خطبة للنعمان بن بشير
١٩٣ خطبة لشبيب بن شيبة . من خطب لعتبة بن أبى سفيان

١٩٧ من خطب الخوارج . خطبة لقطرى بن الفجاءة فى ذم الدنيا
١٩٩ من خطب ابن أبى حمزة
٢٠٢ من أرتج عليه فى خطبته
٢٠٤ خطب النكاح ٢٠٦ خطب الأعراب
٢٠٧ خطبة لعلى كرم الله وجهه
٢١٠ كتاب المجنبة الثانية
لابن عبد ربه . النبى صلى الله عليه وسلم
٢١١ أول من وضع الكتابة
٢١٢ الكتابة فى الإسلام
٢١٣ استفتاح الكتب . ختم الكتاب وعنوانه
٢١٤ تأريخ الكتاب تفسير : الأمىّ
٢١٥ شرف الكتاب وفضلهم . كتاب النبى ﷺ
٢١٧ كتاب أبى بكر رضى الله عنه
٢١٨ كتاب عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . كتاب بنى أمية
٢١٩ كتاب بنى العباس ٢٢١ من كتب لغير الخلفاء
٢٢٢ أشراف الكتاب
٢٢٤ من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا . من أدخل نفسه فى الكتابة ولم يستحقها
٢٢٥ صفة الكتاب
٢٢٦ ماينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه
٢٢٩ خبر حائك الكلام
٢٣٢ فضائل الكتابة . ما يجوز فى الكتابة وما لا يجوز
٢٤١ البلاغة . تعريف العلماء للبلاغة
٢٤٢ تضمين الأسرار فى الكتب
٢٤٣ قولهم فى الأقلام ٢٥١ قولهم فى الجد
٢٥٢ قولهم فى الصحف
٢٥٦ توقيعات الخلفاء عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم
٢٥٧ توقيع معاوية رضى الله عنه . توقيع يزيد ابنه
٢٥٨ توقيع عبد الملك بن مروان . توقيع الوليد وسليمان بنى عبد الملك
٢٥٩ توقيعات عمر بن عبد العزيز
٢٦٠ توقيعات يزيد بن عبد الملك . توقيعات هشام بن عبد الملك
٢٦٠ توقيعات مروان بن محمد .
٢٦٢ « السفاح . توقيعات المنصور .
٢٦٤ « المهدى . توقيعات موسى الهادى .
٢٦٥ « هارون الرشيد . ٢٦٦ المأمون .
٢١٧ « الأمراء والكبراء . توقيعات زياد .
٢٦٩ « الحجاج بن يوسف . توقيعات أبو مسلم
٢٧٠ توقيعات جعفر بن يحيى .
٢٧١ « الفضل بن سهل . ٢٧٢ الحسن بن سهل
٢٧٣ « طاهر بن الحسين . ٢٧٤ العجم .
٢١٥ فصول فى المودة .
٢٧٧ « فى الزيادة .
٢٧٩ « فى وصاة . فصول فى عتاب .
٢٨٢ « فى التنصل .
٢٨٣ « فى حسن التواصل .
٢٨٤ « فى الشكر .
٢٨٥ « فى البلاغة . فصول من المدح .
٢٨٧ « فى الذم . ٢٨٨ فى الأدب
٢٨٩ « إلى عليل .
٢٩٠ « إلى خليفة وأمير .
٢٩٢ « لعمرو بن بحر الجاحظ .
٢٩٥ صدور إلى خليفة . صدور إلى ولى عهد صدور إلى والى شرطة .
٢٩٦ صدور إلى قاض . صدور إلى عالم . صدور إلى إخوان .
٢٩٧ صدور فى عتاب .

تم الفهرس